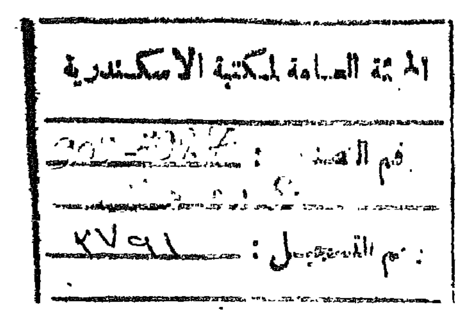
جرجى زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الأول





تاريخ آداب اللغة العربية

تاليف
جرجي زيدان
منشيء الهلال

الجزء الأول

يشتمل على تاريخ آداب اللغة العربيــــة فى
عصر الجاهلية وصدر الاسلام والعصر الاموى

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الدكتور شوقي ضيف
أستاذ الادب العربى بكلية الاداب
بجامعة القاهرة

دار الهـــلال

تقديم

بقلم الدكتور شوقى ضيف

ليس بين المشتغلين بالادب العربى وتاريخه من ينكر الجهود الخصبة التى نهض بها الاستاذ جرجى زيدان فى العشرة الثانية من هذا القرن . فقد درس آدابنا فى عصورها المختلفة درسا منظما ، لم يكتف فيه بقراءة آثارها ونصوصها العربية ، بل مد بصره الى ما كتب عن هذه النصوص والاثار فى بيئات المستشرقين ، يسنده فى ذلك حذق باللغات الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فلم يترك للقوم مصنفا مهما فى عصره الا طلبه ، ولا مجلة علمية الا وقف عليها وأفاد منها أكبر الفائدة واستغلها خير ما يكون الاستغلال ..

وكان من أهم ما استغله وانتفع به كتاب تاريخ الاداب العربية لبروكلمن ، وسمى فى غير صحيفة من كتابه المؤلفات الغربية التى رجع اليها وعول عليها ، كما سمى بعض المجلات العلمية وخاصة مجلات الجمعيات الاسيوية . وتمثل ذلك كله وحوله الى هذه المادة الغزيزة القيمة التى يتضمنها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » بأجزائه الاربعة الجامعة ، وهى اجزاء أحكم ترتيب أبوابها وتنسيق فصولها ..

ولا تكاد تلم بهذه الاجزاء حتى ترى المؤلف يأخذ نفسه بأساليب البحث الحديث .. فهو يدرس العلل والاسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت فى ادابنا على مر الاحقاب والعصور ، وهو يفرد فصولا طوالا لحياتنا العقلية بجميع فروعها العلمية ، ليتبين اصداءها فى الحياة الادبية ، فالادب الخالص ليس شعبة منقطعة عن شعب الحياة والفكر فى الامة ، بل هو فاعل فيها ومنفعل بها ، لا يتم تاريخه ولا تصوره بدونها . ويتسع بصر المؤلف فى الدراسة ، فيعرض من حين الى حين للاداب الغربية ، وخاصة الاداب اليونانية ، مؤمنا بأن دنيا الاداب جميعا واحدة واحكامها العامة واحدة ، لانها تستقى من موارد واحدة ، هى الحياة الانسانية بكل ما اختلف عليها من صروف

على هذه الشاكلة مضى جرجى زيدان يدرس آدابنا العـــربية على نهج سديد ، واكبر الظن ان ذلك هو السبب فى احتفاظ كتابه ــ منذ صدوره الى اليوم ــ بقيمته العلمية • ولكن هل وقف تاريخ آدآب لغتنا عند هـــذه الصورة التى رسمها المؤلف ، فلم يتغير ولم يتطور ؟ الحق انه تغير وتطور ، كما يتغير ويتطور كل تاريخ بفضل ما يستكشفه المنقبون والباحثون ، وان ما استكشف فيه منذ العقد الثانى من هذا القرن ، وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب ، اكثر من أن تدل عليه ، فقد ظل المستشرقون يقومون بجهودهم واستكشافاتهم فيه ، وانضمت اليهم اجيال من شبابنا الذين تخرجوا فى الجامعات المصرية وغير المصرية مسلحين بأدوات العلم الحديث ، فنقبـــوا فيه واستكشفوا كثيرا من مجاهله ، وأكبوا على نشر دواوينه ومصنفاته التى لم تكن قد عرفت ، وبالتالى لم تكن قد خضعت للبحث والدراسة واستنباط الحقائق الادبية

***

وأنت اليوم أينما وليت وجهك فى مكتبتنا العربية وجدت ابحاثا وآثارا لا عهد لنا بها من قبل ، وهى تارة تختص بشاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب أو عصر من العصور أو اقليم من الاقاليم العربية ، وتارة تتســع فتضم غير شاعر وكاتب وعصر واقليم ثم هى تارة تؤرخ وتصـــف ، وتارة تنقد وتضع المذهب أو المذاهب الفنية فى الشعر والنثر ، غير ما بعثناه ونشرناه من نصوص وآثار ادبية كثيرة لا تكاد تحصى

وليس معنى ذلك أن « تاريخ اداب اللغة العربية » لجرجى زيدان استنفد اغراضه ، وانما معناه انه اصبح فى حاجة الى ان يعيد باحث النظر فيه وفى فصوله ، ويلحق به ما جد على هذا التاريخ من تطور وتغير ، بحيث تتم الفائدة منه ويكمل النفع به • وهذا هو الذى دفعنى مخلصا الى كتابة بعض تعليقات وحواش عليه تستكمل معانيه الادبية والتاريخية والاسلامية وتؤديها على حقوقها ووجوهها ، مع تصحيح بعض أفكاره والفاظه وضبط أشعاره

والفضل فى هذا الصنيع يرجع الى السيدين اميل وشكرى زيدان ، فقد ألحا على فى القيام بهذا العمل خدمة للمتوفرين على دراسة الادب ووفاءمنهما لذكرى والدهما وبرا به وبآثاره • واستجبت لهما خدمة للعلم وتحقيقا لما كان يصبو اليه الباحثون من اخراج هذا الكتاب فى طبعة جـــديدة منقحة ••

والله الهادى الى سواء السبيل

شوقى ضيف

تعليقات الدكتور شوقى ضيف مشـار اليهابعلامة (*) تمييزا لهـا عن تعليقــات المؤلف الاصلية المشار اليها بأرقام

مقدمة المؤلف

تاريخ التاليف فى هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفا عند الافرنج قبل نهضتهم الاخيرة فى التمدن الحديث . وما لبثوا حين تنبهوا له أن ألفوا فيه ، واصبحوا وما من لغة من لغاتهم الا وفيها كتاب أو غـــير كتـــــاب فى تاريخ أدابها .. ولما استشرقوا أخذوا فى درس اللغة العربية ، وكتبوا فى تاريخ أدابها غير كتاب سيأتى ذكره ..

أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا فى تاريخ آداب لسانهم ، والحقيقة انهم اسبق الامم الى التأليف فى هذا الموضوع مثل سبقهم فى غــــيره من الموضوعات .. فان فى تراجم الرجال كثيرا من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ، ويبينون موضوعاتها ، وقد يصفونها. وأول كتاب خصصوه للبحث فى المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب الموضوعات . ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الاصلية ، ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الاسلامية واللسانية أو ما نقلوه عن اللغات الاخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمتــــرجمين والشعراء والادباء .. ولولاه لضاع اسماء كثير من الكتب النفيسة ، ولاعوزنا تراجم كثيرين من الادباء والشعراء والعلماء .. فهو ذخيرة أدب وعلم ، وقد طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٢ ، ثم طبع فى مصر

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب الموضوعات ايضا ، وذكر فيه ١٥٠ فنا ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية

يليه كتاب « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » لملا كاتب جلبى المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، وهو معجم مرتب على الابجدية حسب اسماء الكتب. وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٫٠٠٠ كتاب مع اسماء اصحابها ووفياتهم وتواريخ اهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات ، اهمها طبعة ليبسك ولندن (ســـنة ١٨٣٥–١٨٥٨) فى سبعة مجلدات ، معها ملحق فيه ذيل أحمد منيف زاده .

وفهارس مكاتب دمشق وحلب وردوس والمغرب وفهرس السيوطى وابن خليفة الاندلسى وبعض مكاتب الاستانة . وله طبعات اخرى فى الاستانة ومصر ..

وأخيرا كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجى من أهل هذا العصر، وهو كتاب ضخم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على الموضوعات . وقد طبع على الحجر فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ فى ثلاثة مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخا لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم . ولم يتصد احد للتأليف فى تاريخها على النمط الحديث قبل الافرنج المستشرقين، فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضى ، لكنهم لم يوفوه حقه الا فى أول هذا القرن . وسنأتى على أسماء مؤلفاتهم فيما يلى

أما فى العربية ، فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن اول من سمى هذا العلم بهذا الإسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ فى عدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، وآخرها فى أواخر السنة الثالثة . وقد انتهينا فيه الى تاريخ أدابها فى عصر الانحطاط ، ثم شغلنا عن اتمامه ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع ، على أن نفرد له كتابا خاصا مع التوسع والتدقيق .. فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة الا قيدناها وملاحظة الا حفظناها وتدبرناها ، والقراء يطالبوننا به .. فأعلنا اخيرا عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

الغرض من هذا الكتاب

نعنى بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والاداب ، وما تقلبت عليه فى العصور المختلفة ، أو هو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتائج قرائحهم . وهاك أهم اغراضنا منه :

١ ـ بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعى والعقلى ..

٢ ـ تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور

٣ ـ تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوئه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والادوار

٤ ـ تراجم رجال العلم والادب مع الاشارة الى المآخذ التى يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع فى تلك التراجم

٥ ـ وصف الكتب التى ظهرت فى العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها

٦ ـ لا نهتم من هذه الكتب الا بما لا يزال باقيا منها ، ويمكن الحصول عليه .. فاذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته ، واذا كان لم يطبع اشرنا

الى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها ــ نعنى المكاتب الدولية فى أوربا أو غيرها، كالمكتبة الملكية فى برلين ، ومكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، والمكتبة الاهلية فى باريس ، والمكاتب الدولية فى فينا وغوطا وأكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ، ودار الكتب المصرية فى القاهرة ، ومكاتب أيا صــــوفيا وكوبرلى وبايزيد أو غيرها فى الاستانة ٠٠ حتى اذا أراد أحد الوقوف على شىء من الاصول الخطية ، طلبها فى فهارس تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسى ان يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة الى سواه من نوعه ٠٠ فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائهـا وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها ٠ ومتى تم الكتاب الحقناه بفهرس ابجدى للاعلام والموضوعات ، فيصير معجما للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف او المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده ٠٠

تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيرا فى الخطة التى نتخذها فى تقسيم هذا الكتاب ، بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور ٠٠ ومعنى قسمته حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء وما تقلب على الشعر من اول عهده الى الآن ٠ ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وهــكذا فى العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والنحو واللغة ، والتاريخ والجغرافيــة وغيرها . أما قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه .. فقسمنا هــذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده ،وقسمناها فى الاسلام الى عصور حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها .. فبدأنا بعصر صدر الاسلام ، فالعصر الأموى ، فالعباسى ، فالمغولى، فالعثمانى ، فالعصر الحديث ، وقسمنا كلا منها الى ادوار حسب الاقتضاء ٠ وسيتضمن هذا الكتاب أربعة أجزاء ، هذا أولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة فى العصر الجاهلى ، وفى عصر صدر الاسلام ، والعصر الاموى .. أى من أول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ ، فبدأنا بمقدمات تمهيدية فى : ما هو المراد بآداب اللغة ، ومن هم أســبق الامم الى العلم ، وما هى مصادر آداب اللغــة على الاجمال . وأتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال .. ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام، فقسمناها الى الجاهلية الاولى القديمة ، والجــاهلية الثانية فى القرنين

الاخيرين قبل الهجرة . وصدرنا الكلام بفصول فى الفرق بين لغة الجاهليتين، ودرجة ارتقاء عقول العرب ، والمرأة فى الجاهلية . وتقــدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمناها الى :

١ ــ الآداب العربية ، ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والامثــال والنسب ومجالس الأدب والاخبار ونحوها

٢ ــ العلوم الطبيعية ، وتحتها الطب والبيطرة والخيل ومهاب الرياح

٣ ــ العلوم الرياضية ، أردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ ــ ما وراء الطبيعة ، ويدخل فيها الكهانة والعيــافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك ..

واخذنا فى الكلام عن كل علم على حدة ، فبدأنا باللغة .. فذكرنا تاريخها قبل الاسلام ، وما دخلها من الالفاظ الاعجمية ، وكيف كانت لما جاء الاسلام، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات .. ثم الامثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا الى الشعر ، وهو أهم تلك الآداب .. فأفضنا فى درسه ، وبحثنا فى هل عند العرب شعر تمثيلى ، وكيف بدأ العرب ينظمون ، وما هو أصل وذلك الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر فى الجاهلية ، واهمها استقــلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبينا عدد الشعراء بالنظــر الى القبائل ، وبالنظر الى الاقاليم ، وتأثير الاقليم فى قرائحهم ، ثم عقــدنا فصلا فى خصائص الشعر الجاهلى وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرســهم وتفهمهم ، قسمناهم حسب أغراضهم الى : أصحاب المعلقات ، والشــعراء الامراء ، والشعراء الفرسان ، والشعراء الحكماء ، والشعراء العشــاق ، والصعاليك ، واليهود ، والنساء الشواعر ، والشعراء الهجائين ، ووصاف الخيل ، والموالى ، وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة ، وأشهر شعرائها ، وتراجم وأمثلة من أقوالهم وما صارت اليه دواوينهم ، والمآخذ التى يرجع اليها فى معرفة أخبارهم .. ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية ..

وفى عصر صدر الاسلام ، بدأنا بذكر التغيير الذى أحدثه الاسلام فى نفوس العرب ، وما كان من تأثير ذلك فى آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة .. ثم كتبنا فصلا فى الشعر والرسول ، وآخر فى الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم فى هذا العصر مع تاريخ الخط .

وقدمنا الكلام فى العصر الاموى بمميزات ذلك العصر ، وما اقتضــته سياسة بنى أمية من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك فى آدابهم .. فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحــديث والفقه مع تمهيد فى البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية : النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية فى ذلك العصر وهى اللغة والشعر والخطابة ، وتكلمنا عن أسباب رواج الشــعر ومميزاته . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة أدوار . وقسمنا شــعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الغزل والشعراء الخلعاء والســكيرين والشعــراء الادباء . وقدمنا الكلام فى فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياســة

الى أحزاب أهمها : أنصار بنى أمية وأنصار آل المهلب وأنصار العلويين والخوارج وغيرهم . وأتينا بتراجم الشعراء من كل طبقة وأمثلة من أقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم ، مع ذكر دواوينهم ومآخذ اخبارهم . وختمنا الجزء بفصول فى قرائح الشعراء وشياطينهم والقراءة فيهم . وأخيرا تحدثنا فى الخطابة والخطباء ، والانشاء ، وبه تم العصر الاموى وهو آخر الجزء الاول ..

الكتب التى عولنا عليها

يطول بنا ذكر الكتب التى أطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهى على الاجمال كتب التاريخ والأدب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانبا كبيرا منها بين مآخذ تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام . وأتينا بثبت آخر فى خاتمة باب الشعر الجاهلى من هذا الكتاب ، فنكتفى هنا بذكر الكتب التى هى من قبيل تاريخ آداب اللغة في العربية وفى الافرنجية، مما لم يرد ذكره فى ذلك الثبت واليك أهمها (*) :

١ ـ الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبرى زاده	خط فى دار الكتب المصرية
كشف الظنون ٣ أجزاء	لكاتب جلبى	طبع فى ليبسك سنة ١٨٥٨
أبجد العلوم ٣ أجزاء	لصديق القنوجى	طبع فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	طبع فى بولاق سنة ١٢٨٤ هـ
طبقات الادباء	للانبارى	طبع مصر سنة ١٢٩٤ هـ
طبقات الاطباء جزآن	لابن ابى أصيبعه	طبع مصر سنة ١٨٨٢
وفيات الاعيان ٣ أجزاء	لابن خلكان	طبع مصر سنة ١٣١٠ هـ
فوات الوفيات جزآن	لابن شاكر	طبع مصر سنة ١٢٨٢ هـ
المزهر ـ جزآن	للسيوطى	طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ
اكتفاء القنوع	لادوارد فنديك	طبع مصر سنة ١٨٩٧

٢ ـ الكتب الفرنسية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe siècle	**Paris**	**1900**
Deltour, Hist. de la littérature grecque	**„**	**1896**
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	**„**	**1874**
Prrens, Hist, de la littérature italienne	**„**	**1867**

(*) نشرت مخطوطات عربية كثيرة بعدتأليف هذا الكتاب سنة ١٩١١ ، وهى تعد من الامهات والاصول فى تفسير حياة العرب وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم على مر العصور . وسنشير الى طائفة منها فى تعليقاتنا ، وكذلك نشرت ابحاث كثيرة للمستشرقين ، وسنذكر أطرافا منها فى التعليقات والحواشى . ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من كتب المستشرقين التى ذكرها فيما بعد ترجمه بعض المعاصرين ، ومنها ما أعيد طبعه ، ومنها ما أضيف اليه تعليقات واضافات جديدة

Baret, Hist. de la littérature espagnole	Paris	1863
Jusserand, Hist, abr. de la littérature anglaise	„	1896
Duval, La littérature syriacque	„	1907
Seignobos, Hist. de la civilisation, 3 Vol.	„	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil, etc.	„	1877
Huart, Littérature arabe	„	1902
Dozy, Recherches sur l'hstoire et lit. de l'Espagne 2 Vol	„	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	„	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	„	1884

***

٣ – الكتب الانجليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Margoliouth, Mohammed and the rise of Islam	„	1905
De Boer, The hist. of philos. in Islam	„	1903
Scott. Hist, of Moorish Empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazer, A literary hist, of India	„	1892

***

٤ – الكتب الالمانية

Hammer-Puégstall Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12 Johrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wuestenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldziher. Muhammedanische Studien.	Halle	1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihr Einfluss auf die Cultur Suropa's.	Leipzig	1882
Schak, Pœsie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Lit. 2 Vol.	Weimar	1902

مقدمات تمهيدية

١ ـ ما هو المراد بآداب اللغة ؟

آداب اللغة علومها .. والمراد بتاريخ آداب اللغة (*) تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم ، فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل أمة تاريخ عام يشمل النظر فى كل احوالها ،ويتفرع الى تاريخ سياسى وآخر اقتصادى وآخر أدبى أو علمى . فالتاريخ السياسى يبحث فيما مر على الامة من الفتوح والحروب ، وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعى يبين الادوار التى تقلبت فيها تلك الامة من حيث عاداتها وأخلاقها . والتاريخ الاقتصادى يتناول النظر فى تاريخ مالية تلك الامة وثروتها وأحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الادبى أو العلمى ، وهو يبحث فى تاريخ الامة من حيث الادب والعلم .. فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء ، وما دونوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم فى الكتب ، وكيف نشأ كل علم وأرتقى ونفرع عملا بسنة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة ، كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتغلب واستبداد ، اذ لا يستطاع الوصول الى فهم حقيقة الامة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والادب فيها .. فهو شارح للتاريخ يعلل الاسباب والحوادث بعللها الحقيقية . فاذا قرأنا تاريخ أمة وعرفنا ما توالى عليها من الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية ، واستخرجنا أسباب تمدنها ورقيها أو تقهقرها وسقوطها .. مهما علمنا من ذلك كله ، فان الاسباب لا تزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم

(*) يستخدم المؤلف كلمة « تاريخ آداب اللغة » بمعناها الواسع المعروف عند الغربيين اذ يقصدون بها كل الانتاج العقلى والشعورى للامة فى مختلف الميادين العلمية والفلسفية والادبية عبر التاريخ ومع دوراته المختلفة . وتاريخ آداب اللغة بهذا المعنى ، يصور الجانب الحضارى للامة فى وجوه نشاطها العقلى والفلسفى والادبى . وهو لذلك يقف جنبا الى جنب مع تاريخها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ولايقتصر على الشعر والنثر الفنى وحدهما . وكان قدماؤنا يفهمون الادب هذا الفهم الواسع ، فيقولون : الادب هو الاخذ من كل علم وفن بطرف ..

الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها ، فتنجلى لنا العوامل الاصلية فى أسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الادبية ينم عما كانت عليه من الإرتقاء العقلى أو الميل القلبى وسائر أحوالها من الاعتدال أو العفة أو التهتك، ومن الهمة أو الخمول ، الى غير ذلك من الآداب والاطوار — وانما الامم الاخلاق ما بقيت — على أن تاريخ آداب اللغة لا يكون وافيا أن لم يوضح بالتاريخ السياسى

وأهل التمدن الحديث يجعلون البحث فى آداب اللغة من أهم الوسائل لتفهم تاريخها السياسى ، ويقسمون ذلك التاريخ الى أطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الاحوال الادبية ، ويقيسون ما تبينوه من الاطوار الماضية على ما سيكون .. فيتنبأون بمستقبل الامة متى عرفوا الطور الذى بلغت اليه فى أيامهم ، وبالقياس على الماضى ، يقولون ان هذه الامة هى الان فى دور الحماسة الشعرية مثلا ، ولا تلبث أن تنتقل الى العصر الادبى ، ثم العلمى فالفلسفى .. الخ ..

فتاريخ آداب اللغة (*) هو تاريخ عقول أبنائها ، وما كان من تأثير ذلك فى عرسهم وفى اخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقى العلمى وامتازت به عن سواها .. وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها ، وكيفية تفرعها او تخلفها بعضها عن بعض

٢ — أسبق الامم الى العلم

من هو أول من قال شعرا أو أول من رصد الكواكب ، أو أخترع الكتابة، أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى أشهر ، والاشهر الى اسابيع ، وهذه الى الايام فالساعات ؟ نعرف مثلا ان أول من رصد الكواكب الكلدانيون ، ولكن من هو الرجل الذى بدأ بالرصد ؟ ان ذلك ذهب فى ثنايا القرون المتباعدة ، كما ذهبت أسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمغزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب فى ذهاب تلك الاخبار ان الانسان عاش ادهارا قبل اختراع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره ، مع أن بعضها عظيم الاهمية بالنظر الى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان : احدهما قبل اختراع الكتابة ، والآخر بعدها . ولا دخل لاداب اللغة فيما هو قبل الكتابة ، لان معول أصحاب هذا العلم على ما بين أيديهم من مدونات العلوم والاداب .. فأى أمة دونت العلم أولا ؟ ..

(*) نشط البحث فى آداب اللغة عند الغربيين نشاطا واسعا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، اذ ظهرت الحركة الرومانسية ، ولم يعد الغربيون يكتفون بالنماذج اليونانية والرومانية ، بل اخذوا يعنون عناية واسعة بنماذجهم الحديثة ، ومن ثم عنى النقاد فى كل أمة غربية بكتابة تاريخهم الادبى الحديث . وقد نشطت دراسات علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، فأعانت هذه الدراسات على أن يحكم النقاد بحثهم فى الآداب وتاريخها وتطورها من زمن الاغريق الى العصر الحديث

لا خلاف فى أن الشرق أسبق الى تدوين العلم من الغرب .. فقد نظم المشارقة الشعر ، وعالجوا الامراض ، ووضعوا الشرائع ، ورصدوا الكواكب ، وعينوا أماكنها وسموها بأسمائها ، والغرب فى غفلة وظلام دامس .. فأى أمم الشرق أسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جوابا قاطعا ،لان أكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة فى مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينتبه العلماء الى أهمية هذه الآثار الا فى القرن الماضى،فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل الكتابات .. فحلوا الخط الهيروغليفى بمصر ، والمسمارى فيما بين النهرين ، والمسند فى اليمن ، والنبطى فى الحجاز ، والفينيقى فى فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير ، فاطلعوا على كثير من أحوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال فى أولها ، ولا يزال معظم الاثار مدفونا وخصوصا فيما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب .. أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

وادى النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الان ، أن وادى النيل ووادى الفرات أسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب ، وقد قضيا ادهارا وهما مزدهران منيران بالعلم ، وسائر العالم فى ظلام .. نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر فى عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أى منذ نحو ستة آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة فى عهد الاسرة السادسة بمصر انه كان متوليا ادارة الكتب ، فطلب الى ذويه أن ينقشوا ذلك على قبره ، منذ نيف وخمسة آلاف سنة

ويدل ذلك طبعا على وجود الكتب من ذلك الحين ، وان لم يصل الينا شىء منها،ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتاب الموتى » وهو كتاب الطقوس ، وفيه شعر وادب وتاريخ وعقود وعهود واغان، وبعضها قديم جدا ، ربما كان قبل عهد الملك مينا أول فراعنة مصر .. وهو يشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة ، كالفيدا عند البراهمة ، والزاندافستا عند الفرس ، والكنغ عند الصينيين ، والتلمود عند اليهود، لكنه اقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ، ويقال ان توسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالما بالطب ، فوضع فيه كتابا تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولا ريب أن الرياضيات فى عهد الاسرة الرابعة بناة الاهرام كانت من أرقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها ، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون فى مجلس تحتمس الثالث ورمسيس الثانى ، كما اجتمع بندار وزملاؤه من شعراء اليونان بعد الف سنة فى

مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد ألف وخمسمائة سنة أخرى فى مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم. وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد فى كل نصر أو فتح ، يمتدحون ملوكهم ويسمونهم ابناء الشمس وأصحاب التاجين

وادى الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور فى وادى الفرات ودجلة ، فان العلم عندهم قديم ، وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر من الاكتشافات الاثرية فى بابل ، انه كان هناك قبل تمدن البابليين امتان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية أو العلم : هما الاكاديون (*) والسومريون ، جاءوا وادى الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهى الاحرف المسمارية ، فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها اخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدومهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الانسجة . نزل السومريون والاكاديون وادى الفرات نحو القرن الخامس والاربعين قبل الميلاد اى منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة ، ومازالوا نبراسا يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق٠م ، أى نحو ٢٥ قرنا . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادى لغة وشكلا ، كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار .وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيرا من أسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك فى مزامير داود

اقدم مكتبة فى العالم

وعاصر هذه الامة فى وادى الفرات غير دولة من أصل سامى . وعثر المنقبون فى العراق على رقيم (حجر او لوح) عليه كتابة مسمارية فيها قائمة بأسماء ملوك ، حكم بعضهم منذ اكثر من اربعين قرنا ، ويدل ذلك على قدم التمدن فى ذلك البلد المبارك . وفى جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محبا للعلم والعلماء راغبا فى العمارة ، أنشأ مكتبة فى

(*) الاكاديون موجة سامية كبيرة انساحت من بلاد العرب — وهى الموطن الاصلى للساميين — الى حوض دجلة والفرات ، حيث كان ينزل السومريون ، وهم جماعات غير سامية سبقت الى التوطن فى هذا الحوض أثناء الالف الخامس ق . م . واسسوا فيه دولة وأقاموا به حضارة تأثر بها الاكاديون تأثرا واسعا . وما زالوا خاضعين للسومريين حتى استطاع سرجون الاول ، وهو أول عظماء الساميين فى التاريخ ، ان يؤسس فى العراق الدولة الاكادية حول سنة ٢٥٠٠ ق . م وبقى الملك فى هذه الدولة الى أن اغتصبته دولة بابل حول سنة ١٩٥٠ ق . م وهى دولة سامية كدولة الاكاديين ، واشهر ملوكها حمورابى الذى ولى الملك حول سنة ١٨٠٠ ق . م وهو صاحب الشريعة البابلية التى سيحدثنا عنها المؤلف فيما بعد . وظلت هذه الدولة قائمة حتى قضى عليها الاشوريون فى أواخر القرن السادس عشر ق . م وهم أيضا سطحيون . وانظر فى الصلة بين هذه الدول السامية والعرب كتاب «تاريخ العرب قبل الاسلام » لجواد على ، جزء ١ ، ٢ ، ٣ وتاريخ العرب لفيليب حتى جـ ١ ص ٤٣ والرافدان لسيتون لويد فى مواضع متفرقة و

D.D. Luckenbill -- Ancient Records of Assyria & Babylonia.

« وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته فى جمع الكتب قديمها وحديثها ، وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق .. كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وكسرى انوشروان فى جنديسابور فى القرن الخامس للميلاد ، وكما فعل الرشيد والمأمون فى بغداد فى القرنين الثانى والثالث للهجرة . وقد دون شرجينا هذه العلوم بالحرف المسمارى نقشا على الطين وهى الرقم المسمارية المعروفة ..

فكانت مكتبة « وركاء » هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها .. ثم نسخت بعد انشائها بخمسة عشر قرنا بأمر امير اشورى ، وحفظت فى دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر المنقبون على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطانى فى لندن ..

على ان هذه البقايا نتف اكثرها محطم لا ينتفع به . اما أقدم اثر علمى بقى سالما كاملا الى هذا العهد ، فهو شريعة حمورابى ... فانها دونت فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد رجحنا فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » ان دولة حمورابى عربية ، وانها اقدم دول العرب .. فاذا صح استدلالنا هناك ، كان اقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربى الفكر

ويلى المصريين والبابليين فى التمدن القديم الفينيقيون فى سوريا والحثيون فيها وفى آسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم ..

اليونان

ظلت الآداب زاهرة فى الشرق ، وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية ، حتى كان تقهقره على مقتضى سنة العمران .. فانتقلت الرياسة منه الى الغرب ، واسبق الامم الغربية الى ذلك اليونان لانهم اقرب الى الشرق من سواهم . وعنهم اخذ الرومان وانشأوا التمدن الرومانى . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة فى تاريخ آدابها ، والمرجع فى ذلك الى تاريخ اداب اللغة اليونانية فانها اساس آداب سائر لغات اوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والادباء واستقلت كل امة بلغتها وآدابها ، صار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها ، وقد الف فى اداب كل لغة منها عدة كتب وهى اشهى مايقرأ من تواريخ تلك الامم

على ان الاداب اليونانية كانت ايضا اساسا لآداب اكثر الامم التى ظهرت بعد اليونان فى الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامى مدين لاداب اليونان فى اكثر العلوم الطبيعية ، وكذلك الفرس فى نهضتهم أيام الاكاسرة

ثم ان الاداب العربية كانت أساسا لاداب كل أمة ظهرت فى اثناء التمدن الاسلامى او بعده .. حتى فى أوربا ، فالافرنج فى نهضتهم الاخيرة استعانوا على انشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ فى الشرق وأثمر أولا فى وادى النيل ووادى الفرات ، وانتشر منهمـــــا فى سائر المشرق .. ثم انتقل الى الغرب ، فتنـاوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار خاصا بهم . ومنهم أخـــذه الرومان فى الغرب والفرس والسريان والعرب فى الشرق . وانتقل من الرومان الى أمم أوربا فى الاجيال الوسطى وحفظ فى الكنائس والاديار

أما فى الشرق فانتقل علم اليونان أخيرا الى المسلمين ، فدرســــوه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا فى ذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصـــادا ومدارس ومكاتب فى نحو ألف سنة . فلما نهضت أمم أوربا لانشاء التمدن الحديث، اقتبسوا كثيرا من آداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى السنتهم فكانت أساسا لتمدنهم الحديث

٣ ــ مصادر آداب اللغة بوجه عام

الأمم تتشـــابه بطبائعها ومداركها من أكثر الوجوه وان اختلفت فى مواطنها ، ولذلك جاءت آدابها متشابهة (*) فى موضوعاتها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها ، مع تباين فى كل أمة تمتاز به عن سواها .. فآداب اللغة عند كل الامم قديما وحديثا مؤلفة من الشعر والنثر. والشعر يقسم الى موضوعات كثيرة من الحماسة والغزل والفخر والرثاء والمدح ، والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفـــاوت فى الاجادة واختلاف فى الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحا ، ولكنهم لم يفعلوا .. فلم يتيسر للمحدثين العثور عنـــد أكثرها على ما يصح جمعه ودرسه . وأقدم الامم التى دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو مانحن فاعلون فى هذا الكتاب اليونان ، فقد ألفوا فى آداب اللغة اللاتينية ، ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك فى تدوين آداب اللغات الســـامية ، فألفوا فى آداب لغة الهند والفرس والسريان والعرب

(*) مرجع هذه الفكرة ان الادب فى كل أمة انما هو تعبير النفس ، وحقائق النفس الانسانية فى كل الناس مشتركة، ولذلك كانت آداب الامم تتشابه ، وكان مايتخذ من قواعد فى درس نوع معين من أنواع الآداب صالحا لان يطبق على النوع الآخر ، اذ القـــوى الداخلية للنفس الانسانية كلها من جنس واحد، ولولا ذلك ما امكن مصريا أن يفهـــم الادب الفرنسى ولا مستشرقا ان يفهم الادب العربى؛ وهكذا الآداب الاخرى

واذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينهـا ، لكنك تجد لكل امة خصائص فى مشاعرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتـــاز الرومان فى السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس فى نفوسهم وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم فى الخيالات والاوهام . وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت فى المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت فيها وتناقلتها سائر الامم عنها، كامتياز اليونان بالفلسفة والشعر القصصى والتمثيل ، وعنهم أخذها سائر الامم . وامتاز الرومان بوضـع الشرائع والنظم السياسية والاجتماعية التى هى أساس شرائع أوربا ونظامهـا الاجتماعى الى اليوم ، وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على ألسنة الحيوانات مثل كليلة ودمنة وعنهم أخذها سائر النـــاس . واما العرب فقد ملأوا الدنيا شعرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قدوة النـــاس فى المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

وهكذا الامم الاوربية الحديثة .. فان لكل منها مزية فى شىء من آداب اللغة . فالفرنسيون أهل فصاحة وطلاقة فى الكلام والانشاء .. اشتهروا بذلك من أقدم ازمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد . « ان الغاليين أهل ذوق فى الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم من الكتاب والمنشئين والخطباء فى الادب بالقياس الى سائر أمم أوربا . والالمان يمتازون بأبحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الى أقصى جزئياتها ونقدها وتوسعهم فى قواعد اللغة . أما الانجليز فيمتـــازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة فى آرائهم فلا يبنون أبحاثهم الا عـــلى الواقع ، وترى ذلك ظاهرا فى أعمالهم وأخلاقهم . والايطاليون معروفون بتبريزهم فى الفنون الجميلة ، فهم شديدو التأثر بأعمال الطبيعةوظواهرها

على أن تفوق بعض الامم فى بعض الآداب ، لايمنع تشابه تلك الامم فى سائر الآداب .. ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية، أن نذكر أنموذجا من آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم ان الامم الشرقية القديمة لم تجمع آدابها ، وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثالا لنا . والامم المتمدنة الآن فى أوربا ، وأمريكا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينيـة أى لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليـــونان .. فآداب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتمدن ، لانها أساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو علم أو فلسفة فى اللغة الفرنسية أو الانجليزية او الايطالية أو غيرها الا وله أصل او اساس فى اللغة اليونانية ــ وأكثر مؤلفات تلك الامم ومنظومات شعرائهم فى الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان ــ وبالمثل

أمهن اللاتينية فان الانياد في اللغة اللاتينية لفرجيل ، انما هى نسخة من الياذة هوميروس ، وكذلك فردوس ملتن وجحيم دانتى وتلماك فنيليون وغيرهم ..

فأفضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهى أهمها جميعا ، ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عدة قبل الميلاد وهاك أقسامها:

٤ ـ آداب اللغة اليونانية (*)

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١ ـ العصر الخرافى : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ، ولم يبق منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم ، مما يسمى فى اصطلاح الافرنج ميثولوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهى الى القرن التاسع قبل الميلاد ، واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ ـ عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرنين التاسع والثامن (سنة ٩٠٠ ـ ٧٠٠ قم) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفى أو القصصى.. نعنى منظومات هوميروس فى الالياذة والاوديسة ، وفيه جرت حروب طيبة وحصار طروادة الذى وصفه هوميروس فى الياذته . ولم يبق من آداب هذا العصر غير الشعر القصصى ، ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصى ، وقد عاش اسمه بالياذته التى نقلت الى سائر لغات العالم وبأوديسته . اما هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعرا فى نشيدين احدهما الف بيت ، ذكر فيه أنساب الآلهة والآخر ثمانمائة بيت وصف فيه الطبيعة ويسمى « الاعمال والايام » ونسبوا اليه نشيدا ثالثا مؤلفا من أربعمائة بيت وصف به درع هركيل

٣ ـ العصر الثالث : (سنة ٧٠٠ ـ ٥٠٠ قم) .. وفيه تحضر اليونان وعمروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط والبحر الاسود واتسعت تجارتهم ، وقامت الفتن بينهم فى التنازع على السلطان فقام مثل هذا التنازع فى آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلى واستقر فى اثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبغ الشعراء فى بلاد اليونان بأوربا وآسيا وفى الجزائر وصقلية وفى اسبارطة وطيبة . وظهر فيها الشعر الغنائى أو الموسيقى وهو المعبر عن الشعور كالمدح والفخر والحماسة والغزل مثل الشعر العربى . ونبغ فى كل قوم أو بلد شاعر أو غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائرهم . وتكاثر الشعراء واخذوا يتمادحون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب فى الجاهلية يفعلون ، ولذلك سموا هذا العصر عصر الشعر الغنائى Lyric

---

(*) اصلحنا هنا قليلا فى النص راجعين فى ذلك الى كتب الادب اليونانى والى ما يصطلح عليه المترجمون اليوم فى كتابة بعض الاعلام اليونانية

فمن شعراء هذا العصر الهجائين ارشيلوك الفاروسى من أهل القرن السابع ق.م ولم يبق من شعره الا نتف مبعثرة . وسيمونيد الامارغوسى كان معاصرا لارشيلوك ، ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتا فى وصف المراة . وهيبونكس الافسسى من أهل أواسط القرن السادس ق . م .. كان ظهوره فى آخر التنازع بين الاشراف والعامة ولم يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسسى وتيرتيه . ومن أصحاب السياسة صولون استخدم الشعر فى السياسة وهو مشهور . ومن أهل الهجاء والحكمة ثيوغنيس الميغارى نبغ فى سنة ٦٥٠ ق .م ، وشعره ادبى حكمى ولا يزال باقيا من منظومه الى الآن ١٢٠٠ بيت

واقدم شعراء الشعر الغنائى عندهم تربانذر ويقال انه هو الذى اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه Lyre واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وخلفه اريون والسيى وسافو . ونبغ ايضا شواعر من تلامذته منهن ارينى . ومن قبيل الشعر الغنائى الشعر الدينى الذى كانوا يغنونه فى الصلوات

واشهر شعراء اليونان فى الشعر الغنائى بندار فهو مثل هوميروس فى الشعر القصصى ، ولد سنة ٥٢٢ ق.م وله آثار كثيرة لاتزال باقية الى الآن ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبى فى مدح سيف الدولة ، والأخطل فى مدح عبد الملك

وفى هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضى المشهور وزينوفون وبرمنيدس وامبيدقليس وطاليس وانا كسميندر واناكساغورس وغيرهم

٤ ــ العصر الذهبى أو الاثينى : (سنة ٥٠٠ ــ ٣٢٣ ق.م) نسبة الى اثينا لان اكثر ادباء هذا العصر نبغوا هناك ، وفيه نضج الشعر التمثيلى والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . واقدم شعراء التمثيل تسبس وفرينيكوس وبراتيناس واشهرهم اسكيلوس وسوفوكلس ويوربيدس التمثيل المحزن (تراجيدى) وارستوفانس . واشهر مؤرخيه هيكاتس وهيرودوتس أبو التاريخ وتوسيديد . ومن الخطباء بريكليس والسيبياد وكوراكس وتيسياس وبراتاغوراس وانتيفون واندوسيد وليكورغوس وهينريد ودينارك وديموستين. ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ ــ العصر الاسكندرى : (٣٢٣ ــ ١٤٦ ق.م) وفيه انتقل العلم من أثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة ، فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هى وحدها مسرح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر فى الرياضيات أوقليدس وأرخميدس . وفى التاريخ مانيثون . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستن . ومن الشعراء الملقين كليماك وابولونيوس الرودسى ويوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفرون وتيمون ومنيب وثيوكريت وشهرته ترجع الى شعره الرعوى . ومن الفلاسفة ليسيوس وابيكوروس

٦ ـ العصر اليوناني الروماني : (١٤٦ ق.م ـ ٥٥٠ ب.م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت فى حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح اهلها ـ والذل يذهب بالقرائح ـ فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية أحدثت تغيرا فى تلك الآداب فأدخلت فيها بعض الاساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر فى التاريخ والادب بوليبس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو وديونيس وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس وأريان وأبيان وباوسانيس وهدريان . وفى الشعر أرخياس وابولودورس . ومن الفلاسفة فيلون وأناسيديمس وكريسوستوم وغيرهم ..

٧ ـ العصر البيزانطى : (من سنة ٥٥٠ ـ ١٤٥٣ ب.م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . ومازالت مرجع العالم اليونانى حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م ، فانقضت دولة الروم وتشتت علماؤها فى أوربا . وكانوا فى جملة من أعانها على نهضتها فى انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيمريوس وتمستس وليبانيوس وجوليان وهليودورس وأشيل تايتوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية ، فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية .. فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها ، فان أقدم آدابها دائما الشعر الدينى يليه الشعر القصصى والتمثيلى فالغنائى ، ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعى ، ثم تستغرق الامة فى المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جدة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

٥ ـ آداب اللغة العربية وأقسامها

واذا نظرنا الى آداب اللغة العربية واخواتها الساميات ، رأيناها تنطبق على ما تقدم بوجه اجمالى . أما عند التفصيل ، فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقا كالفرق بين طبائع الامتين .. فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره غنائى ، وليس فيه من الشعر القصصى الا نتف قليلة . أما التمثيل فيظهر لاول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسترى أنه موجود فيها .. ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصى والتمثيلى ، فان اللغة العربية واخواتها تمتاز بنوع من الآداب كبير الاهمية ليس منه فى لغات الافرنج الا نتف نعنى « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية ، وتندر فى سواهما ..

وآداب اللغة العربية التى هى موضوع هذا الكتاب أغنى سائر الآداب السامية ، بل هى على الاجمال أغنى آداب سائر لغات العالم .. لأن الذين وضعوا ادابها فى أثناء التمدن الاسلامى أخلاط من أمم شتى جمعهم الاسلام

أو الدولة الاسلامية ، وفيهم العربى والفارسى والتركى والهندى والسورى والعراقى والمصرى والرومى والارمنى والبربرى والزنجى والصقلبى وغيرهم .. وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربى وألفوا الكتب العربية فى الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحاسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، وأدخلوا فيها كثيرا من أساليب ألسنتهم الاصلية بدون قصد أو تعمل

ونريد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ماتقلبت عليه اللغة وادابها من اقدم أزمانها الى الآن .. فهى بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه ، وقد لاحظنا فى تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الامة من الانقلابات السياسية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح ..

أقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويمكن تقسيم تاريخ آداب اللغة العربية حسب علومها وادابها او حسب الاعصر التى توالت عليها . ونريد بتقسيمها حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على ان نبدأ بأقدمها ونتدرج الى أحدثها فنبدأ بآداب الجاهلية ، فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار فى الجاهلية والاسلام الى اليوم . ونفعل مثل ذلك فى الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الاسلامية . هكذا نفعل بالعلوم الدخيلة منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن ..

أما تقسيمها حسب العصور ، فيراد به الكلام عن العلوم كلها معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه فى هذا الكتاب لانه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها فى العلم والادب. ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم الى الان .. نعنى ظهور الاسلام . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وآدابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين : عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى أعصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهى :

١ ــ عصر صدر الاسلام
٢ ــ العصر الاموى
٣ ــ العصر العباسى
٤ ــ العصر المغولى
٥ ــ العصر العثمانى
٦ ــ العصر الحديث

وقسمنا العصر العباسى الى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه فى مكانه ..

آداب اللغة قبل الإسلام

١ ـ العصر القديم أو الجاهلية الاولى (*)

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث فى آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ، ولاعتقادهم أن العرب حتى فى الجاهلية الثانية قبل الاسلام كانوا غارقين فى الفوضى والجهالة لاعمل لهم الا الغزو والنهب والحرب فى بادية الحجاز والشام وفى نجد وغيرها من بلاد العرب • على أننا اذا نظرنا

(*) اصاب المؤلف فى تقسيم عصر الجاهلية الى فترتين : فترة الجاهلية الاولى وفترة الجاهلية الثانية ، وهى الجاهلية التى جاءنا عنها الشعر وهى لاتمتد الى أكثر من قرنين قبل الاسلام اما ما قبل ذلك ، فهو الجاهلية الاولى • غير أنه حين تحدث عن هذه الجاهلية القديمة ابعد فى التاريخ الى عصر حمورابى البابلى وجعل لغة البابليين عربية • وفى هذا مخالفة لما اصطلح عليه علماء الساميات من تقسيم اللغات السامية تقسيما لغويا الى خمس أسر : أسرة اللغات الاكادية والبابلية والاشورية ، وأسرة اللغات الآرامية ، وأسرة اللغات الكنعانية مثل الفينيقية والعبرية ، وأسرة اللغات الحبشية ، ثم أسرة اللغات العربية ، وهى تنقسم قسمين عامين الى شمالية وجنوبية يمنية

واذن فحين نتحدث عن الجاهلية الاولى لآداب اللغات العربية ، ينبغى الا نتحدث عن جاهلية اللغات السامية الاخرى ، فلكل لغة سامية جاهليتها الخاصة • وقد كشف الباحثون اللثام عن كثير من شئون الجاهلية للغات العربية (ونقصد الجاهلية القديمة ، بفضل النقوش الكثيرة التى وجدوها فى اليمن على المعابد والعمد والنصب والاسوار والابراج والحصون ، ووجدوا ايضا نقوشا مختلفة فى شمالى الحجاز بمنازل ثمود واللحيانيين وعلى حدود الشام ..

وقسم العلماء هذه النقوش الى ثلاث مجموعات : مجموعة لهجات عربية جنوبية للممالك التى قامت فى الجنوب منذ أواخر الالف الثانى ق . م وأهمها قتبان فى الجنوب الغربى ومعين شماليها فى الجوف وبجانبها سبأ ، وامتدت حضرموت وظفار الى الشرق . وكان لهذه الممالك علاقات تجارية مع حوض بحر الروم ؛ واستطاعت أن تنهض بحضارة راقية على أساس التجارة والزراعة ، كما استطاعت معين (١٢٠٠ ـ ٧٠٠ ق م) وسبأ (٧٥٠ ـ ١١٥ ق م) أن تؤسسا لهما مستعمرات فى الشمال بطريقهما الى حوض بحر الروم ليحميا قوافلهما التجارية ، وكان لسبأ نظام محكم فى تدبير شئون الزراعة بما أقامت من سدود أشهرها سد مأرب . وخلفت الدولة الحميرية ، دولة الاقيال والاذواء التبابعة ، سبأ • وقد أخذ الضعف يدب الى هذه الدولة بسبب سيطرة الرومان على الملاحة فى البحر الاحمر ، وغزاها الاحباش غير مرة ، فضعفت امكانياتها ، وتخربت سدودها وعلى رأسها سد مأرب المشهور ، فتفرق اهلها وتعاقبت هجراتهم الى الشمال منذ القرن الثالث الميلادى ومالبثت أن استولت عليها وعلى بلادها سنة ٥٢٤ م ..

وهذه المجموعة الجنوبية بلغاتها ولهجاتها المختلفة من قتبانية ومعينية وسبئية وحميرية

الى لغتهم كما كانت فى عصر الجاهلية ، نستدل على أن هذه الامة كانت من أعرق الامم فى المدنية لانها من أرقى لغات العالم فى أساليبها ومعانيهـــا وتراكيبها .. واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع ادابهم . فالمتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا فى القرآن والشعر الجاهلى والامثال ، لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن الى قرنين فقط .. اذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتـــوالى الادهار ، فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه فى أماكنه

على أن الاكتشافات الاثرية أيدت هذا الرأى بما أظهرته من بقايا تمـدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرنا . ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لأن ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر فى جانب ما بقى مدفونا فى الرمال . فضلا عما ظهر من فضل العرب واعراقهم فى المدنيـــة والعلم ، مما قرأوه من اثار بابل وآشور . ناذا صح أن دولة حمورابى التى تولت بابل وسائر العراق فى القرن العشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك فى كتابنا« العرب قبل الاسلام» (١) كان العرب من أسبق الامم الى «المدنية ، فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم .هذه شريعة حمورابى التى عثروا عليها فى بلاد السوس منقوشة بالحرف المسمارى على مسلة من الحجر الاسود الصلب ـــ سنها حمورابى فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أى قبل شريعة موسى بثلاثة او أربعة قرون .. وهى مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث فى طبقات الامة وحقوق المراة وواجباتها والزواج والتبنى والارث وغيره ..

تختلف اختلافا واضحا عن المجموعة الشمالية فى أصول قواعدها وألفاظها ، مما جعل بعض اللغويين العباسيين يقول : ما لســـان حمير(يقصد هذا اللسان الجنوبى جميعه) بلساننا . اما المجموعة الثانية فهى مجموعة من لهجـات للعربية الشمالية ، ولكنها كتبت بنفس القلم الذى كان يكتب به الجنوبيون وهو المســـمى بالمسند ، ولذلك ميزها الباحثون من مجموعة أخرى شمالية كتبت بالخط النبطى الذى تطور الى خطنا او قلمنا العربى المعروف . وقـد وجدت نقوش المجموعة الثانية فى منازل ثمـود شمالى الحجاز ، حيث كانوا يقيمون حـــول القرن الثامن ق . م ، وكذلك فى منـــازل اللحيانيين الدين خلفوهم ، وأيضا فى انصــفا بحوران جنوبى دمشق ، ومن ثم سميت هــذه النقوش باسم الثمودية واللحيانية والصفوية أما المجموعة الثالثة فقد كتبت بنقوش آرامية نبطية ، وهى أحدث من النقوش السابقة ، اذ يرجع اقدمها الى القرن الثالث الميلادى .ومعروف ان النبط استطاعوا ان يقضوا على اللحيانيين فى القرن الرابع ق . م ويؤسسوا فى شمال الحجاز مملكة كانت حاضرتها البتراء، وظلوا بها حتى قضى عليهم الرومان فى اوائل القرن الثانى الميلادى ، وقصــتهم مع ملكتها الزباء مشهورة . كما قضـــوا على دولتهم الثانية فى تدمر فى أواخر القرن الثالث الميلادى
وواضح مما قدمنا ان عرب الجنوب حين ضعفوا اتجهوا الى الشمال فى الحجاز ، وهذا نفسه ما حدث لعرب الشمال امام الرومان ، فكأن الحجاز كانت نضم الارستقراطية العربية المكونة شمالا وجنوبا ، واستطاعت مكة أن تنزعم هذه الارستقراطية ، فتحولت اليهـــا مفاتيح القوافل التجارية . والمظنون أن اليمنيين قبـل هجرتهم الى الشـــمال فى عصر الدولة الحميرية كانت لهم جاليات فى محطات قوافلهم على طول الطريق التجارى الى الشام والعراق . وانظر فى تاريخ عرب الجنوب والشمال كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على وتاريخ العرب لفيليب حتى وما ذكراه من مصـــــادر مختلفة ، وانظر ايضا كلمات قتبـــان ومعين وسبأ وحضرموت والنبط وثمود ولحيـــان فى دائرة المعارف الاسلامية . وأوليرى
O'leary, Arabia before Mohammed

(١) العرب قبل الاسلام صفحة ٤٩

والحمورابيون أو عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن • وقد كشفوا فى آثار زيبارا أنقاض مدرسة لتعليم الاطفال • وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه فى التمدن القديم أى منذ أربعة آلاف سنة ، وكان فيها (رقم) أو أحجار منقوشة عليها دروس للاطفال والاحداث فى الحساب والهجاء وجداول الضرب والمعجمات ونحوها • واكتشفوا كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار أو الرقم وأكثرها لحمورابى وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية • ومن أكبر أدلة الرقى فى ذلك العهد أن المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن يمارسن المهن القلمية ، وانتظم جماعة منهن فى خدمة الدواوين والمصالح الاميرية ..

فاذا صح أن هذه الدولة عربية ، كان العرب أسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم ، وأنهم بلغوا فى نظام الاجتماع مالم يبلغ اليه معاصروهم ، وأدركوا من الرقى الاجتماعى ما لا يزال بعض الامم المتمدنة فى هذا العصر بعيدين عنه ..

ونحن فى غنى عن التنبيه الى أن قولنا ان الدولة الحمورابية عربية ليس مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » • واذا صحت عربية تلك ، فلا يستلزم أن تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا أن عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش •• فان بين الدولتين نحو ٢٥ قرنا ، والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

ولا يقتصر فضل الحمورابيين او عمالقة العراق على ما شادوه فيما بين النهرين وما خلفوه هناك من آثار مدنيتهم وعلمهم ، فقد نشروا ادابهم وديانتهم وشريعتهم فى جزيرة العرب وخصوصا فى البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدين والحجاز ..

ويوجد تشابه بين شريعة موسى وشريعة حمورابى كما بينا ذلك فى الهلال العدد الخامس سنة ١٣ اذ أتينا بنصوص متقابلة متشابهة فى الشريعتين ، وحمورابى قبل موسى بثمانمائة سنة

سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب فى ذلك العصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر فى التوراة عربى الاصل • نظم ذلك الكتاب شعرا عربيا فى نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورابيين من بين النهرين ، ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة ، وضاع أصله العربى كما ضاع أصل كليلة ودمنة الفارسى • فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر ، لانه نظم قبل الياذة هوميروس بألف سنة وقبل مهابهاراتة الهند بعدة قرون

٢ ـ الجاهلية الثانية

أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبنى على الحدس والتخمين لاستغراقه فى القدم وضياع أخبار تلك الجزيرة بمرور الايام . ولعلهم اذ نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية (*)

وعلى كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقا .. فالحمورابيون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية ، فأكثرهم أهل بادية ونجع .. وكانت لغة الحمورابيين أقرب الى الاشورية منها الى العربية ، فلغة أيوب اذا كانت عربية فهى غير عربية مضر التى وصلت الينا من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيرا جدا ، أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن .. لان أهل هذين الاقليمين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه ، فكلما ساقتهم طبيعة النشوة نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيرا

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذى وجدوه بين لغة عرب الشام فى أوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرىء القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام (*) وذلك أنهم عثروا فى أطلال النمارة فى حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطى

(*) اتخذ المؤلف هنا من لغة الحمورابيين او البابليين مثالا للغة الجاهلية الاولى عند العرب ، واشرنا قبلا الى ما فى ذلك من خطأ ، فلغة الحمورابيين شعبة سامية حقا ، ولكنها من أسرة أخرى غير الاسرة العربية التى تتفرع فرعين كبيرين ، فرع جنوبى يمنى وفرع شمالى مضرى ، والفرعان يختلفان اختلافات جوهرية فى لغتيهما . ووجدت فى الشمال نقوش كتبت بخـط المسند الجنـوبى ، وهى النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية ، وهى أقدم نقوش لجاهلية العرب الشماليين الاولى وتمتاز بخصائص لغوية ونحوية تدل على ان تطورا واسعا حدث فى اللغة العربية الشمالية قبل أن تجرى على لسان امرىء القيس ونظرائه من شعراء الجاهلية الثانية .. وأقرب من هذه النقوش الى العربية المضرية النقوش النبطية التى وجدت منذ القرن الثالث الميلادى ، وهى نقش أم الجمال ، نبذة من أعمال حوران بالشام ، وتاريخه سنة ٢٧٠ م ونقش النمارة الذى ذكره المؤلف ثم نقش زبد ، وتقع فى الجنوب الشرقى لحلب ، وتاريخه ٥١١ م ونقش حران اللجا ، بجنوبى دمشق ، وتاريخه سنة ٥٦٨ م

(*) جعل المؤلف الفرق بين لغة الشعر الجاهلى او لغة مضر وبين لغة البابليين كالفرق بين هذه اللغة المضرية ولغة نقش النمارة ، والفرق بين البابلية وبين العربية كالفرق بين العربيه والعبرية او الحبشية مثلا ، اما نقش النمارة فهو من العربية الشمالية وليس من أسرة سامية أخرى ، بل ليس من العربية الجنوبية . وكل ما يمكن ان يقال أنه يرجع الى عصر سابق على التطور النهائى للعربية الشمالية ، حين كانت خصائص هذه اللغة تتطور وتتشكل وتسير نحو الكمال المنتظر

نقشت فى أوائل القرن الرابع للميلاد أى قبل الاسلام بثلاثة
صـــورتها ٠

١
٢
٣
٤
٥

كتابة عربية بخط نبطى على قبر امرىء القيس بن عمـرو ســـــنة ٣٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

١ ــ تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر

٢ ــ وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدى و

٣ ــ يزجو (؟) فى حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونز

٤ ــ الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه

٥ ــ عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

هذا لسان عربى تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضا
تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :

١ ــ هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى ٠

٢ ــ وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليو

٣ ــ الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعم

٤ ــ على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك

٥ ــ الى اليوم ٠٠ توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ١٧ أيلول (سبتـ
بنوه للسعادة

وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون فى ذلك العهـــ
البصروى نسبة الى بصرى عاصمة حوران ، وهو يبدأ بدخولها فى ـ
سنة ١٠٥ للميلاد ٠ فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ للـ
السنة التى توفى فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره ، والمدة بين هـــذين العـ
قرون ، فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرنا ؟ والتغيير طبيع
لغة عملا بناموس النشوء ٠٠ اعتبر ذلك فى الفرق بين اللغة اللا

الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغـــة الانجليزيه القديمة والحديثة وغير ذلك

فآداب العرب فى جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون ٠٠ وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتى

٣ ـ درجة ارتقاء عقول العرب

وقد يتبادر الى الاذهان أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب ٠٠ ولكن يظهر مما وصل الينا من أخبارهم أنهم كانوا كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحنكة ٠ وأكثر معارفهم من ثمار قرائحهم ، وهى تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم فى الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة ٠ فان قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

رأيت المنايا خَبْطَ عَشْواء من تصب تمتـــه ومن تخطىء يعمَّر فيهـــرم
رأيت سفاهَ الشيخِ لا حلم بعده وأن الفتى بعـــد السفاهةِ يَحْلُم
وأعلم ما فى اليومِ والأمس قبله ولكننى عن علمِ ما فى غـــد عَمِى
ومن لم يُصَـــانع فى أمورٍ كثيرة يضرَّس بأنيـــاب ويوطأ بمنســم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِره ومن لا يتق الشـــتم يشتم
ومن يصـــنع المعروف فى غير أهله يَعُدْ حمـــده ذما عليـــه وينـــدم
ومن لايزل يستحمل الناس نفسه ولا يُغْنِها يوماً من الدهر يســأم
ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقة وإن خالَها تَخْفى على الناس تُعلم

لا يقل شيئا عن احكام أكابر الفلاسفة .. وأنك تجد كثيرا من أمثال ذلك فى اشعارهم ، كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد ان عولج قرونا متطاولة ذهبت اخبارها .. فهم لذلك يشكون من أن أســـلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يطرقوه كقول عنترة :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وقول زهير :

ما أرانا نقـــولُ إلا مُعَارا أو مُعَـــادا من قولنا مَكْرورا

ارتقاؤهم فى السياسة والعمران

على انك اذا نظرت فى لغتهم تبين لك أن أصحابها من ارقى الامم سياسيا واجتماعيا وأن عرفنـــاهم بدوا رحالة .. واللغـــة دليـــــل أخـــلاق

الامة ومرآة آدابها وسائر أحوالها . ومن المقـرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث فى أذهان أصحابها ... فاذا وجـدنا فى لغة من اللغات اسما لنوع من اللباس ، نحكم حكما قاطعا بأن اصحابها عرفوه أو لبسوه ، او نوعا من الاطعمة عرفنا انهم اكلوه . وبعـــكس ذلك خلوها من أسماء بعض الادوات ، فانه يدلنا على جهلهم اياها ..

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التى تدل على المعانى المجردة كالعواطف والفضائل ، فان وجودها فى اللغة يدل على أن أصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل وعانوها .. ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هـذه الالفاظ وامثالها ..

واللغة العربية من أغنى لغات الأرض بالالفاظ العمرانية والسياسية .. ان فيها عشرات من الالفـاظ لضروب الجماعات من الناس على اختـلاف أغراض اجتماعهم : كالشعب ، والجماعة ، واللجنة ، والزرافة ، والسرب ، والكوكبة ، والقوم ، والنفر ، والشرذمة ، والعصـــابة . ومثـلها لاماكن الاجتماع : كالمحفل ، والنادى ، والندوة ، والمأتم ، والمجلس ، والموسم ، والمدرس ، والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند : كالجريدة ، والسرية ، والكتيبة ، وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاســـماء والالقاب كالمقاط ، والـيراع ، والانبـوبة ، والاسل ، والجلفـــة للقلم ، والقرطاس ، والطرس ، والمهرق ، والرق ، والطلس ، والمجلة ، والصحيفة .. ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القمطر : كتاب الاعمال ، المدرس : الصك ، الزبور ، الرقيم ، والسفر : الكتاب الكبير ، والضبار : الكتب بلا واحد ، الرهنامج : كتاب الطريق وهو الكتاب الذى يسلك به الربابنة البحر ويهتدون به فى معرفة المراسى وغيرها ، الوصيرة : الصك للسجلات ، وقس على ذلك

وقد عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فأكثروا فيها من المترادفات التى يدل عشرات أو مئـات منها على معنى واحـد أو معان متشـــابهة . وتوسعوا فى مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه .. فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ، ومثلها أو اكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعانى لالفاظ الخال والخمر والدين والركن والغرب والحر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لامثيل له فى أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف أصحاب هذه اللغة بالمعانى والمبانى لخصب عقولهم وسعة مداركهم ..

ارتقاؤهم فى التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم فى المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال .. فان منها بضعة وعشرين اسما لكل منها معنى من المعانى الاقتصادية التى ترجع الى الاستثمار وغيره ، منها : التلاد : المال الموروث ، الركاز :

(١) لطائف اللغة ٦٤ و ١٠٨

المال المدفون ، الضمار : المال لا يرجى ، الطارف : المال المستحدث ، التالد : المال القديم ونحو ذلك من اسماء النقود وانواعها من الذهب والفضة .
وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسما كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على انواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجدب ونحو ذلك . ومن الادلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة أسماء السفن عندهم ، وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك أسماء الرياح وهي تزيد على المائة ، ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة ، فاذا ابتدأت بشدة فهي النافجة ، فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع » .. وقس على ذلك سائر اسمائها ، وهي تدل على توسعهم في معرفة الظواهر الجوية . ومن هذا القبيل أسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الموازين ، فانها كثيرة . واعتبر ذلك في كثرة أسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما لا يكاد يحصر . وتجد منه امثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها ..

تعقلهم وآراؤهم

وذلك في أمثالهم والكنايات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالاحاجي والالغاز وفتيا العرب أدلة أخرى على ارتقاء أذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضا في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم ، وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللاادرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان الخلق خالقا لا اعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثير من المفكرين في هذا العصر

ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيا :

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ... عَدْل وولّى الملامةَ الرجلا

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون أن الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة ..

وترى أقوالهم المأثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور ، كالأقوال المنسوبة الى أكثم بن صيفي وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك أن المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية ، وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأو الذي بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام

عمدتهم فى اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والاداب الجاهلية أساس الآداب الاسلامية فى ابان التمدن الاسلامى ، كما كانت الآداب اليونانية والرومانية أساس الآداب العصرية فى التمدن الحديث ..

وكان للعرب فى جاهليتهم ألقاب يلقبون بها النابغين منهم ، كما كان لسائر الامم المتمدنة قديما وحديثا .. فاذا نبغ أحدهم فى الشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته ، فقالوا « شاعر تميم » أو عامر أو نحو ذلك ، فيكون هذا اللقب مميزا له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا أمتاز أحدهم بالحكمة والفصل فى الخصومة سموه « الحكم » مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن أحرز كل الاداب والفضائل ، وهو لفظ «الكامل» فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا وهو يشبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به أرسطو ، ولعل العرب أقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغى لنا أن نستخف بآداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هى أكثر من ذلك . ولكن أكثرها ضاع لانها لم تدون ، فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام .. فنستدل بما بقى على ما كان ..

٤ — المرأة فى الجاهلية

ومن أكبر الادلة على رقى العرب فى جاهليتهم ارتقاء نسائهم .. فقد كان للمرأة عندهم رأى وارادة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم .. فنبغ غير واحدة منهن فى السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة، ولا سيما فى أوائل الاسلام على اثر ما حصل من النهضة فى النفوس والعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال واكثرها فى المدينة مقر الخلافة الاسلامية فى ذلك العهد

الشهيرات فى الشجاعة

فاللواتى اشتهرن فى الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو قوة النفس ، منهن سلمى بنت عمرو احدى نساء بنى عدى النجار .. فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وأمرها بيدها ، اذا رأت من الرجل شيئا تركته على ان الغالب فى نساء الجاهلية ، أن يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد أن يشاورها .. واشتهرت التيميات من نساء قريش بحظوتهن عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهن بالبسالة فى أثناء الغزوات . ففى معركة أحد وقع اواء قريش فى ساحة القتال ، فلم يزل صريعا حتى أخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابى سفيان فى تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهى تنشد فى تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة ، خرجت مع النسوة تمتار جثث الموتى فوجدت

بينها جثة حمزة عم النبى فمثلت بها .. ثم علت صخرة وانشدت أشعارا تفخر بالفوز على المسلمين ..

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال ، فيداوين الجرحى ويحملن قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب الانصارية ، وأم حكيم بنت الحارث ، والخنساء الشاعرة أخت صخر وغيرهن ..

الشهيرات فى الرأى والحزم

ونبغ فى الرأى والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد ، وكانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال ، تنتقى من اشتهر من الرجال بالامانة والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم . ولما سمعت بشهرة الرسول – قبل الدعوة – بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه أن يخرج فى مالها تاجرا الى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من الرجال . فلما نجح فى تجارته ، عرضت عليه أن يتزوج بها فأجابها . وهى أول من أسلم ، وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه .. وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل أكبر نفسا من الخنساء عندما حرضت أولادها على الثبات فى واقعة القادسية ، فلما بلغها أنهم قتلوا فى سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم »

الشهيرات فى الشعر والادب

وكان للمرأة فى الجاهلية شأن فى الشعر والادب وسائر العلوم ، فنبغ منهن عدة شواعر اشهرهن الخنساء وخرنق ، ولهما اشعار مطبوعة ومنشورة على حدة .. وهناك عشرات من النساء الشواعر ، ذهبت أشعارهن الا قليلا جاءنا عرضا فى بعض الاخبار .. منهن كبشة أخت عمرو بن معدى كرب ، وجليلة بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور ، ولها فيه مراث لم ينظم أحسن منها ، وميسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر وقد رثت زوجها ، وأميمة امرأة ابن الدمينة فقد قالت شعرا فى عتابه لم يقل فى العتاب أحسن منه . وسيأتى خبر ذلك فى ترجمته ، وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو نواس يروى لستين شاعرة من العرب

وكان عندهم خطيبات ، اشتهر منهن هند بنت الخس وهى الزرقاء وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات أشهرهن زينب طبيبة بنى أود كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح ، غير من كن يرافقن المحاربين ويضمدن الجراح فى ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به فى المجالس ،

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ص ٥٦ ج ٥

فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم فى أيهما أشعر ، كما فعلت جندب زوجة امرىء القيس اذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل ، فحكمت حكما يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجىء فى ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن فى صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية .. كن يعقدن المجالس للمذاكرة فى الشعر وانتقاده ، كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم ، وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة ، وكانت أديبة عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان فى مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلا ريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة أبى دهبل الشاعر ، فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر قبل أن يتزوجها ، ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن ، لم يبلغ اليه الناس الا فى الامم الراقية وفى أرقى جماعاتهم

وبالجملة فالامة التى تكون هذه حال نسائها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن فى الشجاعة والادب والشعر والرأى أمة راقية

٥ ـ أقسام آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسميها العلوم العربية .. وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها ، وأكثرها دخيل على هذه الصورة :

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيل	الميثولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط فى الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية أهمها كلها .. وهى التى كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال ، فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لايزال الادباء يتحدونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فقد حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس ، وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر ، وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل . فنقدم الكلام فى الاهم منها

اللغة العربية

هى احدى اللغات السامية .. ويريدون باللغات السامية اللغات التى كان يتفاهم بها أبناء سام ــ وهم في اصطلاحهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام ــ اشهرها العربيـــة والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية . ولم يبق حيا منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية أرقاها جميعا

واللغات السامية اخوات لا يعرف لهن أم ، وظن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة أمهن ، كما أن اللغة اللاتينية أم اللغات الاسبانية والايطالية والبرتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمعول عليه ان هذه اللغات السامية أخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ

١ ــ تاريخ اللغة العربية

البحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول اولا : النظر فى نشأتها منذ تكونها مع مامر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق واساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث فى هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه فى كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانيا : النظر فيما طرا على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى ، فأكتسبت من لغاتهم الفاظا وتعبيرات جديدة كما يقتبس اهلها من عادات تلك الامم واخلاقهم وآدابهم ما يوافق ذلك من تنوع معانى الالفاظ بتنوع الاحوال ، مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة . ثالثا : النظر فى تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبى اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالآداب أو اللغة أو الشرائع او غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال فى أثناء نموها وارتقائها وتفرعها ، رأيتها تسير فى نموها سيرا خفيا لا يشعر به الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطىء وثبات قوية تأتى دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغيرا ظاهرا وهو ما يعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات فى الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة أقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف ..

أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبى أو متشرع أو فيلسوف كبير أو نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الافكار وتتمازج الطباع ، فتتنوع العادات والاخلاق والاديان والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك بل هى الحافظة لآثار ذلك التغيير فتدخرها قرونا بعد زوال تلك العادات أو الآداب أو الشرائع ، واذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبديله

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارىء مثل سائر اللغات الحية ، وتقلبت على أحوال شتى ، فتنوعت الفاظها بالنحت والابدال والقلب ، ودخلها كثيرمن الالفاظ الاعجمية فى أعصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط فى أزمنة لم يدركها التاريخ • وانما نستدل على ذلك من درس الفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن بصددها هى لغة الحجاز التى وصلت الينا . وكانت قبل الاسلام لغات عدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختـــلاف فى اللفظ والتركيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور . . وأقرب هذه اللغات شبها باللغة السامية الاصلية ابعدهاعن الاختلاط . وبعكس ذلك القبائل التى كانت تختلط بالامم الاخرى كأهل الحجاز مما يلى الشام وخصـــوصا أهل مكة من قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالا الى الشام والعراق ومصر وجنوبا الى بلاد اليمن وشرقا الى خليج فارس وما وراءه وغربا الى بلاد الحبشة

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الفرس والانباط واليمنية والاحباش والمصريون ، غير الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى • فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له فى اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصا بالنهضة التى حدثت فى القرنين الاول والثانى قبل الاسلام بنزول الحبشة والفرس فى اليمن والحجاز على أثر استبداد ذى نواس ملك اليمن ، وكان يهوديا فاضطهد نصارى اليمن فى القرن الخامس للميلاد وخصوصا أهل نجران . . فطلب اليهم اعتناق اليهودية ، فلما ابوا قتلهم حرقا وذبحا • فاستنجد بعضهم بالحبشة ، فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حينا ، وأذلوا ملوكها أعواما . ثم أنف احد امرائها « ذو يزن » فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنو شروان ، فأنجده طمعا فى الفتح ، فأخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها نحو سبعين سنة وكانوا فى أثناء ذلك يترددون على الحجاز ، وحاولوا فتحه فى أواسط القرن الخامس فجاءوا مكة بأفيالهم ورجالهم ولم يفلحوا ، واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى ارخوا به ، وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن اقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعـــة والمزاوجة وتوطنـــوا ، وكانوا يقدمون الى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون اليهم

٢ ـ ما دخلها من الالفاظ الاعجمية (*)

غير ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت الفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسته من التراكيب الغريبة ، ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظا فى العربية ولم نر له شبيها فى العبرانية أوالسريانية أو الحبشية ،ترجح عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر مايكون ذلك أسماء العقاقير أو الادوات او المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ، ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو فى أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية ، وأكثر هذا منقول عن العبرانية او الحبشية لأن اليهود والاحباش من اهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا ائمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية : « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمور السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرمك الجردق السميذ السكباج الزيرباج الاسفيداج الطباهج الفالوزج اللوزينج الجوزينج التفرينج الجلاب السكنجبين الجلنجبين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرفة النرجس البنفسج النسرين الخيرى السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » وعندنا أن بعض هذه الالفاظ غير فارسى كما سترى

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

واما ما نقلوه عن الحبشية فاكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ، ولان الحبشية والعربية اختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لانشك فى انهم اقتبسوا كثيرا غيرها وخصوصا فيما يتعلق بالمصطلحات الدينية

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع فى الجامع أو

(*) راجع فى هذا الموضوع كتاب التطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر (طبع مطبعة السماح ١٩٢٩ م) ص ١٤٢ ـ ١٥٤ وهو سلسلة محاضرات القاها بجامعة القاهرة ، بحث فيها دخول الالفاظ الاجنبية الى العربية فى الجاهلية بحثا علميا دقيقا

الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ » وقد اشتقه صاحب القاموس من « نبر » أى أرتفع وفى ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه منقول عن « منبر » من الحبشية أى كرسى أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر فى القلب واظهار الايمان » وقد اشتقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق فى الدين » وهو تكلف نحن فى غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » فى الحبشية معناها الهرتقة أو البدعة أو الضلال فى الدين . وهى من التعبيرات النصرانية التى شاعت فى الحبشة بدخول النصرانية فيها

وكذلك لفظ «الحوارى» اشتقه صاحب القاموس من « حار »بمعنى البياض وقال فى معنى الحوارى « انه سمى بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » . والاظهر عندنا أن هذه اللفظة معرب حوارى فى الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها فى العربية تماما

وكذلك « برهان » اشتقها صاحب القاموس من « برهن » واشتقها غيره من « بره » بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها وهى فى الحبشية « برهان » أى النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أى اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله كالمصحف . فانه حبشى من « صحف » أى كتب والمصحف الكتاب .. ناهيك بأسماء الحيوانات او النباتات أو نحوها فان « عنبسة » من اسماء الاسد عند العرب وهى الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ الدينية كالحج والكاهن والعاشوراء وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى فى اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب فى أن العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود فى أثناء الاسفار للتجارة أو الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب .. فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر أو الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ، وكان للعرب فى حملها أو ترويجها شأن . وقد عثرنا فى السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظا عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ويدلان على الاشراق أو الاضاءة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتى الاصل أيضا وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك ..

على أننا نرجح أن العرب اخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية واسماء السفن وادواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما

حمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلا ، كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسيا ، وهكذا يقول صاحب القاموس ، وهو فى الحقيقة سنسكريتى ، ولفظه فيها « مشكاة » . وذكروا « انكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندى على لغة أهل ملقاولفظه عندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا أن القرنفل فارسى ، والغالب عندنا انه سنسكريتى لان اصله من الهند ، وقس عليه

وفى كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف فى هذا الموضوع بينا فيه القاعدة فى تعيين أصول الالفاظ الاعجمية ، واوردنا كثيرا من الألفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحبشية ، وائمة اللغة يعدونها عربية ، وفصل آخر فيما لحق اللغة العربية من التغيير فى الفاظها بمقابلتها بأخواتها (١)

٣ ــ كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام ؟

ليس ما قدمناه واشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيها الا فذلكة مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا يستطاع تفصيله وتعيين التقلبات التى مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام ، اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها، غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشا على قبر امرىء القيس (*) وهو لا يشفى غليلا . ولو أن أشعار أيوب كانت مدونة كما دونت الياذة هوميروس مثلا ، لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير .. كما فعل اليونان فى بيان الفروق بين لغة الالياذة ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا فى تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام ، وما تقلبت عليه من تبدل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، وما اخذته من كل لغة حسب الاطوار التى مرت بها (٢) وكما يفعل فلاسفة اللغة فى رد اللغات الحية الاوربية الى أصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية

ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم ، فقد عرفناها عند ظهور الاسلام ناضجة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل ، فدون المسلمون احدى تلك اللغات مع أمثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

٤ ــ البلاد التى كان أهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

اذا نظرت الى الخريطة اليوم ، رأيت الناطقين بالعربية منتشرين فى غربى البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفى جزيرةالعرب وفى مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطىء البحر الاحمر وفى السودان وغيرها من أواسط افريقيا وعلى شواطىء افريقيا الشرقية وغيرها .. غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية ، وهم

---

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ ــ ٢١ طبعة ثانية

(*) سبق أن ذكرنا فى ص ٣٢ نقوشا أخرى عثر عليها المنقبون غير نقش امرىء القيس المذكور

(٢) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ ــ ٦٣ طبعة ثانية

المسلمون فى أكثر انحاء المعمورة فى فارس وخراسان وافغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التى دخلها الاسلام فى القارات الخمس

اما قبل الاسلام ، فقد كانت اللغة العربية محصورة فى جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفى بادية الجزيرة « بين النهرين» وفى جزيرة سينا وقليل بعدها فى صحراء مصر الشرقية (١)

ويعسر تقدير احصاء العرب فى ذلك العهد ، كما يعسر تقديره اليوم ، لاعتماد أولئك الاقوام على الرحلة والتنقل فى البوادى .. ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين ، اكثرهم من اهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وافخاذا وبطونا فى الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفى بادية الشام والعراق • يندر فيهم المتحضرون سكان المدن ، اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة فى جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصنعاء فى اليمن وبعض المزارات فى أواسط الجزيرة وبعض الثغور على الشواطىء

فالمعول فى احصاء العرب على أهل البادية ، وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم، وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالبا فى بقعة من بقاع الجزيرة مالم يطرأ عليها طارىء يبعثها على الانتقال الى بقعة اخرى،كما اصاب قبائل عدنان فى القرون الاولى قبيل الميلاد وبعده .. اذ كانت تقيم فى تهامة ثم تفرقت فيها وفى الحجاز ونجد . وكانت القبائل القحطانية فى اليمن ، ثم انتشرت فى سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعى أو سياسى أو غير ذلك مما يطول شرحه ، وقد فصلناه فى كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية أكثرها فى نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية ، كما تجد ذلك مبينا فى الخريطة ..

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات ــ أو لهجات ــ المتكلمين بالعربية فى الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظا وتركيبا ، مع أن الاصل واحد فيها جميعا « لغة مضر » نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب • فلغات اواسط جزيرة العرب وان بعدت الشقة بينها كانت اكثر تقاربا مما بينها وبين لغات اهل الشواطىء لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطىء خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم ، أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من السريان أو الروم أو الانباط فى الشام والعراق • ولما نهض المسلمون فى صدر الاسلام لجمع اللغة • لاحظوا هذه الاعتبارات التماسا لاختيار احسن اللغات وابعدها عن العجمة ..

---

(١) راجع خريطة جزيرة العرب ص ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

٥ ـ فروع اللغة العربية

واذا أمعنت النظر فى الخريطة ، رأيت اكثر سكان اواسط جزيرة العرب من قبائل مضر ٠٠ واعظمها يومئذ تميم فى شرقى نجد ، وغطفان « عبس وذبيان » وسليم وغيرهما فى نجد ، وارقاها قريش فى مكة ، وكان من القبائل القحطانية هناك طىء فى نجد ومذحج فى أطراف الحجاز ٠ واكثر السكان فى الشمال الشرقى من ربيعة ، ومنهم بكر وتغلب فى بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصـــولها ومساكنها ، وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أى بين جنوب الجزيرة وشمالها ٠ واحسن مثال للغات الجنوب ماخلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند ، واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية،والفرق بين اللغتين كبير . والعرب يسمون لغة قدماءاليمنيين « المسند » . ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغـة اليمن ٠ وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعرف به ، وهى :

المسند : لغة فى اليمن
الزبور : لغة حضرموت وبعض اليمن
الرشق : لغة عدن والجند
الحويل : لغة مهرة والشحر
الزقزقة : لغة الاشعريين

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن (*) ، ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربى ولكن اكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك

أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون ، فترجع الى أصل واحد يسمونه « المبين » وهو الباقى الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر الالسنة وانتشر مع المسلمين فى الارض

اللسان المبين

فاللسان المبين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل كثيرة كما رأيت ، وبينها فروق فى معانى الالفاظ ونطقها وفى أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعا الا لغة قريش « لغة القرآن » وما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى ، ولم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضا من باب العيوب واكثرها فى قبائل ربيعة ٠٠ مثال ذلك انهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شينا ، فيقولون عليكش وبكش بدلا من عليـك وبك . وجاء فى بعض الكتب أنهم يبـدلون الكاف شينـا ،

(*) يقسم علماء الساميات مجموعة اللغات العربية الجنوبية الى قتبانية ومعينية وسبئية وحميرية وحضرمية وما يتصل بها من مهرية وشحرية

فيقولون عليش بدل عليك ·· وهى فى الحالين غير الشين التى يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بنى تميم كانوا يلفظون الهمزة اذا وقعت فى أول الكلمة عينا ، فيقولون فى « أسلم » « عسلم » ويسمونها العنعنة ، وكان الهذليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عينا ويسمونها الفحفحة ·· ومنها العجعجة فى قضاعة وهى أن يجعلوا الياء المشددة جيما فيقولون فى تميمى تميمج . والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهى أن يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف فى لغة تميم لعله كالكاف الفارسية . وذكر صاحب المزهر أمثلة كثيرة من هذه العيوب (١)

ومن اللغات الشاذة التى تفيدنا فى الرجوع الى أصل اللغة العربية،استعمال الذال للموصول بدل « الذى » فان بعض العرب (قبيلة طى) يقولون « فلان‌ذو سمعت به » أى الذى سمعت به ، وهو تركيب آرامى أو بابلى من بقايا القرابة بين العرب والحمورابيين . ومن هذا القبيل كسر أول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام ، فانه كان عاما فى قبائل العرب الا فى قريش واسد(٢) ولغات القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام مدة ، ثم أخذت تنقرض‌بالتدريج وحلت لغة قريش محلها ·· ليس فى جزيرة العرب فقط بل فى كل بلد دخله الاسلام ··

على أن ما يعده أئمة اللغة عيوبا فى لغات هذه القبائل ، انما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التى اختاروها لا بالنظر الى اللغة نفسها ·. فان‌استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيبا الا لانه يخالف المألوف فى لغة قريش ، ولو ألفوه لفضلوه على « الذى » . وعلى كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل احسن ما فيها بالنظر الى اذواقهم ومألوفهم· واكثر ما أخذوه من قيس وتميم واسد ، وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها ··

---

(١) المزهر ١٠٩ ج ١
(٢) المزهر ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

مميزات اللغة العربية

للغة العربية كما وصلت الينا خصائص تميزها من سواها ، وتدل على مبلغ عقول اصحابها من الرقي وان كانوا بادية راحلين ، وهذه هي مميزاتها :

١ ــ الاعراب

نعني بالاعراب تغير أواخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ، ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية والحبشية ، واللغة الالمانية .والظاهر أن الاعراب من خصائص التمدن القديم ، لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربا ، كذلك كانت اللغات البابلية (الأشورية) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التي تخلفت عن اللاتينية في أوربا وعن السنسكريتية في الهند وايران غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربية ، نعني لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة .. .. كأن الاعراب اذا ترك لمجاري الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلا ، وانما يعيش في البادية أو نحوها من أحوال الخشونة أو القوة .. الا اذا أراد أصحابه تقييد لغتهم بالقواعد ، كما فعل العرب والالمان . على أن اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على ألسنة العامة ، فذهب الاعراب منها

ومما يحسن قوله أن اللغات السامية القديمة على كثرتها ، اختص منها بالاعراب لغة بابل (الاشورية) واللغة العربية.ولعل فيذلك مايدل علىوحدة أصل العرب والحمورابيين ، وأن الامتين كانتا أمة واحدة تتكلملسانا واحدا معربا .. فتحضر الحمورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلماتمدن الحمورابيون وركنوا الى الرخاء ، ذهب الاعراب من لسانهم وبقي فيكتاباتهم المنقوشة ، كما أصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم ، فنشأ من بقايا البابليين أمة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأمنالعربأقوام لا يعربون كلامهم ، وهم عامة الشام ومصر وغيرهما من بلاد العرب ، وكان أجدادهم في البادية يعربونه ..

٢ – دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بألفاظها وتراكيبها ·· أماالالفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص ، وحتى أشباه المعاني أو فروعها وجزئياتها · وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فيما تقدم · ومن أمثلة دقة التعبير فيها وجود الالفاظ لتأدية فروع المعانى أو جزئياتها ، فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به ·فالساعةالاولى الذرور ، ثم اليزوغ ،ثمالضحى،ثم الغزالة، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب· ويقال فيها أيضا البـــــكور ، ثم الشروق ، فالاشراق ، فالرأد ، فالضحى ، فالمتوع ، فالهاجرة ، فالاصيل ، فالعصر ، فالطفل ، فالحدور ، فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالى القمر ·· وتجد للمعنى الواحد عدة الفاظ، يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى ·· فللشعر مثلا أسماء عدة حسب منبته ، كالفروة لشعر معظم الرأس ، والناصية لشعر مقدم الرأس ، والذؤابة شعر مؤخرة الرأس ، والفرع شعر رأس المرأة ، والغديرة شعر ذؤابتها ، والدبب شعر وجهها الى غير ذلك ·· وهو كثير ·وقس عليه أسماء المعايب ، والغطش ، والجهر · ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له فى ارقى لغات البشر قديما وحديثا

واعتبر ذلك تفرع معانى الافعال ، كتفرع فعل النظر الى : رمق ، ولمح ، وحدج ، وشفن ، وتوضح ، ورنا ، واستكف ، واستشف · ومثلها فروع أفعال الجلوس والقيام والمشى والنوم وضروب الاصوات للحيوان والانسان وغير ذلك · وفى المخصص وفقه اللغة ألوف من هذه الأمثلة · ولا خلاف فى أن ذلك من أدلة الارتقاء ·· ناهيك بالمترادفات فى الاوصاف ، وهى أكثر من أن تحصى ·ولعل العربية أغنى اللغات فى الالفاظ المعبرة عن المعانى المجـــردة وانفعالات العواطف ·· ففيها لانواع الحب نحو عشرة ألفاظ ، ومثلهـــا للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير فى العربية مزيدات الافعال ، فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معان لا يعبر عنها فى اللغات الأخرى الا بعـــدة ألفاظ ، كقولنا تقاتلوا وتقاضوا ، وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ – الاعجاز والايجاز

لكل قوم اعجاز فى لغتهم فيدلون بلفظ قليل على معنى كثير ، ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم ، لان لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألفوه ، ومنه فى القرآن والحديث والامثال وكتب الفقه والشرع والادب أمثلة كثيرة ، ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر اساليب البديع ، فانها فى العربية أرقى مما فى سواها لانها لغة شعرية كثيرة الكنايات والاشارات يسهل فيها التعمية والالغاز · ولذلك رأيت فى أخبار أهل البادية أمثـــلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة ، كقول جاسوس

منهم وقع فى أيدى الاعداء فحبسوه وألزموه أن يكتب كتابا الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلة عددهم وأسلحتهم غشا وتغريرا • فكتب الى الملك كتابا قال فيه :

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحا من السعى فى تعرف أحوالهم ، وانى قد استضعفتهم بالنسبة اليكم • وقد كنت أعهد فى أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر فى العاقبة، فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة باذن الله• ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك • ونصحت فدع ريبك • ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى العدو فأرسلوه الى الملك بعد ما اطلعوا عليه • ففطن الملك لما أراد الكاتب ، وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع فى الاسر فأصبح مستريحا من السعى ، وأنه رآهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية « كم من فئة قليلة » • ولفتنى الى الاناة اذ جعلها عادة لى • وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة ، فتكون : « كلهم عدو كبير عد فتحصن » (*)

٤ ـ المترادفات والاضداد

فى كل لغة مترادفات أى عدة ألفاظ للمعنى الواحد ،ولكن العرب فاقوا فى ذلك سائر أمم الارض •• ففى لغتهم للسنة ٢٤ اسما وللنور ٢١ اسما وللظلام ٥٢ اسما وللشمس ٢٩ اسما وللسحاب ٥٠ وللمطر ٦٤ وللبئر ٨٨ اسما وللماء ١٧٠ اسما وللبن ١٣ اسما وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللاسد ٣٥٠ اسما وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل ، أما الناقة فأسماؤها ٢٥٥ اسما . وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التى كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرهما .. ناهيك بمترادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ، ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه ••

وأسباب كثرة المترادفات فى العربية متنوعة ، منها أن كثيرا من اسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت أسماء ، وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى • فمن أسماء الاسد مثلا : الحطام ، والخطار ، والاصيد ، والشديد ، والراهب ، والمرهوب ، والمهوب ، والاغلب ، والاصهب ، والمجرب ، والباسل ، والمياس ، ونحوها ، وهى نعوت لطبائع الاسد وظواهره • ومن اسمائه عنبسة ، وهو اسمه بالحبشية . وقد يكون السبب فى زيادة المترادفات استعارة أسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يكنون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية اسماء الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ

(*) هذه القصة بينة الانتحال ، وهى مع ذلك ليست قصة جاهلية فما فيها من اشارة الى بعض آى الذكر الحكيم يجعلها ـ ان صحت ـ اسلامية وليست جاهلية

يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و « نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفد » للاسراع والابطاء « واقوى » للافتقار والاستغناء

٥ ـ المعانى الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، فمن ألفاظها نيف ومئتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان ، ونيف ومئة لفظ يدل الواحد منها على أربعة ومثلها التى تدل على خمسة معان . وقس على ذلك مايدل على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم . ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى وللفظ « العين » ٣٥ معنى وللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ ـ السجع وغيره من أسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات فى اللغة العربية وتعداد المعانى للفظ الواحد جعلتها واسعة التعبير وسهلت على أصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعا فى الجاهلية بلغة الكهان (*) على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة الفاظها وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار اصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ومهمل ومنقط او مشترك . وقد علمنا أن بعضهم كتب تفسير القرآن بألفاظ ليس فيها حرف منقط . وهناك تراكيب يشترط فيها اذا قرأ الالثغ لا تظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب واصل بن عطاء خطبة طويلة لم يرد فيها حرف الراء ، وكان اذا قال شعرا لم يورد فيه حرف الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر فى اللغات الافرنجية . وقد جرب بعضهم كتابة أسطر بالالمانية بدون راء ، فلم يستطع ذلك الا بشق النفس

٧ ـ حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لالفاظها وقعا على الاذن ، له تأثير موسيقى يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر فى النفس تأثيرا خاصا سواء كان نثرا او نظما . من امثلة الوقع الشديد ، وصف الاسد لابى زبيد الطائى بين يدى عثمان بن عفان ، فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم فى

(*) لم يكن السجع فى الجاهلية خاصا بالكهان فى نبوءاتهم ، بل كان شائعا فى الخطابة بين الخطباء . انظر الفصل الاول من كتابنا «الفن ومذاهبه فى النثر العربى » وكلمة سجع فى دائرة المعارف الاسلامية

(١) البيان والتبيين ١١ ج ١

واد (*) : « فضرب بيديه فأرهج وكشر ، فأفرج عن أنيـــــاب كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وفم اشدق كالغار الاخوق . ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر، ثم تجهم فازبأر فلا وذو (١) بيته فى السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزارة . كان ضخم الجزارة فوقصه ثم نقضه نقضة فقضقض متنيه فجعل يلغ فى دمه . فذمرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا كأن به شمما فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنقضه نقضة تزايلت منها مفاصله . ثم همهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه . فأرعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون .. »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين » وحكايات الاصوات موجودة فى سائر اللغات

٨ – الامثـــال

الامثال من آداب العرب المهمة لانها تجرى على ألسنتهم مجرى الشعر . وهى عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد : « الامثال من حكمة العرب فى الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى النطق بكناية بغير تصريح ، فيجتمع لهـــا بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه » (٢) والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتتزينها كقول أبى ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذى دُفنتْ له　　　حديدة حَتْفٍ ثم أمسى يثيرها (٣)

وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كأرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذات الامثال (٤)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة فى الاعقاب .. لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث ، لان الامثال عندهم نوعان :

(*) الغريب فى كلمة ابى زبيد :
أرهج : اثار الغبار . كشر عن أسنانه : أبدى . أشدق : من الشدق وهو سعة الفم . الاخوق : الواسع . حفز : دفع . أقعى : جلس مفترشا رجليه ناصبا يديه . مثل : قام منتصبا . اكفهر : عبس . ازبأر : تنفش . الجزارة : الاطراف . وقص عنقه : كسرها . نقضه : من نقض البناء أى هدمه . قضقض : مزق . ذمر : لام . لأى : ابطاء واحتباس . هجهج بالاسد : صاح . اختلج : جذب . الاعجر : السمين . ذا حوايا : ذا امعـــاء مستديرة يريد انه ضخم الجثة . همهم : ردد الزئير . قرقر : هدر . بربر : صاح . جرجر : ردد الصوت فى حنجرته . اطت : أنت تعبا او حنينا . شخص بصره : فتح عينيه لا يطرف .

(١) « ذو » يعنى « الذى » فى لغة طىء

(٢) المزهر ٢٣٤ ج ١　　(٣) الاغانى ٦٣ ج ٦　　(٤) الاغانى ١٤٣ ج ٢

١ ـ أمثال حكمية كقولهم : الجار قبل الدار ، والحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل العقاب ، ونحوها مما تتناقله الناس فى الاعقاب وترويها الامم بعضها عن بعض . واقدم مجموع لها امثال سليمان ، واكثر الامم اخذت عنها .. وهى عند العرب مقتبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم ، فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم كأكثم بن صيفى وغيره ، وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان . وهو من قدماء الحكماء ، يشبه شاعرا حكيما بنحو هذا الاسم عند اليونان **Alcman** من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو من اقدم من نظم الشعر الغنائى عندهم

٢ ـ الامثال المبنية على الحوادث وهى خاصة بهم ، لان الحوادث جرت لهم ، كقولهم : وافق شن طبقه ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب ، والصيف ضيعت اللبن ، وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائليها، وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد فى حادثة واحدة كما رووا فى حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (١) فذكروا أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله : « رأيك فى الكن لا فى الضح » و « ما ضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لأمر ما جدع قصير أنفه » و « بيدى لا بيد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال وأشباهها كثيرة فى أقوال الجاهلية

٩ ـ كتب الامثال (*)

وقد عني العرب بجمع الامثال ، لانها من جملة ما احتاجوا اليه فى تحقيق الفاظ اللغة . ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من أهل اليمن الف كتابا فى الامثال فى خمسين ورقة بأواخر القرن الاول للهجرة ، وهو أول من فعل ذلك . وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة فى أبان التمدن الاسلامى بجمع أمثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصرا لابن شربة (٢) ويونس النحوى المتوفى سنة ١٨٢ هـ وأبو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٩١ هـ وابو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبى وأبو هلال العسكرى ومحمد بن زياد الاعرابى ومحمد بن حبيب البغدادى وحمزه الاصفهانى وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثيرون واضافوا اليها من الامثال الحادثة فى الاسلام. وأهم هذه الكتب الباقية الى الان كتاب المستقصى للزمخشرى (توفى سنة ٥٣٨ هـ) ومجمع الامثال للميدانى (توفى سنة ٥١٨ هـ) . وفى مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين ، جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا فى الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن اضاف اليه امثال المولدين . وهو أجمع كتاب فى الامثال العربية وفيه شروح لطيفة ، وقد طبع مرارا بمصر والشام

---

(١) ابن الاثير ١٤٩ ج ١ (٢) الفهرست ٩٠

(*) انظر فى الامثال الجاهلية «فجر الاسلام» لاحمد امين ، والفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » و« الامثال فى النثر العربى القديم » لعبد المجيد عابدين ، وكلمة « مثل » فى دائرة المعارف الاسلامية

وغيرهما . اما المستقصى للزمخشرى ، فمنه نسخ خطيـة فى مكتبـة ليدن وفيينا والمتحف البريطانى وكوبرلى بالآستانة ودار الكتب المصرية ..

اما كتب الامثال الاصلية التى أخذ عنها الميدانى ، والزمخشرى فالباقى منها قليل أهمها كتاب الامثال لابى عبيد القاسم بن سلام طبع فى غوتنجن سنة ١٨٣٦ وأمثال العرب للضبى طبع فى الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة الامثال لابى هلال العسكرى طبعت فى الهند سنة ١٣٠٧ وأمثال لقمان طبعت مرارا فى أوربا ومصر منها طبعة فى باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنسية . ونجد كثيرا من أمثال العرب فى كتب الآمالى وكتب اللغة وكتب الادب ونحوها ..

الشعر في العصر الجاهلي

١ — ما هو الشعر ؟

الشعر من الفنون الجميلة التى يسميها العرب الآداب الرفيعة ، وهى الحفر والرسم والموسيقى والشعر • ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة ، فالحفر يصورها بارزة ، والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان ، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . . فهو لغة النفس اوهو صور ظاهرة لحقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر . . هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعانى ، وهى تعبر عنه بالانغام والالحان ، وكلاهما فى الاصل شىء واحد . .

هذا هو تعريف الشعر فى حقيقته ، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرون حدوده بالالفاظ ، وهو تعريف النظم لا للشعر ... وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناظما وليس فى نظمه شعر . . وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعا فى النفس ، فالنظم هو القالب الذى يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه فى النثر .

وقد تقدم ابن خلدون خطوة اخرى فى تعريف الشعر ، فقال : « الشعر هو الكلام المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ، ويشترط ايضا استقلال كل بيت منها بفرضه . وهو تقييد لا باعث له إذ قد ترى فى الكلام المنثور معانى تؤثر فى نفسك تأثير الشعر ، وذلك كثير فى كلامهم ، والحكم فيه للذوق . ومن أصعب الامور أن نعرف الشعر ونجعل له حدودا جامعة مانعة ، كما نعرف الصرف أو النحو أو الفلك أو غيرها من العلوم والآداب • ولكنك اذا قرأت قولا فيه خيال شعرى ، تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له ، وقد يكون ذلك النثر قولا وانما أطربك ما فيه من أساليب الكتابة أو الاستعارة ... فاذا سبكته فى قالب شعرى زاد رونقا وطلاوة ، فاذا غنيته على توقيع الالحان زدت طربا به .
فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقى فى الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثرا يصف به ذهوله في الحب ، فيقول : « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لي التمسها ، فلا ادخل الدار حتى أنسى ما جئت له » فهذا معنى شعرى ترتاح اليه النفس ، لكن ارتياحها يكون أكثر اذا نظم ذلك المعنى شعرا كقول المجنون :

فيا ليلَ كم من حاجة لى مهمةٍ   إذا جئتكم بالليل لم أدْرِ ما هيا

ويكون وقعه فى النفس أشد اذا غنى على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل فى الشعر كثير من اقوال العرب التى نعدها من قبيل الامثال أو الحكم المأثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء بأصغريه لا ببرديه، وعاد الامر الى نصابه ، وصاحت عصافير بطنه ، ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية .. وقد رأينا بعض متقدمى العرب يرون هذا الرأى فى تعريف الشعر ، فقد قال بعضهم : « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر : «الشعر شيء تجيش به صدورنا ، فتقذفه على ألسنتنا » (٢)

٢ ـ أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الاغراض ، وهذه كلها فى نظر الشاعر غير العربى نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الغنائى أو الموسيقى ، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع :

(١) الشعر القصصى Epique   (٢) الشعر الغنائى Lyrique

(٣) الشعر التمثيلى Dramatique

الشعر القصصى

فالشعر القصصى أقدمها ، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث فى الشعر (موزونا أو غير موزون) على سبيل القصة ، وأكثرها دينية ، وأبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الامم وجدته أقدم آدابها ، وأقدمه الدينى المتعلق بالآلهة وأعمالهم كما فى الياذة هوميروس عند اليونان ومهابهارته الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد فانها شعر دينى لكنها ليست من النوع القصصى بل من الموسيقى .. لان الشعر القصصى نادر فى أشعار الساميين على الاجمال الا السريان ، فان القديس أفرام نظم شيئا منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

(١) الاغانى ١٢٤ ج ١٨ ، ٦٠ ج ٢١   (٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢
(٣) Lit Syr. 20

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الدينى ، لانه لم يكن عندهم فى الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ، ولابد من أنهم نظموا الاشعار .. خاطبوا بها هبــل واللات والعزى وغيرها ، واستعطفوها وصلوا لها وتخشعوا أمامها ، ولكن منظوماتهم فى هذا الموضوع ضاعت فى ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التى قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام انصرف الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يمحو ما كان قبله . فاكتفوا بتدوين أشعار الحماسة والفخر ، ولكن بقى من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضا فى تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبى الصلت وغيره

الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى ، وفيــه أخبار آلهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر . ثم قالوا الشعــر الغنائى وقد نضج عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على أثر الحــوادث السياسيــة والحروب التى قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب فيهــا الشــعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفــر قرائحهم واعقب ذلك التنــازع بين الاسبارطيين والمسينيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب ، فجاش فى صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل ، كمــا أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من ســـلطة الحميرين ، ثم بمــا قام بينهم من النزاع والحروب فى القرون الاولى قبل الاسلام .. فانهــا أنطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجىء

فأصبح اليونان فى القرن السابع قبل الميلاد أهل دولة وتمدن ورخاء ، فصاروا فى حاجة الى شعراء يحضونهم على الثبات فى الحرب او يمدحون بسالتهم ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم .. فظهر الشعر الغنائى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء ، ووضعـــوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح ، والموت يولد الرثاء ، والحب يستدعى النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبراؤهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب فى ابان دولتهم ، فكثر الشعراء الغنائيون عندهم وأستاذهم بندار . وشاع الشعر الغنــائى فيهم ، فاشتغلوا به عن الشعر القصصى .. كأنهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لايكفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل ، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدى سردها او تمثيلها الى مغزى مايريدون . فبدلا من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحببها الى الابطال ببلاغة البيان الشعرى ، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هــذه المنقبة

يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع فى النفس وأثبت فى الذهن ، وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلى Drame »

ويراد بالشعر التمثيلى فى أصل وضعه تمثيل الوقائع التى ترمى الى الموعظة او الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل (١) ، وفى الشعر القصصى شيء منه لان الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن الشعراء بدأوا فى نظمهم اولا بالشعر الخيالى التصويرى المحض ، اذ هاج شاعريتهم التخشع للآلهة ، وكانوا يغنون لهم ويرقصون فى غنائهم على توقيع الالحان ، فتصوروا الوزن من حركات الرقص ، وذلك أصل النظم عندهم . وكان اول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ، ثم تدرجوا الى وصف الواقع .. فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائى . ثم عمدوا الى تمثيل الفضائل والرذائل على المسارح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلى

٣ ــ هل عند العرب شعر تمثيلى ؟

قد رأيت أن الشعر التمثيلى هو الوجهة العملية من الشعر التى يراد بها تمثيل الفضائل او الرذائل للعين . والعرب مثل سائر الساميين اكثر ميلا الى الخيال والتصور ، فلم يلتفتوا الى التمثيل او على الاقل لم نعثر بين ما وصلنا من آدابهم قبل الاسلام على شيء من الشعر التمثيلى على سبيل المحاورة او التمثيل ، كما هو الحال عند اليونان او من أخذ عنهم .. فهل كان عندهم وفقد ؟

اذا أمعنا النظر فيما خلفه العرب من اخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو من التمثيل بأعم معانيه وان لم يكن شعرا مجردا بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقد وصل الينا فى قالب القصص والحقائق التاريخية ، لكن أكثرها فى نظرنا موضوع او كان له أصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون عبرة او قدوة فى الموقف المطلوب . واكثر تلك القصص ترمى الى تمثيل الفضائل البدوية التى يقدسها العرب ، كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلا يحببها الى الناس ويرغبهم فيها ، وجعلوا أبطالها رجالا من مشاهيرهم فى تلك المناقب

فقصة حاتم الطائى التى ذبح فيها فرسه لضيفه وابناؤه جياع أقرب الى أن تكون موضوعة أو مبالغا فيها للتحريض على السخاء . وقصة السموأل التى قتل فيها ابنه ولم يسلم الامانة المودعة عنده موضوعة او موسع فيها لتمثيل الوفاء . وأخبار العذريين فى العفة أكثرها موضوع لترغيب الناس فى العفة . وقد أجمع الرواة تقريبا على أن أخبار مجنون ليلى موضوعة أو يراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب .. وهى تشبه من هذا القبيل رواية روميو وجولييت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر ما يروونه من هذا النوع ، مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر . وهم يروونها عن عبيد بن الابرص أيضا ، كأن المراد المغزى وهو الترغيب فى

---

(١) Enc, Brit. XIX 263, Lit Anc. 56.

الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى أشخاص معروفين فى التاريخ لا يطعن فى أن المراد بها التمثيل . وهذه قصة عنترة فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب فى الشجاعة والفروسية

اما السريانيون فالتمثيل غير أصلى فى آدابهم ، وانما اتخذوه فى جملة آدابهم الدينية من اليونان . وكانت منظوماتهم فى أول أمرها بغير قافية ، ثم قفوها بعد الاسلام .. فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب

والخلاصة ان الشعر العربى أكثره من الشعر الغنائى ، وهو أرقى فى العربية منه فى سائر اللغات ، وليس فى الدنيا أمة تضاهى العرب فى كثرة الشعر والشعراء

أقدم منظومات العالم

المشهور أن الياذة هوميروس أقدم ديوان شعرى ، لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك الزمن أو قبله : أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر الموسيقى ، ويقال انه نظم نحو القرن الثانى عشر ق . م وزبور داود نظم نحو القرن العاشر : ولعله عاصر صاحب الالياذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقى الى عهد رمسيس الثانى نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك ببضعة قرون ، فاذا صح أنه عربى الاصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربى الاصل

٤ — كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟

الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم ، والشعر وضع أولا للتغنى به وانشاده للآلهة او الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون « غنى شعرا » لا « نظم شعرا » أو « وضع شعرا » والعرب يقولون « أنشد شعرا » أو أنشد الشعر الفلانى أى غناه ، وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك فى اقدم أحوالهم (*)، فنبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الأعشى قبيل الاسلام ، فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب . ومازال ذلك شأنهم بعد الاسلام ، فان الشاعر اذا جاء الخليفة او الامير بقصيدة أنشدها فى حضرته وهو قائم ، فاذا لم يكن صوته رخيما او مسموعا اقتنى غلاما رخيم الصوت ينشد أشعاره . وللانشاد لحن مطرب ، وكان الرشيد يطرب للانشاد أكثر مما يطرب للغناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء

(*) أنظر فى صلة الشعر الجاهلى بالغناء الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، والفصل الاول من كتاب فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية H.G. Farmer History of Arabic Music وقد نقله الى العربية حسين نصار

المغنين كالدرامى ، وسلامة واسحق الموصلى وغيرهم

والغالب أنهم بدأوا أولا بالسجع بلا وزن نحو ما وصل الينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يغنونه توقيعا على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم فى الانواء (*) : « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع النجم يعنى الثريا فالحر فى حدم والشعب فى حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران ويبست الغدران ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة واردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشتعلت فى الأفق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع .. » وهى طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون أى يتذاكرون بالسجع . ولعلهم وضعوا السجع اولا لتقييد علومهم أو مايريدون حفظه كما فى المثل المتقدم ذكره

أما النظم أى القياس بالمقاطع وهو الوزن ، فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر .. كل بيت منه ينفرد بقافية خاصة ، وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم ، يزعم العرب أن أول من قاله مضر بن نزار ، اذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من أحسن خلق الله صوتا فأصغت الابل اليه وجدت فى السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الابل . وقال آخرون أن الاصل فى وضع الشعر الغناء . قالوا « وكان الكلام كله منثورا ، فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر ايامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الامجاد وسمحائها الاجواد لتهز نفوسها الى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به أى فطنوا له »

٥ — أصل وزن الشعر

والغالب فى اعتقادنا ان الوزن مأخوذ فى الاصل من توقيع سير الجمال فى الصحراء ، وتقطيعه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء فى اصطلاحهم ، وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربى يقضى أكثر اوقاته فى معاشرة جمله أو ناقته . . وعندهم ضربان من الرجز : المشطور ، والمنهوك ، والمشطور هذا وزنه :

(*) تفسير الكلمات الغريبة فى النص : حضرت : سكنت، حدم : اشتعال ، الدبران منزل للقمر، الحزان : جمع حزن ضدالسهل، الهنعة: كوكبان يليان الهقعة فى المجرة، المعزاء: الارض الصلبة، كنست الظباء : دخلت كناسها ومستترها من الشجر ، العلباء العصبة الممتدة فى العنق ، وعرقت العلباء : خرجت بها قروح

دع المطـايا تَنْسم الجنوبا   إن لهـا لنبـأ عجيبـا
حنينها وما اشـتكت لُغوبا   يشهد أن قد فارقت حبيبـا
ما حملت إلا فتى كئيبـا   يُسِرُّ ممـا أعلنت نصـيبا
لو ترك الشـوق لنـا قلوباً   إذا لآثرنا بهنَّ النِّيبـا (١)
إن الغريب يسـعد الغريبـا

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا ، لرأيت مشيتها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكـان العرب يحدونها به اذا أرادوا سيرها وئيدا . وربما كان شاعرهم عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز .. كذلك فعل جميل بثينة وكان فى سفر الى الحج مع مروان بن الحكم .. فطلب اليه مروان أن يسوق الجمال أى يحدوها فقال :

يا بثن حَيِّى أو عدينـا أو صِلِى   وهَوِّنى الأمر فزورى واعجـلى
بثَيْن أيًّا ما أردتِ فافعـلى   إنى لآتى ما أبَأت مقتـلى (٢)

فلم يقبل مروان أن يتغزل بالحدو وانما يطلب الخلفاء والامـراء اذا ركبوا الابل ان يحدوها الحادى برجز فى مدحهم . خرج عبـد الملك يوما رائحا على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيهـا البَكْرُ (٣) الذى أراكا   عليك سَهْلَ الأرض فى ممشـاكا
ويحـك هـل تعلم من علاكا   إن ابن مـروان عـلا ذراكـا
خليفـة الله الذى امتطـاكا   لم يَعْلُ بَكْراً مثـل ما علاكا

اما اذا اراد الحادى أن تسرع الجمال فى السير ، حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنه :

أعطيتـه ما سـألا   حَكّمته لو عـدلا
قلبى به فى شـغل   لامَلَّ ذاك الشـغلا
قَيَّده الحب كمـا   قيَّد راع جملا (٣)

واعتبر ذلك فى بحر الخبب من الشعر ، فانه يوافق فى توقيعه خبب الفرس أى ركضه وهذا وزنه (*) :

أبكيتَ على طَلَل طـربا   فشـجاك وأحزَنك الطلل

---

(١) النيب : النوق
(٢) أبأ : استحل   (٣) البكر : الفتى من الابل   (٤) العقد الفريد ١٦١ ج ٣
(*) لم يستخدم بحر الخبب فى الجاهلية، فهو بحر مستحدث ، استحدثه العباسـيون ويسمى ايضا المتدارك

اوزان الشعر

ثم وضعوا الاوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الاحوال .. بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الاخر يوافق الرثاء او الغزل .. فالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر ، والرمل الحزن والفرح ويلائم السريع العواطف (*) وقس على ذلك (١)

فالرجز أقدم أبحر الشعر ، وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب او فاخر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال ان أول من اطاله الاغلب العجلى على عهد النبى ثم رؤبة بن العجاج ، وتفننوا فى بحر الرجز فتعددت أوزانه ، واخترعوا أبحرا غيرها وصاروا ينظمون الاراجيز الطوال ويريدون بها مازادت أبياتها على عشرة (**)

اما غير الرجز من أبحر الشعر ، فكانوا اولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة .. حتى اذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء ، وظهر فيها الابطال والفرسان ، احتاجوا الى الشعر فأطالوا فيه ، فظهرت القصائد . وأول من أطالها المهلهل أخو كليب (***) وأول قصيدة قالها فى قتل اخيه المذكور .. فهو لم يفعل ذلك الا بعد ان حركه طلب الثأر . وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتا من الشعر واقتدى به سواه ، ثم كان للنظم تاريخ بعد الاسلام

الالحان

ولما وضعوا الاوزان صار للغناء عندهم الحان معينة (****) فجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا مخصوصا فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . فالنصب غناء الركبان والفتيان ويقال له الجنابى ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل فى العروض . والسناد هو الغناء ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو الغناء الخفيف الذى

---

(١) الالياذة العربية ٩٠

(*) هذا الرأى لا يتمشى وحقيقة الموضوعات التى دارت فيها أبحر الشعر العربى قديما وحديثا ، فان العرب لم يصطلحوا على تخصيص الابحر بموضوعات معينة ، لكل بحر موضوعه الخاص ، بل جعلوا الموضوعات كلها شركة بين الاوزان يختار الشاعر منها ما يشاء لشعره فى أى موضوع ينظم فيه

(**) انظر فى الرجز وتطوره واشكاله كلمة رجز فى دائرة المعارف الاسلامية وآلورد Ahlwardt فى مقدمته لديوانى العجاج والزفيان

(***) هذه الاولية غير يقينية ، وكل ما يمكن أن يقال هو ان قصائد المهلهل وغيره من قدماء الجاهليين ، تدل كما قال جويدى فى كتابه L'Arabie Anté-Islamique ص ٤١ على انها ثمرة صناعة طويلة ، لم تزل تتكامل حتى أخذت هذا الشكل الذى نجده فى العصر الجاهلى . وانظر كتابنا الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، الفصل الاول

(****) لم يصبح للغناء العربى ألحان ذات مصطلحات معينة الا فى الاسلام ، حين اختلط العرب بالاجانب وتأثروا بغنائهم وموسيقاهم . وحقا عرفوا فى الجاهلية صورا مختلفة من الغناء ، ولكنها كانت اولية ، ولم تصبح فنا كاملا الا فى العصر الاموى . راجع فارمر فى تاريخ الموسيقى العربية ، وكتابنا الشعر الغنائى فى الامصار الاسلامية ، الجزء الاول فى المدينة الفصل الثانى

يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل نحن بوزن (٢)

٦ ـ شاعرية العرب

ما قدمنا كان بداية النظم عند العرب على مانظن .. وكان ذلك طبعا فى زمن بعيد لا يدرك أوله التاريخ ، ومهما يكن من سبب النظم فان العرب أقوى الامم شاعرية وأقدرهم على النظم فى الشعر الغنائى بلا خوف .. يدلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم فى قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ، ولذلك أسباب طبيعية اهمها :

اولا ـ ان العربى بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق واريحية وانفة، سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بديهة وارتجال ، ومن كان هذا شأنه لا يلبث حين يجيش صدره بمعنى أن يلفظه لسانه .. ولذلك كان أكثر شعرهم غنائيا أو موسيقيا ، يعبرون به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد أربعة فواعل : الرغبة ، والرهبة ، والطرب ، والغضب ..

ثانيا ـ ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية والاستعارة ودقة التعبير وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية .. فالعربى من أنطق الأمم ولغته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم .. وللغة شأن كبير فى تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم فى الطبائع والحس ودقة الشعور والشاعرية ، يلاحظ ان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر ـ فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعا فى معظم الجزيرة العربية الا اليمن ومهرة وعمان . وقد انتشرت الشاعرية بين المتكلمين بهذا اللسان فى الحجاز ونجد وان لم يكونوا عربا ، حتى اليهود والعبيد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية فى الاقطار ، فقد نبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم ، وذلك من تأثير اللسان ..

ثالثا ـ صفاء جوهم وتفرغهم للتأمل فى الطبيعة ، فان أهل الجو الصافى تكون أذهانهم صافية ، وخصوصا اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب .. فيزيدهم الصفاء شاعرية ، ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر فى الوجود ومراقبة أحوال الطبيعة كما كان العرب فى بداوتهم ، غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب فى أيامهم وغيرها كما سنفصله فيما يلى .

---

(١) العمدة ٢٤١ جـ ٢ (٢) الاغانى ١٠٥ ج ١

نهضة الشعر في الجاهلية

١ ـ أسباب النهضة

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل الينا خبره ، وانما وصل الينا بعض ما نظموه فى النهضة الاخيرة قبيل الاسلام • والنهضة فى الشعر او الادب او العلم تحدث على أثر انقلاب سياسى من فتح أو حرب أو نصر ، أو تغيير اجتماعى على أثر نكبة أو نازلة أو كل ما يثير العواطف • وهى قاعدة تشمل طبائع البشر فى كل زمان ومكان •• فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع فى أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال • واليونان ما زالوا على الشعر القصصى وشعراؤهم قليلون ، حتى قامت الفتن بينهم وتحاربوا ، ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الغنائيون • وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم نحو ٢٤٠ سنة فى جمود أدبى لم يظهر فيهم شاعر ، حتى كانت الحروب مع القرطاجنيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر • وقضت أمم أوربا اجيالا فى القرون الوسطى وقرائحهم خامدة ، فلما خرجوا للحرب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم فى الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتي وغيرهما • وترى أشعار الامة فى نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب •• فان كانت هى الظافرة فيه ، كثر شعرها الحماسى والفخرى ، واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره فى الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم فى بابل بمراثى أرمياء وغيره • والشعر يوجبه الحب والحرب والموت

٢ ـ استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم فى نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شئون سائر الامم •• ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما ، فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظنهم كانوا يجيدون النظم ، وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن يخدمونهم فى نقل تجارتهم • وكانت دولة اليمن تستأجرهم فى حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية • وكانوا يؤدون لها الاتاوة « الخراج » وقد رسخ فى اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة ، فأصبحوا بتوالى الاجيال يعدون الاذعان لها فرضا • فلما رأوا ما أصابها فى حروبها مع الحبشة فى أواسط القرن الرابع

للميلاد ، اذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ م (١) تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم .. فأخذوا يفكرون فى الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحـــــاجة الى الاتحاد (*)

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة ، على يد فارسها كليب الشجاع المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن جناب الذى ولاه صـــاحب اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة . وكان زهير يتقـــاضى الاتاوة أو الخراج منهم فى مقابل النجعة والكلأ والمرعى ، وكان يخرج فى حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم فى أثناء أمارته ضيق وأمحلت أرضهم فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير والح فى مطالبتهم فشكوا عجزهم وابانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم ، ومنعهم النجعة والمرعى او يؤدوا ما عليهم ، فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك . وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة ونقموا على زهير ورجاله فدسوا رجـــلا منهم اسمه زيابة من بنى تيم الله وكان فاتكا ، وأوعزوا اليه أن يقتل زهيرا غــدرا ولم يقدموا على مناوأته جهارا لئلا يستنجد بجنده .. فأتاه زيابة وهو نائم وطعنه ورجع الى قومه واخبرهم انه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا . وعلم هذا انه سالم ، فلم يتحرك لئلا يجهز عليه . فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ويستأذنوا بكرا وتغلب فى دفنه ، فلما أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم .. وجمع زهير الجموع ، وفى ذلك يقول ابن زيابة :

طعنـــة ما طعنتُ فى غَلَسِ اللي ... ل زهيراً وقد توالى الخصـــوم

حين تَحمى له المواسم بَكْرٌ ... أين بكر وأين منهـــا الحلوم

خاننى الســـيف إذ طعنت زهيراً ... وهْو سيف مضللٌ مشـــؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وقاتلهم قتالا شديدا انهزمت فيه بكر ، وقاتلت تغلب بعـــدها ، ثم انهزمت وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى فى بنى تغلب ، وأسر جماعة من وجوههم وفرسانهم ..

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعـــــة والد كليب ومهلهل وخرجوا على زهير وانقذوا الاسيرين منه ودارت الايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بنى معد جميعا

---

(١) العرب قبل الاسلام ١٢٧ وهذا هو الفتح الاول ثم كان الفتح الثانى سنة ٥٢٤ م

(*) اتخذ المؤلف من غزو الاحباش الاول لليمن والدولة الحميرية سنة ٣٤٥ م مبـدأ لانتهـاء سيادة اليمنيين على بدو الحجاز ونجـــد .. ويظهر أن هذا الرأى مبالغ فيه ، فقد ظلت للدولة الحميرية سيادة او شبه سيادة على نجد والحجاز الى أن كان غزو الاحباش الثـــانى وقضاؤهم عليها فى سنة ٥٢٤ م فاننا نجـــد مملكة كندة اليمنية فى نجد تفقد سلطانها مع هذا التاريخ ، ويقتل امراؤها وعلى رأســـهم حجر ابو امرىء القيس الشاعر المشهور . انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الجزء الثالث ، الفصل الرابع ، وتاريخ العرب لفيليب حتى الجزء الاول ص ١١٤ ، اما ماذكره المؤلف عن زهير بن جناب وثورة ربيعة على اليمن فهو من باب القصص وليس له قيمة تاريخية

وفى أواخر القرن الخامس توفى ربيعة أمير تغلب ، فخلفه ابنه كليب وفى نفسه على اليمن ضغائن لما قاساه فى أسرهم .. فجمع معدا تحت لوائه أى ربيعة وقضاعة ومضر واياد ونزار وحاربوا اليمن فى معركة عرفت بيوم خزاز، فهزموهم واستقلوا عن سيطرتهم · ولم يدفعوا اليهم أتاوة أو خراجا من ذلك الحين · ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم ، فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته · وكان ذلك آخر عهدهم بسلطان اليمن

٣ ـ حروبهم فيما بينهم

واستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسى ، هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس واباء الضيم ·· فأخـــذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها · فلمـــا أطلق سراحهم تنازعوا ، فجرت بينهم حروب تعرف بأيام العرب قد فصلناها فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » واكثرها حدة واطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب ، وكلاهما من ربيعة وهى حرب البسوس بين مهلهل وجساس ، دام النزاع فيها أربعين سنة مات فى أثنائها الشيوخ وشاخ الشــبان وشب الولدان ، وفى اثنائها نبغ مهلهل أخو كليب وشهد تلك الحـــروب · وكان شاعرا مطبوعا فتوسط فى المصالحة بين القبيلتين وله شـــأن فى تاريخ الشعر ·· ناهيك بالحروب التى جرت بين قبائل مضر ، أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها

٤ ـ نهضة قريش (*)

وقد انهض قريشا على الخصوص وأثار شـاعريتهم وشـــحذ قرائحهم حروبهم مع الاحباش فى عام الفيل فى أواسط القرن الاول قبل الهجرة ·· فان الاحباش لما فتحوا اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة .. وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد الرسول ، فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم ، واهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة فى أنفس القبائل وغيرهم · فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب ، فدفعوا الاحباش وقد انبهت اذهانهم واخذت مواهبهم فى الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم فى نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون به وهو عام الفيل

وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس ، وكان لها

(*) رجع المؤلف نهضة قريش الى الاحتكاكات الحربية واغفل الناحية الاقتصادية وما صار اليها من مفاتيح القوافل التجارية التى كانت تجوب الحجاز ونجدا الى العراق وحوض بحر الروم محملة بمنتجات اليمن وافريقيا والهند ثم تعود بمنتجات الشمال الى الجنوب ، فان هذه التجارة وسعت من مدارك القوم وامكانياتهم العقلية والحضارية حتى ظن بعض الباحثين ان مكة كانت جمهورية لا تقل شانا عن جمهورية البندقية ، راجع لامنس Lammens فى كتابه مكة La Mecque ص ١٧٥ واوليرى O'leary فى كتابه جزيرة العرب قبل الاسلام Arabia Before Muhammed ص ١٨٢

تأثير كبير فى نفوس القرشيين فساعدتهم على تلك النهضة

فهذه الحروب والفتن أظهرت مواهب الرجال ، فتولدت طبقة من الحكماء وأخرى من الاسخياء ، وأخرى من الفرسان والشجعان ، وأيقظت الشاعرية الحماسية والفخرية ·· فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون لمدح الظافرين أو وصف بسالتهم او التفاخر بالقبائل · ورافق ذلك تحاك القبائل وتقاربها أو تباعدها ، وتنبهت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشـــعراء · ولذلك كانت منظومات هذه النهضة اكثرها فى الفخر والحماسة على أثرواقعة من تلك الوقائع ، أو فى وصف شوق أو حكمة او موعظة أو مدح ظافر أو كريم كما ستراه فى مكانه

٥ ـ أقدم الشعراء

كل ما وصل الينا من منظومات شعراء الجاهلية نظـم بعد استقـلال الحجازيين من سيطرة اليمن ، وما وصل الينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو نفير الحجازيين . وأقدم من وصلنا خبرهم من الشعراء أبو دؤاد كان على خيل النعمان ، ولقيط شاعر جاهلى قديم ، وعلس بن جدن من حمير (*) وخذيمة ابن نهد وزهير بن جناب الكلبى من قضاعة وقد ظهرت قضاعة قبل سائر قبائل عدنان ، ويقال ايضا ان حزين بن لوزان والربيع بن زياد وذا الاصبع العدوانى من أقدم الشعراء (١) ويقولون ان أول من قال الشعر فى نزار ـ وهى تشمل مضر وقضاعة ـ عمرو بن قميئة من ربيعة (٢)

وللعلماء فى اقدم الشعر العربى أقوال لا فائدة من ايرادها ، لان اكثرها مبنى على الوهم ولا سيما فيما يروونه للاباء الاولين من الشعر ·· حتى روى بعضهم اشعارا نسبها الى آدم ! وأرفق منه حالا من روى للتبابعة · ويطعن فى صحتها أن لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيرا · وقد يرد على ذلك بأن الحميرى قد يعرف العربية وينظم فيها ، لكن الغالب انهم لم يفعلوا

٦ ـ تنقل الشعر فى الاقاليم

من القواعد الثابتة فى علم الطبيعة ان للاقليم تأثيرا فى اخلاق النـــاس وابدانهم ، فيختلفون صحة ونشاطا وبديهة وذكاء باختلاف الاقليم · ويقال على الاجمال ان أهل البادية أصفى ذهنا من سكان المدن ، وأهل البلاد الباردة أسرع حركة ونشاطا من أهل البلاد الحارة . وفى البلد الواحد يفضل أهل الجبال على أهل السهول نشاطا وصفاء ذهن

(*) ذكر المؤلف فيما بعد أن لغة حمير تخالف لغة قريش وعرب الشمال وهذا هو الصحيح كما مر بنا فى التعليقات ، واذن فهذا الشاعر الحميرى لايمكن أن يكون قد نظم شعرا فى اللغة المضرية لانها ليست لغته . والمؤلف يتابع فى هذه الفكرة ابن قتيبة فى كتابه « الشـــعر والشعراء » ، اذ عقد فى مقدمته فصلا عن أوائل الشعراء غير أن الفكرة التى اعتمد عليها هذا الفصل عند ابن قتيبة ، وعند ابن سلام من قبله فى كتابه طبقات الشعراء غير صحيحة من الوجهة العلمية لان أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر الجاهلى القديم طواهم الزمان

(١) المزهر ٢٣٧ ج ٢ والاغانى ج ١٦ (٢) الاغانى ١٦٣ ج ١٦

وعلى هذا القياس فان سكان نجد اقوى بنية واصفى ذهنا من سائر سكان جزيرة العرب ، لانها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل ، وقد تغزل بها العرب فقال قيس بن الملوح :

تَمَتَّعْ من شَميم عرار نجْدٍ   فما بعـد العشـيّة من عرار

وقال آخر :

سقى الله نَجْداً والسلامُ على نجد   ويا حبذا نَجْدٌ على القرب والبعد

وفيها الارض التى حماها كليب وائل ، وافضى ذلك الى قتله ونشوب حرب البسوس ٠ وفيها جبل عكاد (١) الذى لم تثبت العربية الفصيحة بعـد تمادى الاجال الا بين اهله ٠ وعندهم ان أفصح العرب أهل السروات ، وهى ثلاثة جبال مطلة على تهامة ٠٠ وأهل نجد أقوى شاعرية من غيرهم من بلاد العرب ٠٠

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم ، امتاز اهـل كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر ٠٠ فاشتهر اهل الحجاز بالرقة واكثر شعرهم الغزل (٢)، كما اشتهر اهل نجد بالبلاغة (٣) وقد ذهبوا فى الشعر كل مذهب ٠ واذا أحصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمس الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقى من العراق وفئة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

٧ ـ تنقل الشعر فى القبائل (*)

ربيعة : اما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم أن ربيعة أول من نهض للاستقلال وهم أول من نبغ فى الشعر ٠٠ وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن قاسط ويشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهـل وسدوس ٠ وكانوا يقيمون قديما فى اليمن ثم فى نجد ، ثم نزحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق ٠٠ فأقاموا فى باديتها وفيما بين النهرين ، ونبغ منهم وهم فى نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الاكبر وابن اخيه المرقش الاصغر ٠ والاكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٤) والمرقش الاصغر

---

(١) جبل قرب زبيد   (٢) الاغانى ٤٢ ج ٧   (٣) الاغانى ٧٢ ج ١

(*) يتابع المؤلف هنا أيضا نقاد العصر العباسى ومؤرخيه من مثل ابن سلام وابن قتيبة فى زعمهم ان الشعر تنقل فى القبائل ، فكان أولا فى ربيعة ، ثم تحول الى قيس ، ثم انتهى الى تميم ٠ ونصوص الشعر الجاهلى تشهد بأن القبائل الشمالية جميعها كانت تنظم الشعر فى اول العصر الجاهلى (فترة الجاهلية الثانية) وكان يدور على كل لسان فى ربيعة وقيس وتميم وغيرهم من قبائل العرب الشمالية ، فليس لقبيلة سبق واضح على قبيلة أخرى

(٤) الاغانى ١٩٠ ج ٥

عم طرفة بن العبد ، ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قميئة المتقدم انه اقدم من قال الشعر من نزار ، والحارث بن حلزة والمتلمس خال طرفة والاعشى والمسيب بن علس وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربيعة الى العراق زادتها مناظر ذلك الوادى سعة فى الخيال

قيس : وتحول الشعر بعد ربيعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عبس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وعامر بن صعصعة ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه البطون أو القبائل فى نجد وأعالى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء ، فمنهم النابغتان وزهير بن أبى سلمى وكعب ابنه ولبيد والحطيئة والشماخ وخداش بن زهير وغيرهم . وعندهم أن أشعر قيس الملقبون من بنى عامر والمنسوبون الى أمهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر فى تميم وهى قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديما تقيم فى تهامة ، ثم نزحت فى أواسط القرن الثانى قبل الهجرة نحو العراق واستقرت فى باديته وما يليها جنوبا . ومن شعرائها المشاهير أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك فى بطون مدركة من مضر ، وهى هذيل وقريش وأسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية .. أما المدن فانها قليلة فى جزيرة العرب، وأهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول ، وأشعر أهل المدن فى الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

٨ — عدد الشعراء بالنظر الى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل ، كانت قيس أكثرها شعراء ، تليها اليمن فربيعة فمضر فقريش فقضاعة فاياد . وعدد الشعراء فى الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتى بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعرا ، يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل

اسم القبيلة	عدد الشعراء	اسم القبيلة	عدد الشعراء
قيس	٣٠	قريش	١٠
اليمن (القحطانية)	٢٣	قضاعة	٤
ربيعة	٢١	أياد	٢
مضر	١٦	موال غير عرب	١
تميم	١٢		

(١) الاغانى ٩٢ ج ٢ (٢) العمدة ٥٦ ج ١

ولزيادة الايضاح نذكر أشهر البطون التى تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهل المراجعة على الباحث :

يدخل فى قيس :

غطفان ــ ذبيان ــ عبس ــ هوزان ــ سعد ــ سليم ــ ثقيف ــ عامر ــ كلاب ــ جعدة ــ نمير ــ عقيل ــ قشير

فى ربيعة :

النمر بن قاسط ــ عبد القيس ــ بكر بن وائل ــ تغلب ــ يشكر ــ جشم ــ حنيفة ــ عجل ــ شيبان ــ سدوس ــ ذهل ــ ضبيعة

فى القحطانية :

طى ــ الاشعر ــ جذام ــ الازد ــ كندة ــ لخم ــ مذحج ــ خزاعة ــ همدان ــ غسان ــ الأوس والخزرج

فى تميم :

مازن ــ سعد ــ دارم ــ يربوع ــ مجاشع ــ بهدلة ــ مالك

فى قضاعة :

جهينة ــ ضجعم ــ تنوخ ــ كلب

فى مدركة :

هذيل ــ أسد ــ كنانة ــ قريش ــ الدئل

فى قريش :

هاشم ــ أمية ــ مخزوم ــ تيم ــ عدى ــ سهم ــ أسد ــ نوفل ــ زهرة ــ جمح

٩ ــ كثرة الشعر وتعدد الشعراء

رأيت فيما تقدم استعداد العرب الفطرى واقتدارهم على النظم ، لأن لغتهم شعرية بألفاظها وأساليبها ومعانيها . فلا عجب اذا تعدد شعراؤها وكثرت أشعارهم ، وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضياع أكثر ما خلفوه وذهاب أكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك فى الجاهلية ، واشتغال العرب عنه بالفتوح فى صدر الاسلام . على أننا نكتفى بالاستدلال على كثرة ذلك بما وصل الينا من أخبارهم ويؤخذ منها أن عرب الجاهلية نظموا فى نهضتهم الاخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم فى الامم فى عدة قرون ، وخصوصا فى العصر الجاهلى . فالياذة هوميروس وأوديسته هما معظم شعر جاهلية اليونان ، ولا يزيد عدد أبياتهما على ٣٠ ألف بيت ، وكذلك مهابهاراتة الهنود ٢٠ ألف بيت ، وراماياناتهم ٤٨ ألف بيت. وأما العرب فيؤخذ مما بلغنا من أخبارهم عما نظموه فى نهضتهم الاخرة قبل الاسلام انه يربو على أضعاف ذلك ، وهم يعدون منظوماتهم بالقصائد لا بالابيات ، وقد ذكروا أن أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب

(الجاهلية) ١٤ ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ ألف قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة . وكان الاصمعى يحفظ ١٦ الف أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروى أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) . ومع ما يظن فى ذلك من المبالغة ،فانه يدل على كثرة ما نظمه العرب من المنظومات . وخصوصا اذا اعتبرنا أن ما وصل الى رواة الشعر فى الاسلام انما هو بعض أشعار الجاهلية ، لأن كثيرين من رواة الشعر الجاهلى قتلوا فى الفتوح الاسلامية .. فضاع ماكان فى محفوظهم من الاشعار ، قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه ، وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شىء مما حمل اليونان او الهنود أو غيرهم على النظم ، وانما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا فى النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائحهم ، كما حدث للرومانيين ... فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتينى عصره الذهبى الا فى أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم أخذ فى التقهقر، ويقال نحو ذلك فى دول أوربا الحالية ، فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم فى العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين ، رأيت الشعر داخلا فى كل عمل من أعمالهم موافقا لكل حركة من حركاتهم ،حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر وكان كل واحد منهم شاعرا أو يقول الشعر ولو قليلا ، حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكماء والصعاليك والعبيد واللصوص والمجانين من النصارى واليهود والوثنيين . وقد تسلسلت القريحة الشعرية فى كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال .. فالنعمان بن بشير الانصارى من العريقين فى الشعر خلفا عن سلف ، جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (٦) ، وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعرا وعمه قيس شاعرا وأبناء كعب واحفاده كلهم شعراء (٧) وهكذا الكميت بن معروف وعبد يغوث بن صلاءة ، وعندهم من بيوتات الشعر فى الجاهلية عدد كبير ، منهم بيت أبى سلمى فقد كان أبو سلمى شاعرا وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة فى الشعر ، خاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وكان ابناه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء . وحسان بن ثابت تسلسل الشعر فى أبنائه بضعة أجيال . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير ، فكان هو وأبوه وجده شعراء ، وكذلك بنوه وأحفاده . ومنهم بيت رؤبة بن العجاج وبيت أبى حفصة وبيت أبى عيينة (٨) وغيرهم

---

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٢٠ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١ (٤) الشعر والشعراء ٤
(٥) المزهر ٢٣٧ ج ٢ (٦) الاغانى ١٢٥ ج ١٤
(٧) الأغانى ٢٠٧ ج ١٥ (٨) العمدة ٢٣٥ ج ٢

على أن ما بلغنا من أسماء الشعراء هو القليل ، اذ لم ينقل الرواة من اخبار شعراء العشائر الا الاشهر فضلا عما ضاع خبره . اما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فأكثر من أن يحيط بهم الحصر او يقف من وراء عددهم واقف ، ولو قضى عمره فى التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ، وحسبك انه لم يستطع أحد من رواة الشعر أن يستوفى جمع أشعار قبيلة واحدة (١)

ثم ان الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم على قلتهم ، لم يصلنا من اشعارهم الا بعضها ، وضاع سائرها فى اثناء الفتوح الاسلامية لاشتغال الناس بالاسلام والحرب عن رواية الشعر وذهاب أكثر الرواة والحفاظ فى الجهاد ، فلما عادوا بعد الفتوح الى الاشتغال بالادب واخذوا فى جمع الشعر لم يجدوا منه الا القليل . ويؤيد ذلك انك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وما له من الشهرة ، ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة .. فطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص مع ما لهما من الشهرة الواسعة فى الشعر ، لا نجد فيما رواه الرواة من أشعارهما ما يوازى تلك المنزلة (٢)

١٠ — طبقات الشعراء فى الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع اكثر اخبار الشعراء الجاهليين ومعظم أشعارهم ، فان الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر ، نبغوا فى القرنين الاولين قبل الهجرة او فى الخامس والسادس للميلاد واكثرهم من اهل القرن السادس .. وبعضهم عاش أعواما بعد الاسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الاجمالى بالنظر الى مواطنهم وقبائلهم ، وبقى أن ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم واغراضهم واخلاقهم ومراتبهم

اما تقسيمهم الى طبقات فمن اصعب الامور ، وقد حاول ذلك غير واحد من ادباء المسلمين فى ابان التمدن الاسلامى وتفاوتوا فى تعيين الطبقات .. فاعتبرها بعضهم بالنظر الى الاجادة فقالوا : الشعراء أربع طبقات ..

(١) شاعر خنذيذ وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره

(٢) شاعر مفلق وهو الذى لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيذ

(٣) شاعر « فقط » وهو فوق الردىء بدرجة

(٤) شعرور وهو لا شىء

وقسمهم آخرون الى شاعر مفلق ، وشاعر مطبق ، وشويعر ، وشعرور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمنَّ أربعهْ ... فشاعرٌ يَجْرى ولا يُجْرَى معه
وشاعرٌ يخوض وَسْط المعمعهْ ... وشاعر لا تشتهى أن تسمعه
وشاعرٌ لا تستحى أن تصفعه

---

(١) الشعر والشعراء ٣ (٢) المزهر ٢٢٧ ج ٢

ورويت هذه الابيات هكذا أيضا :

الشـعراءُ فاعلمنَّ أربعـــهْ ... فشـــاعرٌ لا يرتجى لمنفعـــه
وشاعر ينشـــد وَسْطَ المعمعه ... وشاعر آخرُ لا يجـرى معـــه
وشاعر يقال خَمِّرْ فى دَعه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشـتهر من قصـــائدهم المنتقـاة ، وانتخبوا ســـبع طبقـات عـــدد كل منهـا ســـبعة شـعراء « تقريبا » وفيهـــم نفـــر من شـــعراء صـــدر الاسلام .. أولهم أصحاب المعلقات ، يليهم أصحاب المجمهرات ، فالمنتقيات ، فالمذهبات ، فالمراثى ، فالمشوبات ، فالملحمات ، وهـــذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الاشارة الى قبيلة الشـاعر وبلده ، وبعضهم من شعراء العصر الاموى :

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
١ ـ أصحاب المعلقات		
امرؤ القيس	كندة	نجد
زهير بن أبى سلمى	مزينة	«
النابغة الذبيانى	ذبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	اليمامة
لبيد بن ربيعة	عامر	نجد
عمرو بن كلثوم	تغلب	العراق
طرفة بن العبد	بكر	البحرين
عنترة العبسى	عبس	نجد
٢ ـ أصحاب المجمهرات		
عبيد بن الابرص	أسد	نجد
عدى بن زيد	عباد	الحيرة
بشر بن أبى حازم	أسد	نجد
أمية بن أبى الصلت	ثقيف	الطائف
خداش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن تولب	عكل	«
٣ ـ أصحاب المنتقيات		
المسيب بن علس	بكر	العراق
المرقش الاصغر	ضبيعة	نجد
المتلمس	بكر	البحرين
عروة بن الورد	عبس	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	العراق
دريد بن الصمة	جشم	نجد
المتنخل الهذلى	هذيل	الحجاز
٤ ـ أصحاب المذهبات		
حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	«	«
مالك بن العجلان	«	«
قيس بن الخطيم	«	«
أحيحة بن الجلاح	«	«
أبو قيس بن الاسلت	«	«
عمرو بن امرىء القيس		
٥ ـ أصحاب المراثى		
أبو ذؤيب الهذلى	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الغنوى	غنى	نجد
أعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميرى	حمير	اليمن
أبو زبيد الطائى	طى	نجد
متمم بن نويرة	يربوع	«
مالك بن الريب	تميم	العراق

(١) المزهر ٢٤٦ ج ٢ ، وخمر : استتر

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
٦ ــ أصحاب المشوبات		
نابغة جعدة	جعدة	نجد
كعب بن زهير	مزينة	»
القطامى	تغلب	العراق
الحطيئة	عبس	نجد
الشماخ بن ضرار	ذبيان	الحجاز
عمرو بن أحمر	باهلة	نجد
تميم بن مقبل	عامر	»

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
٧ ــ أصحاب الملحمات		
الفرزدق	تميم	العراق
جرير	»	»
الاخطل	تغلب	»
عبيد الراعى	هوازن	الحجاز
ذو الرمة	عبد مناة	اليمامة
الكميت	أسد	نجد
الطرماح بن حكيم	طى	»

جملة هذه القصــــائد ٤٩ قصيدة هى نخبة قصائد العرب فى الجاهلية والاسلام ، وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشى فى كتاب جمهرة أشعار العرب ، وقد طبع بمصر مشروحا . ولمحمد بن سلام كتاب فى طبقات الشعراء قد ضاع (*) . ويظهر مما نقل عنه فى الاغانى والمزهر وغيرهما أنه أوفى كتاب فى هذا الموضوع . وقد رأينا فيما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته فى ذلك التقسيم (**)

١١ ــ تقسيمهم من حيث طبقاتهم

أما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فأمر غير ميسور ، لان نقدة الشعر لم يتفقوا فى هذا الموضوع . على اننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكاريوس المطبوع فى بيروت ، ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك فى جدول ، وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

(*) نشر هذا الكتاب ، وقد طبع أولا فى ليدن ، ثم طبع فى مصر بدار المعارف طبعــة علمية حققها محمود محمد شاكر

(**) سلك ابن سلام فحول الشعراء فى العصرين الجاهلى والاسلامى فى عشر طبقات . وقد لاحظ فى وضع الشعراء بهذه الطبقات كثرة شعر كل منهم ومدى معالجته للفنون المختلفة مع الجودة الفنية . انظر فى ذلك كتابنا «النقد» فى سلسلة فنون الادب العربى التى تصدرها دار المعارف ص ٤٤

أ ـ شعراء الطبقة الاولى (*)

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندى	كندى	من أهل نجد	٥٢٩ م
أمية بن أبى الصلت	الثقفى	« الطائف	٦٢٢ م
بشر بن أبى حازم	الأسدى	« نجد	٥٣٠ م
الحارث بن حلزة	اليشكرى	« العراق	٥٦٠ م
زهير بن أبى سلمى	المزنى	« نجد	٦٠٩ م
النابغة الذبيانى	الذبيانى	« الحجاز	٦٠٤ م
طرفة بن العبد	البكرى	« البحرين	٥٥٢ م
عبيد بن الابرص	الأسدى	« نجد	٥٥٠ م
المهلهل عدى بن ربيعة	التغلبى	« العراق	٥٠٠ م
عدى بن زيد	العبادى	« الحيرة	٥٩٧ م
عمرو بن كلثوم	التغلبى	« الجزيرة	٥٧٠ م
عنترة بن شداد	العبسى	« نجد	٦١٥ م
لبيد بن ربيعة	العامرى	« «	٤١ هـ
أعشى قيس	السعلبى	« اليمامة	٦٢٩ م

ب ـ شعراء الطبقة الثانية

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
أحيحة بن الجلاح	الأوسى	من أهل يثرب	٥٦١ م
أوس بن حجر	التميمى	« العراق	٦١٠ م
الاسود بن يعفر	الدارمى	« العراق	٦٠٠ م
البراق بن روحان	التميمى	« العراق	٥٢٥ م
تماضر بنت عمرو الخنساء	السلمية	« نجد	٦٤٦ م
تميم بن مقبل	العامرى	« نجد	أدرك الاسلام
تأبط شرا	الفهمى	« تهامة	٥٣٠ م
الشنفرى	الأزدى	« اليمن	٥١٠ م
الحطيئة	العبسى	« نجد	أدرك الاسلام
المتلمس	الضبعى	« البحرين	٥٥٠ م
حاتم	الطائى	« نجد	٥٦٩ م
الحارث بن عباد	البكرى	« العراق	٥٢٠ م

(*) وضع المؤلف أمام كل شاعر سنة الوفاة ، وهى تقريبية ، وخاصة بالقياس الى شعراء العصر الجاهلى • وقد جمع فى هذا الثبت شعراء جاهليين واسلاميين ، وسيذكر فيما بعد انه عمد الى نظم شعراء صدر الاسلام فى شعراء العصر الجاهلى ، وكأنه لاحظ مالاحظه ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » من أنهم نشأوا فى الجاهلية ، وخرج عليهم الاسلام وقد تكونت شاعريتهم ، فهم جاهليون شعرا وان كانوا مسلمين عقيدة

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
حسان بن ثابت	الأنصاري	من يثرب	٥٤ هـ
أبو دؤاد	الأبادي	« العراق	٥٢٠ م
خداش بن زهير	العامري	« نجد	٥٧٠ م
خفاف بن ندبة	السلمي	« نجد	٥٩٥ م
خويلد بن خالد	الهذلي	« الحجاز	٢٦ هـ
دريد بن الصمة	الجشمي	« نجد	٨ هـ
الربيع بن زياد	العبسي	« نجد	٥٩٠ م
المرقش الاصغر	الضبعي	« نجد	٥٠٠ م
المخبل ربيعة بن مالك	السعدي	« نجد	أدرك الاسلام
ربيعة بن مقروم	الضبي	« نجد	٢٨ هـ
السموءل بن غريض	الأوسي	« الحجاز	٥٦٠ م
سلامة بن جندل	التميمي	« تميم	٥٢٠ م
أبو قيس بن الاسلت	الاوسي	« أهل يثرب	...
عامر بن حليس	الهذلي	« الحجاز	٥٠٠ م
عبد الله بن رواحة	الانصاري	« يثرب	٨ هـ
النابغة الجعدي	الجعدي	« نجد	أدرك الاسلام
عروة الصعاليك	العبسي	« نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	« تميم	٥٦١ م
عمرو بن أحمر	الباهلي	« نجد	٤١ هـ
عمرو بن الاهتم	التميمي	« نجد	٥٧ هـ
عمرو بن قميئة	البكري	« العراق	٥٣٨ م
قيس بن الخطيم	الأوسي	« يثرب	٦١٢ م
كعب بن زهير	المزني	« نجد	٢٤ هـ
متمم بن نويرة	اليربوعي	« تميم	أدرك الاسلام
المتنخل بن عويمر	الهذلي	« الحجاز	٦٠٠ م
المثقب العبدي	العبدي	« العراق	٥٢٠ م
المسيب بن علس	البكري	« العراق	٥٨٠ م
الشماخ بن ضرار	السعدي	« نجد	١٨ هـ
معن بن أوس	المزني	« تهامة	٢٩ هـ
المنخل بن الحارث	اليشكري	« العراق	...
النمر بن تولب	العكلي	« نجد	٢٥ هـ

ج ـ شعراء الطبقة الثالثة

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
أمية الاسكر	البكري	من نجد	أدرك الاسلام
اياس بن قبيصة	الطائي	« العراق	٦١٠ م

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
حاجز بن عوف	الأزدي	من الحجاز	٥٩٠ م
الحارث بن ظالم	المري	« نجد	٦٠٠ «
سليك بن السلكة	السعدي	« تميم	٦٠٥ «
زهير بن جناب	الكلبي	« كلب	٥٦٠ «
زيد الخيل	النبهاني	« نجد	...
الممزق العبدي	العبدي	« أهل العراق	٤٨٠ م
الفند الزماني	الزماني	« اليمامة	
عامر بن الطفيل	العامري	« نجد	١١ هـ
العباس بن مرداس	السلمي	« «	١٦ هـ
عبد الله بن العجلان	النهدي	« اليمن	٥٦٦ م
عمرو بن معدي كرب	الزبيدي	« «	٢١ هـ
قيس بن زهير	العبسي	« نجد	...
لقيط بن زرارة	الدارمي	« تميم	٥٨٢ م
مالك بن نويرة	اليربوعي	« «	ادرك الاسلام
المستوغر بن ربيعة	السعدي	« «	٥٧٠ م
يزيد بن ورقاء	اليربوعي	« «	١٧ هـ

خصائص الشعر الجاهلي

١ ـ تمثيل الطبيعة

فطر عرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل فى كل شيء ، شأن أهل البادية ، لبعدهم عن شوائب المدنية .. فهم على الفطرة الطبيعية ، وعنوانها الصدق بكل معانيه ، ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الادبية والصراحة فى القول والعمل . فلا يتكلفون فى لباسهم ولا طعامهم ولا شرابهم ولا يتصنعون فى كلامهم ، وانما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم بلا تنميق أو تأنق . يدلك على ذلك ما ظهر من حريتهم فى أقوالهم فى صدر الاسلام يوم كان أحدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس ، واذا رأى فيه عوجا انتقده فى وجهه والخليفة لا يرى غرابة فى انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال فى شؤونهم الشخصية ، ونفورهم من التقيد بشيء حتى المكان ، فانهم لا يتوطنون صقعا بل يجعلون منازلهم على ظهور ابلهم لا يحملون ضيما ولا يصبرون على ظلم . فتمكنت الحرية من طباعهم حتى ظهرت فى أقوالهم وأفكارهم وفى أشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعرى صوروه كما يتخيل لهم ، خلافا لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه فى أقوال الشعراء ، بعد أن استبحر عمران الدولة وكثر المتملقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى . أما الجاهليين فالقاعدة فى النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن أبى سلمى وهو :

وإن أشعرَ بيتٍ أنت قائله بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا (١)

وصف الحب

والبدوى اذا تيمه الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماما ، فاذا سمعه متيم شعر مثل شعوره .. فهو لا يبالغ بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طيفا كقول المتنبى : « لولا مخاطبتى اياك لم ترنى » أو قول ابن الفارض : « ما له مما براه الشوق فى » ولا يبالغ فى بكائه وزفيره حتى يزعم أنه غرق فى بحر دمعه أو احترق بنار زفيره ، ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر ـ وهو معدود من شعراء صدر الاسلام

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

لكنه بدوى فى طباعه . وان لم يصح أن المجنون اسم على مسمى كما سيأتي ـ فالشعر يعبر عنده عن تصور أهل البادية . ومما ينسب اليه قوله :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدى (١) على الدهر عاديا
فما أشرف الأيفاع إلا صبابة ولا أنشد الأشعار إلا تداويا
وعهدى بليلى وهى ذات موصد (٢) ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها وأعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
خليلى لا والله لا أملك الذى قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشىء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتمانى ان تيماء منزل لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فيا رب سو الحب بينى وبينها يكون كفافاً لا على ولا ليا
فما سميت عندى لها من سمية من الناس إلا بل دمعى ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الليل الا بت للريح حانيا
فأشهد عند الله انى أحبها فهذا لها عندى فما عندها ليا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت املنى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ومثل ذلك قول ابن الدمينة :

فديتك أعدائى كثير وشقتى بعيد وأشياعى إليك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك وصول

فلا يسمع صحب هذه الابيات وأمثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور صحيح

فى الرثاء

ويقال نحو ذلك فى سائر أغراضهم من الشعر ، فاذا رثى الجاهلى ميتا لا يوهم القارىء أن السماء أطبقت على الارض ، وأن الشمس كسفت ،

(١) اعدى : أعين (٢) الموصد : الخدر

والدنيا لبست الحداد ، ونحو ذلك .. ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب ترثيه ، وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلا قوّض الدهر به سقف بيتى جميعاً من عل
ورمانى فقده من كثب رمية المصمى به المستأصل
هدم البيت الذى استحدثته وسعى فى هدم بيتى الأول
مسّنى فقد كليب بلظى من ورائى ولظى مستقبلى
ليس من يبكى ليومين كمن إنما يبكى ليوم ينجلى
يشتفى المدرك بالثأر وفى دركى ثأرى ثكل المثكل
ليته كان دماً فاحتلبوا بدلا منه دمى من أكحلى

فى الهجو

واذا اراد ان يهجو ، فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش . وعندهم أشد الهجاء أعفه وأصدقه ، وما خرج من ذلك فهو قذف وافحاش . ومن أشد الهجاء عندهم قول زهير بن أبى سلمى فى آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء
فإن تكن النساء مخبآت فحق لكل محصنة هداء (١)

وذكروا ان النابغة سأل قومه بنى ذبيان بعد واقعة حسى عما قالوه فى عامر بن الطفيل فأنشدوه . فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ولكننى سأقول ، ثم قال :

فان يك عامر قد قال جهلا فإن مطية الجهل الشباب
فكن كأبيك أو كأبى براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبّك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب
فان تكن الفوارس يوم حسى أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه ، وقال : « ماهجانى أحد حتى هجانى النابغة .. جعلنى القوم رئيسا وجعلنى النابغة سفيها جاهلا وتهكم بى »

---

(١) العمدة ١٣٩ ج ٢ والهداء : زفاف العروس

ومن لطيف تجافيهم عن الهجو ، ما قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته ، فتعفف وقال :

وقالوا ألا تهجو فوارسَ هاشـــم ومالى وإهداء الخَنَى من شماليا

فعبر عن الهجو باهداء الخنى وهو تعبير جميل

واذا تحمس الجاهلى أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم آبالسة ، وانما يقول قول قريط بن أنيف من شعراء بلعنبر :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَستَبِحْ إبلى … بنو اللَّقيطة من ذُهْل بن شَيْبانا
إذاً لقـام بنصرى معشرٌ خُشُنٌ … عند الحفيظـة إن ذو لُوثَةٍ لانا
قومٌ إذا الشر أبدى ناجـذيه لهم … طاروا إليـه زَرافات ووُحْـدانا
لا يسـألون أخاهم حين ينـدبهم … فى النائبـات على ما قال برهانا
لكنَّ قومى وإن كانوا ذوى عدد … ليسـوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً … ومن إسـاءة أهل السـوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشـيته … سـواهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهمُ قوماً إذا ركبـوا … شَدُّوا الإغارة فرسـاناً وركبـانا

فى الوصف

وكانوا اذا وصفوا حادثة مثلوها بلا مغالاة فى المجاز والكناية كما يفعل المتأخرون ، وهذا وصف أبى ذؤيب لحمر الوحش وصائدها ، كيف ترد الحمر وكيف يحتال الصياد فى صيدها ، قال (*) :

فورَدْنَ والعيُّوقُ مقعدَ رابىءِ الـ … ـضُّرباء خلف النَّجـم لا يَتَتَلَّعُ
فشَرعْنَ فى حَجَرات عذب بارد … حَصِبِ البِطاح تغيب فيه الأكرُعُ
فشربنَ ثم سـمعنَ حِسًّا دونه … شرفُ الحجاب وريْبَ قرْعٍ يَقْرعُ

(*) تفسير الغريب فى هذه الابيات والشاعر يتحدث فيها عن الوقت الذى وردت فيه الحمر لتشرب .. العيوق : نجم ، والنجم : الثريا ويكون العيوق بازائه ، والضرباء : المقامرون على القداح ،والرابىء : المراقب لقمارهم ، لايتتلع : لا يتقدم ولا يتأخر ، شرعن : شربن ،حجرات: نواحى ، البطاح : الجوانب وبطون الاودية . والحصب : الملىء بالحصباء ، شرف الحجاب. مرتفع الحرة ، والحس : الصوت • يقول ان الحمر سمعت ما يريبها من صوت قوس أو وتر الصائد ، امترست : دنت ، والهادية : المتقدمة، والجرشع : الغليظ • يقول ان الحمـــر نكرت صوت الصائد فلزمت اتان حمارا خوفا ورهبة • النحوص والعائط : الاتان ليس لها ولد ، ومنصمح : منضم من الدم ، الاقراب : خواصر الحمار ، عيث الصائد : مد يده الى كنانته لياخذ سهما ، صاعديا : سهما مرهفا ، مطحرا : بعيد الذهاب ، الكشح : مابين الخاصرة الى الضلع ، ابدهن حتوفهن : أذاق كلا منها حتفها ، الذماء : بقية الروح ، متجعجع :ساقط يتضرج فى دمه

فنــكرْنه فنفــرن فامترستْ له هــوجاءُ هاديةٌ وهاد جُرْشــع
فرمى فأنفــذ من نَحوص عائط سهمــاً فخرَّ وريشــه متصمّع
فبــدا له إقــرابُ هادٍ رائعــاً عنــه فعيَّث فى الــكنانة يرجــع
فرمى فألحق صــــاعدياً مِطْحَراً بالكَشْح فاشتملت عليــه الأضلع
فأبَدَّهن حتُــوفَهن فهــاربٌ بذَمائه أو باركٌ متجعجــع

واذا وصف أحدهم حيوانا او مكانا او امرأة تحدى تصوير الطبيعة كما هى ولو اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التى يعد ذكرها من قبيل البذاء . يفعل ذلك لا تهتكا وانما يصف الطبيعة كما هى على عادته فى سائر الامور. واحسن الامثلة فى وصف المراة على النحو الذى تقدم قصيدة النابغة فى المتجردة التى مطلعها :

أمن آل مَيَّةَ رائحٌ أو مغتــدى عجــلانَ ذا زادٍ وغــيرَ مزوَّد

وقصيدته اليتيمة فى دعد ، ومطلعها :

هل بالطلول لســـــائل رَدُّ أم هل لهــا بتكلم عَهْــدُ (١)

وهما مثل قصيدة ســـليمان الحكيم فى وصف ملكة سبأ المعروفة بنشيد الانشاد ، وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه فى أوربا يمثلون الطبيعة كما هى ، ويعرفون بأصحاب الحقيقة **Realistes** ومنهم زولا وتولستوى

على أن الجاهليين لا تخلو أشعارهم من التشبيه والمجاز او الكناية ، ولكنهم يفعلون ذلك بلباقة كقول عنترة يصف ذباب الروض :

وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفعـــل الشــارب المترنّمِ
هــزجاً يحــكُّ ذراعه بذراعه قَدْحَ المُكبِّ على الزِّنادالأجْذم(*)

٢ ــ البلاغة فى التركيب

ان لغة الجاهلية على الاجمال لا تزال مثال البلاغة حتى الان لبعدها عن مفاسد العجمة ، وهى معروفة بخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف المدينة كالبديع والجناس ولا المجاز او الكناية الا بقدر الملح من الطعام . اما ما نجده فى بعض اشعار الجاهلية من التعقيد ، فسببه غرابة بعض الالفاظ على أفهامنا وبعد بعض التراكيب عن مألوفنا . ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار

(١) نشرت هذه القصيدة فى السنة ١٤ من الهلال ص ١٧٤ مع سبب نظمها

(*) هزجا : مصوتا ، الاجــذم : مقطوع اليدين ، الزناد : حجران يضرب احدهما بالاخر فتخرج منه النار

من تفهم الالفاظ والتعود على أساليبها ، فاذا فعل ذلك هان عليه فهمها ..
فمن يقرأ قول امرىء القيس فى قصيدته التى يصف بها الفراق وناقته وفرسه فيصل الى قوله :

وإنك لم تقطع لُبانة طالبٍ بمثل غُدُوٍّ أو رَواحٍ مؤوَّبِ
بأدماءَ حُرْجُوجٍ كأن قُتودها على أبلَقِ الكَشْحين ليس بمُغربِ

يجد غرابة فى تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد ، لكنه متى علم أن الادماء الناقة اشرب سوادها بياضا ، والحرجوج الطويلة ، والقتود خشب الرحل ، وأبلق الكشحين حمار الوحش ، والمغرب الابيض الوجه والاشفار وذلك عيب فى اصطلاحهم ، أدرك مراد الشاعر من البيت الثانى وقس عليه سائر التفسير

ان البلاغة فطرية فى عرب البادية شعرا ونثرا .. وكان العرب فى صدر الاسلام يتمثلون بأقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز السهل المتنع ، وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها فى عدة صفحات بباب كلام الاعراب فى الجزء الثانى من كتابه « العقد الفريد » فليراجع هناك وفى سائر كتب الادب . فاذا طالعتها رأيت نفوسا كبيرة وعقولا راجحة لما فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على أنك تجد فى كلام الاعرابى جفاء واغرابا وخشونة فى اللفظ لتعوده مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة فى شعراء الجاهلية على الاجمال . .
وانما هى تكثر فى أهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهل الحضارة مطلقا ، فيكون ذلك من تأثير البيئة .. فان شعر عدى بن زيد وهو جاهلى أسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما اسلاميان ، لملازمة عدى الحضارة واستيطانه الريف وبعده عن جلافة البادية وجفاء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رقته وخشونته باختلاف الفرض منه ، فشعر العاشق أرق من شعر الفارس ، وشعر الحضارة الطف من شعر البداوة

٣ – مذاهبهم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلى فى نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء المدنية بعد الاسلام من استهلال القصائد بالنسيب والغزل ونحوهما ، لكنه يصدر القصائد الطويلة غالبا بذكر المنازل والاطلال ويبكى على الطلول ..
وذلك طبيعى عندهم لانهم أهل رحلة لايقيمون فى المكان حينا حتى ينزحوا عنه اما فرارا من عدو أو التماسا للمرعى او الماء أو نحو ذلك ، كقول امرىء القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

وقوله : « الا عم صباحا ايها الطلل البالى »

---

(١) يتيمة الدهر ٢٤١ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٥٢ ج ٢

أما المولدون أو المحدثون فانهم يصدرون قصائد المدح وغيرها بذكر الحبيب والشوق والوجد والوصل ، وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك ..

والجاهلى اذا عمد الى النظم فى الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنترة الفخرية التى يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والاعين النجل فى بيتين ، ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لى بردُ الصِّبا واللهو والغزل هيهات ما فات من أيامك الأوَل

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتنى ذواتُ الأعين النُّجْلِ

وما ثنى الدهرُ عزمى عن مهاجمة وخوْض معمعةٍ فى السهل والجبل

ولكن هذه القصيدة يغلب انها موضوعة بعد الاسلام

وقد يستهل الجاهلى شعره بمخاطبة خليله فى بيت أو شطر ، ثم يستطرد الى الموضوع الذى يريده .. أو يبدأ بطلب الاخبار بدون ان يذكر الخليل ، كقول امرىء القيس قبيل وفاته فى سفح جبل عسيب :

ألا أبلغ بنى حجر ابن عمرو وأبلغ ذلك الحىَّ الحديدا

بأنى قد هلكت بأرض قوم سحيقاً من ديارِكمُ بعيداً (١)

وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا (٢).

وقد يتكلم بالمثنى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث :

ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا فما لكما فى اللوم نفعٌ ولا ليا

ألم تعلما أن الملامة نَفْعُها قليل وما لومى أخى من شِماليا

ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ، ولكن طرفة بن العبد أول من طرقه فقال :

ففل لخيال الحنظليَّة ينقلب اليها فإنى واصلٌ حَبْلَ من وصل (٣)

وفى مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من ابتداءات الجاهلية فى النظم ، من أراد التوسع فى الامثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب فى نظمهم ان يبدأوا بالغرض المراد رأسا ، فان كان فخراً فبالفخر ، حماسة فبالحماسة ، أو غزلا فبالغزل ، أو رثاء فبالرثاء .

---

(١) شعراء النصرانية ٣٤
(٢) شعراء النصرانية ١ت والختور : الخائن.
(٣) العمدة ١٠١ ج ٢

ومن مراثى المهلهل لأخيه كليب قصيدة مطلعها :

كليبُ لا خير فى الدنيا ومن فيهـا ان أنت خلّيتها فيمن يخلّيها (١)

ومرثية أخرى مطلعها :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وقتيلا من الأراقم كهلا (٢)
قتلتْه ذُهْلٌ فلست براضٍ أو نُبيدَ الحيين قيساً وذهلا

وقس عليه غيره من الاغراض .. على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص للمدح أو الرثاء ، وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ، ولهم أسماء اناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ ـ أبواب الشعر عندهم

ان أبواب الشعر اليوم تعد بالعشرات ، ولم يكن منها فى الجاهلية الا الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء .. وتفرع من المديح الرثاء وهو مدح الميت . والاصل فى المديح والهجاء الدفاع عن القبيلة والطعن فى أعدائها .. ذلك كان غرض الجاهليين من المديح والهجاء ، فأكثر مدحهم فى قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء الا قليلا ، وكانت قصائدهم فى ذلك قصيرة . وقلما رثوا غير اخوتهم واخواتهم او أبنائهم أو بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعى ، ولذلك كان لرثائهم وقع فى النفس كقول تلك الاعرابية فى رثاء ابنها :

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذرُ
كنت السواد لناظرى فعَمِى عليك الناظر
ليت المنازل والديا ر حفائرٌ ومقابر
إنى وغيرى لا محا لة حيث صرتَ لصائر

اما المدح فأمدح الجاهليين زهير والأعشى ، فمن أمثلة مدح زهير بالكرم قوله :

أخى ثقةٍ لا تُهلك الخمرُ ماله ولكنه قد يُهلك المالَ نائلُه
تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
فمَن مثلُ حصْنٍ (٣) للحروب ومثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله

وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير فى هرم بن سنان:

---

(١) شعراء النصرانية ١٦٦ (٢) الاراقم : حى من تغلب
(٣) حصن : من سادة بنى فزارة

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قومٌ بأولهم أو مَجْدهم قعــدوا
قومٌ سـنانٌ أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمنـوا جِن إذ فزعوا مرزّءون بهاليـلٌ إذا جهــدوا
محسّــدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنـهم ماله حُسدوا

وقس على ذلك سائر الاغراض ..

على أن فى منظوماتهم كثيرا من الشعر الوصفى ، وأكثره فى وصف حيواناتهم ومنازلهم وأدواتهم ، وفى وصف أخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم . وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة ، وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش او القطا أو غيرها ، وسنعود الى تفصيل ذلك فى مكانه

٥ ــ التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور عرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم فى اشعارهم ، كما صورها المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم. وكما استخرج علماء الاثار عادات تلك الامم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة ، فالباحث فى شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وأدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم . ولذلك قال ابن خلدون : « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصل يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجى ينى الطرابلسى صاحب المباحث ، ونشر فيه مقالة ضافية فى « المقتطف » سنة ١٣ و ١٥ بعنوان : « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضا محمد المويلحى وله مقالة فى « رموز العرب وتخيلاتهم » نشرت فى « المقتطف » سنة ١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم ..

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها ، وخصوصا الناقة والفرس والقطا والحمام ، ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام فى الغزل ، والناقة فى السفر ، والخيل فى الحرب

٦ ــ المفاخرة والمعاظمة والمقارعة

كان العرب فى جاهليتهم أهل اباء واستقلال وفخر ، فقامت المفاخرة بين قبائلهم وأحيائهم ، وأصبحوا يتنافسون فى كل شىء حتى فى المصائب وهى المعاظمة . أشهرها معاظمة الخنساء وهند بنت عتبة ، فكانت الخنساء تأتى الموسم وتبكى أباها واخويها وقد سومت هودجها براية وتقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيبت هند بنت عتبة المذكورة فى واقعة بدر ، فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما بلغها ما قالته الخنساء قالت : « أنا أعظم

العرب مصيبة » وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وقالت : « اقرنوا جملى بجمل الخنساء » ففعلوا ، فلما تقاربتا تعارفتا وتعاظمتا نظما ونثرا (١)

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس ، فأحرى به أن يكون بين الشعراء . ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتى جرت بين عامر ولبيد والاعشى من جهة ، وعلقمة والحطيئة وفتيان من بنى الاحوص من جهة أخرى .. وأخذوا يتناشدون فى المقارعة فى حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر ، كما جرى بين عمر بن أبى ربيعة والفضل بن العباس اللهبى فى المسجد الحرام .. فأخذ كل منهما يورد أشعارا لابناء قبيلته ، ويبرهن على أنها أحسن مما قاله الشعراء من القبيلة الاخرى (٣)

ولما جاء الاسلام ذهبت عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين والانصار (٤) ، وعندهم أيضا المراجزة (٥) وهى المقارعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

٧ ــ الانفة والعفة

كان العربى فى الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويغار على العرض ، اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الى رهن فى أمر عظيم رهن قوسه .. ولا قيمة للقوس بنفسها ، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهنها له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض ، وفى أخبارهم مالايحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها ، وكثيرا ما نشبت الحرب فى هذا السبيل . وقد كان سبب الحرب التى قتل فيها زهير بن جذيمة العبسى ، ان ابنه شأسا اغتسل بجانب أبيات لبنى غنى بماء لبنى عامر فناداه رجل غنوى أن يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله ، وجر ذلك الى حرب قتل فيها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافا لما صارت اليه طبائعهم حين امتزجوا بالموالى من الامم الاجنبية . وتمثيلا للفرق بين الحالين ، قابل ما قاله عنترة بما قاله أبو نواس الفارسى .. قال عنترة :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى   حتى يوارى جارتى مأواها

وقال أبو نواس :

---

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤
(٢) الاغانى ٥٥ ج ١٥
(٣) الاغانى ٨ ج ١٥
(٤) الاغانى ١١٣ ج ١٥
(٥) الاغانى ١٠٠ ج ٧
(٦) العقد الفريد ٥٢ ج ٣

كان الشـباب مطية الجهـل ومحسّن الضحكات والهزل
والباعثى والناسُ قد رقدوا حتى أتيتُ حليلةَ البَعْـل

ولذلك قل التهتك فى تغزلهم . وبعض القبائل تعد الغزل رذيلة ، (١) وتجد ذلك ظاهرا فى أشعارهم .. فالجاهل متعفف بألفاظه وأخلاقه بعيد عن الفحش فى القول او السباب الا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ ـ لا يستجدون

الجاهلي لاينظم التماسا للعطاء ،وانما ينظم لداع يحركه ، اما دفاعا عن عرض ، أو تحمسا لحرب ، أو تشكيا من الفراق ، أو بكاء على فقيد ، أو نحو ذلك . وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكرا على صـنيع لااستدرارا لجائزة ، كما صار اليه الشعراء فى الاسلام بالتقرب والتزلف. وكان موضوعمدائح الجاهليين شيوخهم وامراءهم ، كهرمبن سنان ،وعامر ابن الظرب ، والاقرع بن حابس ، وربيعة بنمخاشن ،وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره لا للاستجداء . على أن بعضهم انتجع بشعره ، وأول من فعل ذلك الاعشى .. ونظم بعض الجاهليين فى مدح المناذرة أو الغساسنة او بعض أمرائهم . وأشهر المداحين فىالجاهلية الاعشى والربيـع بن زياد والنابغة الذبيـانى والمنخل اليشكرى ،وابو زبيد الطائى ومعن بن أوس وزهير بن أبى سلمى والحطيئة . وسنأتى على اخبارهم فى أماكنها

٩ ـ منزلة الشاعر فى الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء ، تقدم واحدا منهم تسميه شاعر القبيلة . وهى تهتم باعداد الشاعر ، كما تهتم باعداد القائد والخطيب .. فيقال ان قائد القبيلة الفلانية فلان وفارسها فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة الاعراض وحفظة الاثار ونقلةالاخبار . وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهمعلى نبوغ الفارس ، ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة .. أتت القبائل الاخرى فهنأتها به وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كمـا يصنعن فى الاعراس ، وتتبـاشر الرجال والولدان لاعتقـادهم أنه حمـاية لاعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة لذكرهم (٣) . وفى الواقع أن ما بقى لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم، انما هو منقول عن أشعارهم

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة فى الاسترضاء او الاستعطاف او يجعلونهم وسيلة لاثارة الحروب ، فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عنغرضها

---

(١) الاغانى ١١١ ج ٧ (٢) الاغانى ١٤٦ ج ٤
(٣) المزهر ٢٣٦ ج ٣

وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم .. فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولا ، علم الناس ان الحكومة تريده . وهـــذا هو ســبب ما كان يظهر من تأثير الشعر فى السياسة . ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ، ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع فى نفوســهم .. يدلك على ذلك تعليق المعلقات بأستار الكعبة اجلالا لها (١) وسنعود الى ذلك

١٠ ــ تأثير الشعر فى نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية ، لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم ، شأن صاحب الفروسية والنجدة المعبر عنهما عند الافرنج بالشفاليرى . وكان العرب على الاجمال أهل حافظة اذا اعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه .. فيشيع على ألسنتهم كبارا وصغارا ويتحدثون به فى انديتهم ومجتمعاتهم . فاذا كان هجوا سقط المقول فيه ، واذا كان مدحا اشتهر اسمه . ولكن الهجو كان غالبا عليهم ، وقد وفق بعض الشعراء الى شيوع أشعارهم لخفتها . وكان الاعشى من أســير الناس شعرا ، وكذلك زهير والنابغة وامرؤ القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل ، حط الهجو منها خصـــوصا اذا كان الهجو مطابقا للواقع ، والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها . وليس فى العرب قبيلة الا هجيت ، فمن القبائل التى لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل وأسد وأمثالها . ومن القبائل التى أثر فيها الهجاء مع مقامها فى الشجاعة احياء من قيس منهم غنى وبأهله ومحارب واحياء من أد بن طابخة منهم تيم وعكل وغيرهما . وهناك قبائل كان حظها من الشـــعراء المدح ، كبنى مخزوم من قريش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير ابنائها . ويحكى ان شعراء تميم كانوا يذكرون قيسا بالمدح والاعجاب، فافتخرت قيس على تميم . وما زالت تميم منكسة رؤوسها حتى قام لبيد العامرى وهو من قيس ، فذكر تميما فى شعره وأطراها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس ، فتكلمت عند ذلك تميم وافتخرت (٢)

ومن أمثلة تأثير هجو الشعراء فى القبائل شعر حط من قدر الحبطات وهم بطن من تميم ، فقال الشاعر فيهم :

رأيت الحُمْرَ من شَرِّ المطَايا كما الحبطات شرُّ بنى تميم

وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

---

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ١٤٩ ج ٢

انّ أبانا فَقْحَةٌ لدارم كما الظَّلَيْمُ فقحة (١) البراجم

وقد أهلك بنى العجلان قول الشاعر :

إذا الله عادى أهلَ لؤمٍ ودقّةٍ فعادى بنى العَجلان رهطَ ابن مُقبلِ
قبيلته لا يغدرون بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبَّة خَردل
ولا يَردون الماء إلا عشيةً إذا صَدر الورّادُ عن كل مَنهلِ (٢)

ويشبه ذلك بيت جرير فى بنى نمير من عامر بن صعصعة فى الدولة الاموية ، فانه جعل كل نميرى اذا سئل عن نسبه قال انه عامرى ، وهذا هو البيت :

فغُضّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وبعكس ذلك ما أصاب بنى أنف الناقة من الرفعة ، فقد كان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال من بنى قريع وهو نسب آخر لهم ، حتى قال الحطيئة فيهم :

قوم همُ الأنف والأذنابُ غيرهمُ ومن يُسوّى بأنف الناقة الذَّنَبا

فأصبحوا يفاخرون بقبيلتهم ..

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابهة ، فسلمت القبائل الخاملة من هجومهم . وشأنهم فى ذلك مثل شأن الصحف السياسية فى البلاد الاجنبية .. فان الاحزاب يهمها انحياز احدى الصحف المهمة الى جانبها ، كما كان يهم القبيلة او الجماعة فى الجاهلية ان ينصرها شاعر مشهور فتبذل له ما يريد فى سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما وفد على الرسول ومدحه ، فبلغ أبا سفيان ذلك ، جمع رجال قريش وقال لهم : « والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فأجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٣)

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير فى النفوس ، ويحكى من هذا القبيل ان رجلا من كلاب اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن ، وكان معسرا . وجاء الاعشى يقصد مكة فسمعت امراة المحلق به ، فحثت زوجها أن يدعوه للضيافة قبل سواه ويذبح له لانه اذا قال شعرا شاع . فدعاه المحلق ونحر له ناقة ، وبالغت المراة فى اكرامه واكرام رفاقه وكان فى عصابة قيسيه .. فلما جرى الشراب فى عروقه سأل المحلق عن عياله فشكا له حال بناته، ولما وافى سوق عكاظ أنشد قصيدة مطلعها :

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرِّق وما بىَ من سُقْمٍ وما بى مَعْشَقُ

---

(١) الفقحة : السواة
(٢) البيان والتبيين ١٦٩ ج ٢
(٣) الاغانى ٨٦ ج ٨

ثم تخلص الى مدح المحلق واطرائه فى السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون ، فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المحلق يهنئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة الا فى عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (١) ، وكذلك فعل سكين الدارمى فى أنفاق الخمر السود (٢) ، ومن شدة تأثرهم بالشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد فى بيت من اشعاره كما لقب المرقش والنابغة والممزق وافنون وغيرهم (٣) حتى فى الغناء ، فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر أكثر من نغمه

١١ ــ أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب منذ صدر الاسلام مختلفين فيمن هو أشعر شعرائهم ، ولهم فى ذلك أقوال كثيرة .. على ان تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكما اجماليا فى ذلك . ويستدل منه أن أصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء فى حكمهم ، وأشعر هؤلاء ثلاثة : امرؤ القيس ، وزهير بن أبى سلمى ، والنابغة . وقد أجمعوا تقريبا على تفضيلهم ، وانما اختلفوا فيمن هو أشعرهم اختلافا كثيرا .. قال أبو عبيده : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، فان قال قائل ان امرأ القيس ليس من أهل نجد فلعمرى ان هذه الديار التى ذكرها فى شعره ديار بنى اسد بن خزيمة . وفى الطبقة الثانية الاعشى ولبيد وطرفة » . وقيل ان الفرزدق قال : « امرؤ القيس أشعر الناس » ، وقال جرير : « النابغة أشعر الناس » ، وقال الاخطل : « الاعشى أشعر الناس » ، وقال ابن احمر : « زهير أشعر الناس » ، وقال ذو الرمة : « لبيد اشعر الناس » ، وقال ابن مقبل : « طرفة أشعر الناس » ، وقال الكميت : « عمرو بن كلثوم أشعر الناس » والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : « امرؤ القيس ، ثم زهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو ، وطرفة »

على اننا نرى فى الحكم على شاعر أنه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفا ، اذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه .. فيجيد شاعر فى الحماسة ، وآخر فى المديح ، أو الغزل ، أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا : « أشعر الشعراء أربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا غضب »

والذى عليه الاكثرون فى وصف أصحاب المعلقات ، أن امرأ القيس صاحب النصيب الاوفر فى الشعر .. لان الشعر فى تعبيرهم كان جملا فنحر ، فأخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيرا يمتاز بأنه لا يعاظل بين كلامين ولا يتبع وحشى الكلام ولا يمدح احدا بغير ما فيه ، ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب ، (٤) وأن النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم

---

(١) العمدة ٢٥ ج ١ — (٢) تاريخ التمدن الاسلامى ٢٩ ج ٣

(٣) لطائف المعارف ١٧ — (٤) جمهرة أشعار العرب ٢٥

غاية واكثرهم فائدة . وان الاعشى امدحهم للملوك واوصفهم للخمر وأقدرهم شعرا وأحسنهم قريضا . وان لبيدا اقلهم لغوا وعمرو بن كلثوم أعزهم نفسا وأكثرهم امتناعا واجودهم واحدة . وطرفة اشعرهم اذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم فى طول اعمارهم

١٢ ــ رواة الشعر

من عادة العرب فى رواية الشعر ، أنهم كانوا فى أيام الجاهلية اذا نبغ الشاعر صحبه رجل يروى له اشعاره . ويغلب فى الراوية أن يكون مرشحا للشاعرية ، كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذ يأخذ عنه . وكان اعتمادهم فى الجاهلية على الحفظ ، لانهم لم يكونوا يكتبون .. فكان كثير عزة راوية جميل بثينة ، وجميل راوية هدبة بن خشرم ، وهدبة راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير وابنه (١) . وكان الراوية فى الجاهلية وأوائل الاسلام يروى للشاعر الواحد ويصحبه وينشد له ، ويعجب به اعجاب التلميذ بأستاذه ، ويناضل عنه ويفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب ، فان اليونان القدماء كان عنــــدهم أناس يروون الشعر وغيره ويسمون واحدهم Rhapsodist ، أشهرهم فى القديم رواة الالياذة .. على أن بعض الادباء أهلَ الذكاء من العرب ، كان يروى الشعر بدون التخصص بشاعر دون آخر .. وانما كان يفعل ذلك رغبة فى الادب والعلم . افقد كان فى القديم أربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار ، وهم : مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حــذيفة بن غانم بن عامر ابن عبد الله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبى طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكرا لمثالب النــاس .. فعــادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى ألف بعض الاعداء فيه الاحاديث

١٣ ــ شعراء الجاهلية من حيث اغراضهم

تقدم ما للشعر الجاهلى من الخصائص التى يمتاز بها على الاجمال ، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف اغراض الشعراء .. وينقسم الشعراء من هذا الوجه الى مجاميع ، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص . وسنتوخى فى تقسيمهم غير ما نراه فى كتب القدماء ، فنقسم الشعراء بالنظر الى أغراضهم فى النظم

وقد علمت أن الشعراء الجاهليين الذين بلغتنا أخبارهم نحو مائة شاعر وبعض المائة من القبائل على اختلاف أصولها.. وكلهم عرب الا واحدا كان عبدا لبنى الحسحاس وهو أعجمى . فلا عجب اذا خلص الشعر الجاهلى من العجمة لفظا وتركيبا ، خلافا لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام اذ

---

(١) الاغانى ٧٨ ج ٧

نبغ فيهم طبقة من الموالى غير العرب ، كما سيجىء.. فالشعراء الجاهليون كلهم عرب ، وأكثرهم من عدنان كما تقدم .. ومعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون فى أخلاقهم وأغراضهم، وأهمها فى القرنين الاخيرين قبل الاسلام : الحرب فيما بينهم ، يوم كان البدوى يبيت وسيفه أو رمحه ضجيعه، كأنه يتحفز للنهوض فى الصباح للغزو التماسا للرزق أو الفخر أو للثأر . فيقضى أيامه فى الحرب أو يتأهب للحرب ، والشاعر لسان حال قبيلته أو مرآة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان ، وقد اشتهر جماعة منهم فى وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة والفخر . واذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مائة ، كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم فى الحماسة والفخر .. وبينهم طائفة من الملوك والامراء ، أى كانت لهم الرياسة فى قبائلهم وهى أكبر المناصب السياسية فى ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق المتيمين الذين هاج العشق شاعريتهم . وآخرون يدخلون فى صف الفرسان ، لكنهم يختصون بصفة مشتركة هى العدو والغزو ، ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو ففيهم ميل الى المهاجاة . وآخرون اختصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب ، وأخيرا النساء الشواعر ، وهناك طائفة لا تدخل فى احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث أغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم ، لكن علماء الشعر تعودوا تقديم أصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضا ووجهة متشابهون قوة وشاعرية ، فنجعلهم فى باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث أغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة، وهذه هى مع عدد الشعراء من كل طبقة :

عدد الشعراء		عدد الشعراء	
١٠	أصحاب المعلقات	٤	النساء الشواعر
١٤	الشعراء الامراء	٤	الهجاءون
٢٨	الشعراء الفرسان	٤	الوصافون للخيل
٤	الشعراء الحكماء	١	الموالى
٨	العشاق	٣٦	سائر الشعراء
٧	الصعاليك		
١	المغنون	١٢١	المجموع

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢١ شاعرا ، وليس هم كل من قال شعرا فى الجاهلية ، اذ لم يوجد بينهم ذكى لم يقل الشعر لانه كان سجية فى العرب كما تقدم . وانما وصلنا من أخبار أولئك نخبتهم وأشعرهم ، ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعرا وأقواهم شاعرية . والا ففى ديوان الحماسة وجمهرة أشعار العرب والمفضليات وأشعار الهذليين

والاغانى وسائر كتب الادب واللغة أسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من أقوالهم الا بيت أو بضعة أبيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم نفر أدرك الاسلام وعاش فى أيام الراشدين ، وقد عددناه جاهليا لانه نشأ على طبائع الجاهلية وإما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

لكل طبقة مزية

ولكلِّ طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة فى أشعارهم حسب غرضها .. فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بأنفة الملك وعزه ، فيفتخرون بالسيادة أكثر من السيف والرمح والقبيلة .. فمن أقوال أحدهم وهو الافوه الاودى :

معاشرٌ ما بنــوا مجــداً لقومهمُ   وإن بَنَى غيرهم ما أفسدوا عادوا

ويعد هذا البيت من حكمة العرب . واذا مدحوا لا نجد فى مدحهم تزلفا أو استجداء ، وانما يكون للشكر على خدمة سلفت كقول أمرىء القيس يمــدح بنى ثعــل :

فأبلغ معــداً والعباد وطيِّئــاً   وكندة أنى شاكر لبنى ثُعَــلْ

وترى فى تشابيههم عند الوصف ذكر آنية الترف الذى يألفها الملوك والامراء ، فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فرسه شبهها بالمرآة وهى من آنية الترف عندهم ، قال :

وعينٌ كمرآة الصَّــناعِ تديرها   لمحجرها من النَّصيف المنقَّب (*)

ووصف بعض حمر الوحش ، فشبه ألوانها بأنواع الوشى الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف ، ويشيرون الى مواليهم وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه فى مكانه

ويقال نحو ذلك فى شعراء سائر الطبقات ، فان كلا منها تختص بأسلوب أو بشىء يميزها عن الطبقات الاخرى .. فشعر العشاق المتيمين أكثره فى التشبيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء أكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك أن يشترك الشاعر فى غير غرض من هذه الاغراض ، أى أن يكون متحمسا وحكيما وعاشقا وغير ذلك .. فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا ، وانما جعلناهم من طبقة الفرسان لغلبة ذلك عليهم

(*) الصناع : الحاذقة ومرآتها تكون نظيفة صافية ، والنصيف : الخمار ، والمنقب : الذى ينتقب به

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم المكثر من الشعر والمقل ، وبعضهم نظموا كثيرا ، ولم يصلنا من أشعارهم الا القليل ولا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من ايراد تراجم هؤلاء .. وانما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم او خلفوا آثارا يمكن الحصول عليها ومطالعتها .. ونكتفى فى الآخرين بذكر المآخذ التى يمكن الرجوع اليها فى مطالعة أخبارهم لمن أراد

أشهر شعراء الجاهلية

١ ـ أصحاب المعلقات

اختلف الرواة فى عدد المعلقات وأصحابها ، فأبو زيد القرشى صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت .. وهم امرؤ القيس ، وزهير والنابغة ، والاعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم وطرفة ، وعنترة(*) .
ولكن الزوزنى جعل المعلقات سبعا ، ليس بين أصحابها النابغة ولا الاعشى ، وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا التبريزى فوق ذلك قصيدة عبيد بن الابرص ، فصارت المعلقات وملحقاتها عشرا .. هذه أسماء أصحابها :

امرؤ القيس ـ النابغة ـ زهير ـ طرفة بن العبد ـ لبيد ـ عنترة ـ عمرو بن كلثوم ـ الحارث بن حلزة ـ الاعشى ـ عبيد بن الابرص

وذكر أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهو شارح المعلقات ، أنها سبع وأن بعضهم أضاف اليها قصيدتى النابغة والاعشى وأن لم يعدهما من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من أصحاب المعلقات فيهم علقمة ابن عبده (١) لكنه لم يعين معلقته ، وسنأتى هنا على ترجمة كل من نسبت اليه معلقة معينة .. فان الشاعرية تجمعهم جميعا

هل علقت المعلقات بالكعبة ؟

اختلف أصحاب الاخبار فى شأن هذه المعلقات فى الجاهلية ، فقال بعضهم أن العرب بلغ من تعظيمهم اياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وأنكر بعضهم ذلك واكبروه . واقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوى المتقدم ذكره ، فقد قال فى شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه فى مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا فى جمع هذه القصائد السبع ، وقيل ان العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الاشعار .. فاذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها وأثبتوها فى خزائنى . فأما قول من قال انها علقت فى الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل فى هذا « ان حمادا الراوية لما

(*) أكبر الظن أن صاحب الجمهرة أسقط عنترة من أصحاب المعلقات وجعله من أصحاب المجمهرات ، لان كل مجموعة عنده تشتمل على سبعة من الشعراء فقط . ويظهر ان فصله من أصحاب المجمهرات والحاقه بأصحاب المعلقات من عمل النساخ للكتاب قبل أن يطبع

(١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

رأى زهد الناس فى الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها ، وقال لهم هذه هى المشهورات .. فسميت القصائد المشهورة » ونقل ذلك عنه ابن الانبارى فقال : « وهو (حماد) الذى جمع السبع الطوال ، هكذا ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثرون يذهبون الى أنها علقت فى الكعبة . وهذا ابن عبد ربه كان معاصرا للنحاس المذكور وتوفى قبله (سنة ٣٢٨ هـ) قال : « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد ميزتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرؤ القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون فى عصور مختلفة ، منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر ، قال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لانها اختيرت من سائر الشعر فكتبت فى القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هـذه لتكون فى خزانته » (٢) فترى ان ابن رشيق أميل الى القول بتعليقها لأنه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأى الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فانه يقطع بتعليقها ولايذكر سواه ، وهذا قوله : « حتى انتهوا (أى العرب) الى المناغاة فى تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر ، والنابغة الذبيانى ، وزهير بن أبى سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، والاعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع » (٣)

وقد وافقهم أكثر العلماء والباحثين فى هذا الموضوع ، وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة فى الجديد من كل شىء

وأى غرابة فى تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر فى نفوس العرب وتعظيمهم لاصحابه ؟ أما الحجة التى أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهى غير وجيهة ، لأنه قال : « ان حمادا رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة أن الناس لم يكونوا راغبين فى الشعر مثل رغبتهم فى أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حمادا هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله أو فيم قيل ؟ .. واليك تراجم أصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

---

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣ (٢) العمدة ٦١ ج ١ (٣) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

١ ــ امرؤ القيس بن حجر

توفى نحو سنة ٥٤٠ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلا وأرفعهم منزلة ، يتصل نسبه بملوك كندة (*) ، وهم فى قول العرب بطن من كهلان . وكانوا يقيمون فى البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنهما الى منازل كندة فى حضرموت ، واليها ينسبون . أقاموا هناك دهرا يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين ، وقد ضاع أكثر أخبارهم . وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرىء القيس الشاعر . ونزح حجر الى نجد ونزل بطن عاقل فى أوائل القرن الخامس للميلاد ، وكان اللخميون (المناذرة) قد ملكوا كثيرا من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، وهم يومئذ بنجد .. فنهض البكريون معه لمحاربة اللخميين واستقلوا عن سلطانهم ، فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفى بأواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو . وفى أيامه فتح الاحباش اليمن فضعف شأن دولته ، فوجه مطامعه نحو اللخميين فى الحيرة ، وكان يحسدهم لتقربهم من الاكاسرة .. واغتنم تغير كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء بسبب المزدكية وتقرب اليه ، فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث فى نظر القبائل وجعلوا يتقربون اليه بالطاعة وسألوه أن يولى عليهم من أراد . وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكما على بعض القبائل ، ومنهم حجر ابن الحارث والد امرىء القيس تولى على بنى أسد وغطفان .

ثم انقلب الامر على الحارث بعد موت قباذ لان أنوشروان ابنه وافق المنذر وعزل الحارث ففر . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله ، وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقى اثنان : هما حجر والد امرىء القيس ومعد يكرب أمير قيس . ورأى بنو أسد تضعضع دولة كندة ، فاجتمعوا على خلاف ملكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاوة فحاربهم فقتلوه ..

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائبا (**) ، فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الاخذ بثأره لان عدوه قوى . وعلم أيضا أن ذلك العدو اذا عرف مقره قبض عليه . فقضى برهة من الدهر وهو يتجول متنكرا فى اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل ، فلم يجره أحد حتى أتى السموءل صاحب حصن الابلق فاستجاره فأجاره ، فاستودعه أدرعه وأمتعته وهو لا يرى من

(*) أنظر فى كندة وملوكها آباء امرىء القيس تاريخ العرب (مطول) لفيليب حتى ، الجزء الاول وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢١٥ ، وأولبندر Olinder فى ملوك كندة

(**) هكذا يقول ابن الكلبى فى روايته لمقتل حجر أبى امرىء القيس ، كما جاء فى ترجمته بكتاب الاغانى ، وتذهب رواية أوثق من روايته إلى أن امرأ القيس كان حاضرا مقتل أبيه . راجع الاغانى (طبع دار الكتب المصرية) ج٩ ص ٨٥ وما بعدها

يستنصره على أعدائه الا قيصر الروم ‧‧ لان ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه على جارى عادة العرب فى ذلك العهد ، اذا تظلموا من احدى هاتين الدولتين استنصروا الاخرى ‧ ولم يكن لامرىء القيس سبيل الى القيصر فوسط الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب النفوذ عند قيصر الروم يومئذ وطلب منه أن يوصله اليه ففعل ، فسار امرؤ القيس الى القيصر ‧ ويقول العرب ان القيصر بعد أن أجاب دعوته وسمع مدائحه وشى به أحد بنى أسد أعدائه ، وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصدق الوشاية ، وألبس الشاعر حلة مسمومة قتلته ‧ ولا نعرف سما يفعل هذا الفعل ‧ وعلى كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل أربا

وجاء فى شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرىء القيس بالجدرى ما نصه : « وذكر فى كتاب قديم مخطوط أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرىء القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ‧‧ ففعلوا ، وكان تمثال امرىء القيس هناك الى أيام المأمون ، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

شعر امرىء القيس

وكان امرؤ القيس قوى الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر ، لان الملوك كانوا قبله يأنفون من قوله ‧ ولكنه كان مطبوعا عليه يقوله وأبوه حى ، وكثيرا ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه أن يبعده عنه ‧‧ فلم يبال بل جعل يجول فى الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طىء وكلب وبكر بن وائل ، فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه فى كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ‧ ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعى أبيه كان بدمون من أرض اليمن ، فغضب غضبا شديدا ، وغضبه أهاج شاعريته ‧ وأسفاره فى البلاد زادت اختباره ‧ ولعله جاء بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة ، والاسفار توسع الخيال الشعرى ، واذا عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم واستفاد معانى جديدة أو تتفتق قريحته فتستنبط صورا جديدة ، وذلك من الاسباب التى جعلت أمرأ القيس يسبق الى أشياء فى الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعه الشعراء فيها

واذا أمعنت النظر فيما استنبطه من المعانى والاساليب ، رأيتها من ثمار الاسفار وسعة الاطلاع ‧‧ فمنها استيقاف الصحب فى الديار كقوله : « قفا نبك الخ » فانه طبيعى فيمن قضى معظم حياته فى توديع ديار واستقبال ديار ‧ وقد كان الوفا ، اذا أقام فى المكان ألفه واذا عاشر الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص فى وصف الفرس والناقة ، وهذا طبعا من ثمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه

لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به ، لانه أكبر مساعد له على النجاة فى فراره من أعدائه . ولذلك لا تكاد تقرأ له قصيدة الا وجدت فيها أبياتا يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعانى أو اقتباسها ، فمن ذلك قوله فى قصيدته البائية التى يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها : (*)

تبصَّر خليلى هل ترى من ظَعائنٍ

سَلَكْنَ ضُحيًّا بين حَزْمَىْ شَعَبْعَبِ

ولكن القارىء لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة ، وعند ذلك يرى وصفا بديعا لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله فى وصف الفرس :

وقد أغتدى قبل الشروق بسابح أقبَّ كيَعْفور الفلاة مُحَنَّبِ
بمنجردٍ قَيْدِ الأوابد لاحَهُ طِرادُ الهوادى كلَّ شأوٍ مُغَرِّبِ
له أيْطَلا ظَبْىٍ وساقا نعامةٍ وصهْوَةُ عَيْرٍ قائم فوق مَرْقَبِ
ويخطو على صُمٍّ صلاب كأنها حجارة غَيلٍ وارساتٌ بطُحْلُبِ
له كَفَلٌ كالدِّعص لَبَّدهُ النَّدى إلى حاركٍ مثل الغَبيطِ المُذَأَبِ
وعينٌ كمرآة الصناع تديرها لمحجرها من النصيف المنقَّبِ
له أذنان تعرفُ العِتْقَ فيهما كسامعتى مذعورةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ

روصف الفرس كثير فى شعره ، فليراجع فى ديوانه . وقد أجاد فى سائر ضروب الوصف ، وله قصيدة فى وصف المطر وأخرى فى الوصف على الاجمال مطلعها :

(*) الغريب فى هذا البيت والابيات التالية له من نفس القصيدة ـ ضحيا : أوائل الضحى، حزمى : الحزم : الحزن والارض الغليظة ، شعبعب :ماء لتميم ، السابح : الفرس ،أقب: ضامر ، اليعفور : الظبى ، محنب : معوج اليدين ـ وذلك أقوى فيه وفى الفرس اذ يساعدهما على العدو ـ منجرد : قصير الشعر ، الاوابد : جمع آبدة وهى الوحش ، وقيدها : تتقيد به ولاتستطيع خلاصا منه، ولاحه ، أضمره وأهزله، طراد : مطاردة ، الهوادى ، السوابق ، الشأو : الجرى ، مغرب : بعيد ـ ايطلا : خاصرتا ، والصهوة : الظهر، العير : الحمار، والمرقب : المكان المرتفع ـ الغيل هنا : الماء الجارى ، وارسات : مصفرة كلون الورس ، والطحلب : خضرة تعلو سطح الماء ـ الكفل :العجز ، الدعص : الكثيب الصغير المستدير ـ لبده : قواه وجعله صلبا ـ الى حارك : مع حارك والحارك : أعلى الكاهل ـ والغبيط : الرحل ـ والمذاب : الواسع ، الصناع : المراة الحاذقة ، ومرآتها نظيفة صافية لانها شديدة العناية بها ـ المحجر : ما دار بالعين ـ والنصيف : الخمار ـ المنقب : الذى ينتقب به ـ العتق : الاصالة والجودة ـ السامعتين : الاذنين ـ المذعورة : البقرة من الوحش ، تذعر ،فترهف السمع خوفا من الصائد ـ الربرب : قطيع الوحش

ألا انعم صباحاً أيها الرَّبْع فانطلقِ
وحدِّثْ حديثَ الركب إن شئت واصدق

ومع ما فى شعره وسائر أشعار الجاهلية من اللفظ الغريب ، فقد امتاز امرؤ القيس برقة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رَطباً ويابساً
لدى وكرها العنَّابُ والحَشَفُ البالى (*)

وقوله :

كأن عيونَ الوحش حول قبابنا
وأرْحُلنا الجَزْعُ الذى لم يثَقَّبِ

وقوله :

كأنى غداةَ البين لما تحمَّلوا لدى سَمُرَاتِ الحى ناقفُ حنظلِ

وقد أجاد فى وصفه الفرس بقوله:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيلُ من علِ

وله أبيات كثيرة جرت مجرى الامثال على ألسنة الناس ، واتخذ الشعراء بعضها قواعد لنظمهم ، وهو أول من رقق المعانى . ومما بلغ حد النهاية فى الرقة واللطف قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسَهْميك فى أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

وهو أول من وصف النساء بالظباء والمها ، وشبه الخيل بالعقبان ، والعصى ، وفرق بين النسيب وسواه فى القصيدة ، وقرب مآخذ الكلام فقيد الاوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشبيهه وهو مما يتغنى به :

وثغرٍ أغرَّ شتيت الثنايا لذيذ المقبَّل والمبتسمْ
وما ذقته غير ظَنٍّ به وبالظن يَقْضى عليك الحَكَمْ

ويقال ان امرأ القيس أول ما شبب بالنساء ، شبب بأبيات مطلعها :

(*) الغريب فى هذا البيت والابيات التالية : العناب : ثمر أحمر، والحشف :التمراليابس، والجزع خرز يمانى فبه خطوط سود وبيض ـ تحملوا : ارتحلوا ، سمرات : جمع سمرة ضرب من شجر البادية ، وناقف الحنظل الذى يشقه ليستخرج مافيه فتسيل مآقيه ـ أعشار: قطع ـ شتيت : مفلج ، الثنايا . الاسنان ـ الجمة : مجتمع شعر الرأس ـ الرحل : الشعر بين السبوطة والجعوده ـ والاقب : الضامر

(١) المزهر ٢٣٩ ج ٢

عهدتنى ناشئا ذا غـرة خَجِلَ الجُمّة ذا بطنٍ اقبّ (١)

وله محاورة شعرية فى أوابد العرب مع عبيد بن الابرص، أولها قول عبيد:

ماحيةٌ مَيْتة قامت بميتتها درداءُ ما أنبتتْ سنًا وأخراسا

فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسْقَى فى سنابلها فأخرجتْ بعد طول المكث أكداسا

وهى طويلة

معلقته وسبب نظمها

أما معلقته فقد نظمها فى وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه عنيزه بنت شرحبيل اذ حظر عليه لقاؤها ، ولعلهم منعوه منها لما كان من رغبته فى الشعر . أما هو فكان ينتهز الفرص لملاقاتها .. فاغتنم فرصة ظعن الحى ، وكانوا اذا ظعنوا مشى الرجال أولا ثم النساء ، فتخلف امرؤالقيس عن الرجال وتربص حتى ظعنت النساء ، وكان فى طريق الظاعنين غدير يسمى دارة جلجل فى منازل كندة بنجد . فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير وفيهن عنيزة ، فنزعن ثيابهن ونزلن فى الماء فبرز هو من مخبئه وجمع الثياب وجلس عليها وحلف : لا يعطى الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية، فخرجن وبقيت عنيزة وأقسمت عليه أن يعـدل عن شرطه ، فأبى وألح عليها أن تخرج فخرجت ، ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسـوة عليه ، وأخذن يعنفنه وقلن له : « انك أخرتنا عن الحى وجوعتنا » ، فقال : « سأعقر لكن راحلتى تأكلن منها » فعقرها وأتين بالحطب ، وجعلن يشوين اللحم حتى شبعن . وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها .. فلمـا ارتحلن حملن أمتعته على رواحلهن وبقى هو لا مركب له ، فقال لعنيزة : « لا بد لك من أن تحمليني » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم هودجها ، فجعل يدخل رأسه فى الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته ومطلعها :

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخول فحوملِ

وصف بها ما تقدم أحسن وصف ، وهى مدرجة مع سائر المعلقات فى كتاب ، شرح عدة شروح

أما سائر أشعاره فانها جمعت فى ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد طبع فى باريس سنة ١٨٣٧ وفى غيرها وقد شرحه البطليوسى

(١) الاغانى ٦٧ ج ٣

النحوى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ(*)وللنحاس شرح للمعلقة طبع فى هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى فى بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيرا من أشعار امرىء القيس وأخباره فى كتاب الاغانى ٦٢ج٨و١٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٧ ، وفى شرح المعلقات ، وفى كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ ، وخزانة الادب ٥٣٢ ج ٣ وفى شعراء النصرانية صفحة ٦ وفى جمهرة أشعار العرب ٣٩ وفى أكثر كتب الادب والتاريخ (**)

٢ ـ زهير بن أبى سلمى

توفى نحو سنة ٦١٥ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة ، وانما اختلفوا فى تقديم احد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى ، فقد امتاز زهير بما فى نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح ، وهو لا يعاظل فى الكلام ويتجنب وحشيه ولا يمدح أحدا الا بما فيه ، وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ، ويقولون انه احسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، واجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر ، وكان يقيم هو وأبوه وولده فى منازل بنى عبد الله بن غطفان بالحاجز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى قهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيرا ، وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ، ولذلك كان زهير يذكر فى شعره بنى مرة وغطفان ويمدحهما . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم .. فرفع القوم منزلته وجعلوه سيدا . وكثر ماله واتسعت ثروته ، وكان مع ذلك عريقا فى الشاعرية فكان أبوه شاعرا وكذلك خاله واختاه وابناه . وكان لشعره تأثير كبير فى نفوس العرب وكان مقربا من أمراء ذبيان وخصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف . وأول قصيدة نظمها فى مدحها معلقته المشهورة التى مطلعها :

أمِنْ أمِّ أوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ بحَوْمانة الدَّرَّاج فالمتثلَّمِ

(*) بجانب هذه الطبعات طبع أيضا ديوان امرىء القيس فى مصر بتحقيق حسن السندوبى، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى لمصطفى السقا ، وطبع فى بمباى بالهند سنة ١٩١٣ ، وفى الشام مع ديوانى طرفة وزهير

(**) وانظر أيضا كتاب الموشح للمرزبانى ص ٢٧ والمؤتلف للامدى ، ومعاهد التنصيص للعباسى ، وسرح العيون لابن نباتة (طبعة بولاق) ص ١٨١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦ ـ ٩ : وابن بدرون طبعة دوزى ص ١١٧ ـ ١٢٠ ، وطبقات الشعراء لابن سلام فى مواضع متفرقة ، واعجاز القرآن للباقلانى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج٣ ص ٢٥٢ ، وفى الادب الجاهلى لطه حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢٤ ج ١

قالها على أثر مكرمة أتياها بحقن الدماء بين عبس وذبيان (١)

ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ألا يمدحه زهير الا أعطاه ، ولا يسأله الا أعطاه ، ولاسلم عليه الا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا . فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فأصبح اذا رآه فى ملأ من الناس قال : « عموا صباحا غير هرم .. وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : « أنشدنى بعض مدح زهير أباك » فأنشده ، فقال عمر : « انه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » ، فقال عمر : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم » ومدح زهير ايضا سنان بن ابى حارثة المرى وحصن بن حذيفة بن بدر وغيرهما

ومما قاله فى مدح هرم ، ولم يسبقه اليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخيرَ فى هرمٍ والسائلون الى أبوابه طُرُقا

من يَلْقَ يوماً على علاَّته هرما يَلْق السماحةَ منه والنَّدَى خلقا

يطلب شأوَ امرأين قدما حسناً بَذَّا الملوك وبَذا هذه السُّوقا(*)

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثلُه لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثلُ ما قدّما من صالح سبقا

ومن بليغ مدحه قوله فى مدح حصن بن حذيفة بعد ان استهل بوصف الصيد ثم تخلص الى المدح فى قصيدة طويلة جئنا بمثال منها فى فصل سابق من هذا الكتاب ، وتجد أمثلة من نظمه فى أماكن أخرى منه

ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمنا بالبعث ، كقوله :

يؤخَّرْ فيودَعْ فى كتاب فيدَّخَرْ ليوم الحساب أو يعجَّلْ فينْتقَمِ

ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه فى معلقته التى نقلنا بعضها فى الصفحات الاولى من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضى فى بيت واحد وهو :

وإن الحقَّ مقطعُه ثلاثٌ يَمينٌ أو نِفارٌ أو جِلاءٌ

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت اشعاره فى ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية (**) ، وقد طبع سنة ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنتمرى المعروف بالاعلم المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع هذا الشرح فى ليدن سنة ١٣٠٦ هـ ، وله شروح أخرى ضاعت أو لم نقف عليها . وكتب ديروف Dyroff الالمانى

---

(١) الاغانى ١٤٩ ج ٩

(*) الشأو : الغاية ، وامرأين : أبيه وجده ، والسوق : الناس غير الملوك

(**) نشرت دار الكتب المصرية رواية ثعلب للديوان التى ذكرها المؤلف ، وقد طبع الديوان أيضا فى مجموعة العقد الثمين لالورد ، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى للسقا ، ومع ديوانى طرفة وامرىء القيس فى الشام

كتابا بالالمانية فى زهير واشعاره ، وما لم ينشر منها طبع فى منشن سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله فى كتاب الاغانى ٤٨ و ١٤٦ ج ٩ وفى ديوان الشعراء الستة الجاهليين ، وخزانه الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ (*) وجمعت معلقته مع سائر المعلقات وفى الجمهرة ص ٤٧ ، وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتعدم ذكره وهو أهم شروحها . وقد نشره الدكتور هوسهير الالمانى سنة ١٩٠٥ فى برلين مع مقدمة المانية مفيدة

٣ ــ النابغة الذبيانى

توفى سنه ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرىء القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه ، فوقعت العداوة بينه وبين المنخل الشاعر ، فوشى به الى النعمان .. فهرب النابغة الى بنى غسان ونزل بعمرو بن الحارث الاصغر ملك الغساسنة فمدحه . ومازال مقيما عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان اخوه ، فمكث معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة ايضا حسان بن ثابت الانصارى ، ولكن النابغة كان مقدما على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب فى آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فاذا جاء سوق عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده ذات مرة الأعشى ثم حسان ثم الخنساء ، وهذا شرف لم ينله احد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه احسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، فكأن شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر فى كل أقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال ، واقتبس الشعراء كثيرا من أقواله منها :

نُبِّئْتُ أن أبا قابوسَ أوعدنى ولا قَرارَ على زأرٍ من الأسد

تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان ، وقوله :

فلو كَفّى اليمينُ بَغَتْكَ خونًا لأفردتُ اليمين من الشِّمالِ

اخذه المثقب العبدى فقال :

(*) انظر آيضا شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٤٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، ومعاهد التنصيص للعباسى ، والموشح للمرزبانى ص ٤٥ وخاص الخاص للثعالبى ص ٧٥ ،وكتابه الاعجاز والايجاز ص ٣٧ ، وشعراء النصرانية لشيخو ٥١٠ ــ ٥٩٥ ، وفى الادب الجاهلى لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية لكارلو نالينو طبع دار المعارف ص ٦٢ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ولو أنى تخالفنى شمالى   بنَصْرٍ لم تصاحبها يمينى

وقوله :

فحمَّلتنى ذنبَ امرىء وتركته
كذى العُرِّ يُكْوى غيره وهْو راتعُ

أخذه الكميت فقال :

ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ   بهن العرُّ قبلى ماكُوِينا

وقوله :

واستبق وُدَّكَ للصديق ولا تكن   قَتَباً يعضُّ بغاربٍ ملحاحاً (*)

أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الاخوان أسألهم ، كما يلحُّ بِعَضِّ الغاربِ القَتَبُ

ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ
عَبَدَ الإله صَرورةَ المتعبِّدِ (**)
لرنا لبهجتها وحُسن حديثها
ولخالهُ رَشَداً وإن لم يَرْشُدِ

أخذه ربيعة بن مقروم الضبى فقال :

لو أنها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ
فى رأس مُشْرفةِ الذُّرَى يَتَبَتَّلُ
لرَنا لبهجتها وحسن حديثها
ولهمَّ من ناموسه يتنزَّلُ

ومما يتمثل به أيضا من شعره :

ومن عصاك فعاقبْه معاقبةً
تَنْهَى الظَّلومَ ولاتقعدعلى ضَمَدِ (***)

وقال فى العفة وهو أحسن ما قيل فيها :

(*) القتب : الرجل ، والغارب : الكاهل أو ما بين السنام والعنق

(**) الاشمط : الذى خالط شعره الشيب ، والصرورة : الذى لا ذنب له

(***) الضمد : الحقد

رقاق النعـــال طَيِّبٌ حُجُـزاتهم
يحيَّوْن بالريحان يوم السَّباسبِ (*)

أخذه عدى بن زيد فقال :

أجْلَ إن الله قد فضــلكم   فوق من أحكى بصلب وإزارِ

فالصلب الحسب والازار العفاف ، وفى أمثالهم : أصدق من قطاة ــ قال النابغة :

تدعو قَطاً وبها تُدْعى إذا نُسِبَتْ
يا حُســنها حين تدعوها فتنتسب

وذلك لانها تلفظ باسمها . أخذه أبو نواس فقال : « أصدق من قــول قطاة قطا »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هنــد من أصحاب الحيرة ، وعمرو ابن الحارث الغسانى وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبى وهجا ابن زرعة ورثى واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفى قليل فى منظومه الا القصيدة التى نظمها فى وصف المتجردة زوجة النعمان صــاحب الحيرة وقد تقــدم مطلعها . ومن قوله فى وصفها : (**)

نظـرتْ بمُقْلةِ شادن متربِّبٍ   أحْوَى أحَمِّ المقلتين مقلَّدِ
والنظم فى سلكٍ يزيِّن نحـرَها   ذهبٌ توقَّد كالشـهاب الموقَدِ
صفراءُ كالسِّيَراء أكْمِلَ خلقها   كالغُصْن فى غُلَوائه المتـأوِّدِ
قامت تراءى بين سِجْفَيْ كِلَّةٍ   كالشمس يوم طلوعها بالأسْعَدِ
أو دُرَّةٍ صَدَفيَّة غَوَّاصــها   بَهِجٌ متى يرها يُهِلَّ ويسـجد
أو دميــةٍ من مرمر مرفوعة   بنيتْ بآجُرٍ يُشاد وقَرْمَدِ
سقط النَّصِيفُ ولم تُرد إسقاطه   فتنــاولتْه واتقتنــا باليَــدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كأن بنانه   عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعْقَــدِ

(*) يصف فى هذا البيت الغساسنة بالترف والنعيم ، والحجزات : الاوســاط ، ويريد بطيبها العفة والشرف . يوم السباسب : يوم الشعانين

(**) الغريب فى الابيات : الشادن : الظبى الصغير ، المتربب ، المحبوس فى البيت ، أحوى : فيه حمرة الى سواد . أحم : أسود ، ومقلد . قلد بالحلى وزين ــ السيراء . ثوب من حرير فيه خطوط ، وغلواء الغصن : ارتفاعه ، المتاود : المتثنى ، السجف . الستر ، الاسعد : برج الحمل ــ يهل : يرفع صوته بالتكبير ــ تشاد : تبنى وتطلى ، والقرمد : خزف مطبوخ ــ النصيف : الحمار ، المخضب هنا : الكف ، والرخص : اللين ، البنان : الاصابع ، والعنم ، شجر لين الاغصان أو ثمر أحمر مستطيل كالاصابع

وهى طويلة وفيها أبيات لايليق نشرها ، ولكنه وصف فيها الطبيعة كما هى عادة الجاهليين فى تمثيل الواقع ، وكما فعل سليمان الحكيم فى نشيد الانشاد . ومن احسن شعره معلقته التى مطلعها :

عوجوا فحيُّوا لنُعْمٍ دِمْنَةَ الدار ماذا تحيُّون من نُؤْىٍ وأحجار

وهى ستون بيتا ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب

وللنابغه ديوان مطبوع غير مرة ، وشرح منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد ترجمه الى الفرنسية وطبعه مع الاصل العربى المسيو ديرنبرج فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨ ، وصدر كتاب اسمه التوضيح والبيان لاشعار نابغة ذبيان طبع بمصر (*)

واخباره متفرقة فى الاغانى ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و ١٢٦ والجمهرة ٥٢ وفى دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفى شرح المعلقات وسائر كتب الادب (**)

٤ ـ أعشى قيس

توفى سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل من ربيعة ، وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا طرب ، كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد ، وكان يغنى به فسموه صناجة العرب ، وقد تقدم أنه قدرى المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبالـ ـعدل وولَّى الملامةَ الرجلا

ويظن انه أخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذى زوج بنات المحلق بأبيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوما الا رفعهم ، ولم يهج قوما الا وضعهم ، لانه من أسير الناس شعرا وأعظمهم فيه حظا (٢) وله منافرة مع

(*) طبع ديوان النابغة أيضا مع الشعراء الستة فى مصر بشرح البطليموس ، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى للسقا ، ونشر فى بيروت مع مجموعة دواوين آخرى باسم خمسة دواوين العرب : النابغة وعروة بن الورد والفرزدق وحاتم طيى وعلقمة الفحل ، وهو مطبوع بين شعراء النصرانية بعناية شيخو . وعثر ديرنبرج بعد نشرته التى ذكرها المؤلف للديوان على مخطوطة جديدة ، ووجد بها زيادات فأصدر بها ملحقا سنة ١٨٩٩ ، وفى دار الكتب المصرية غير مخطوطة من الديوان

(**) وأنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزبانى ص ٣٨ وتاريخ ابن عساكر ٥/٤٢٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٨ ، وفى الادب الجاهلى لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٩ ـ ٧١ ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع

(١) الاغانى ٧٧ ج ٨ (٢) العمدة ١٤٦ ج ٢

علقمة الفحل . ويمتاز الاعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر ، اذ قل فيهم من ذكره واما هو فقد وصفها بقوله :

وأدكنَ عاتقٍ جَحْلٍ ربَحْلٍ صَبَحْتُ براحةٍ شَرْباً كِراما (*)

من اللائى حُمِلن على المطايا كريح المسك تستلّ الزُكاما

وقوله :

من خَمْرِ عانَةَ قد أتى لختامها حولٌ تسلّ غُمامة المزكوم

وقد ادرك الرسول ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغتمضْ عيناك ليلة أرْمَدا وعادك ما عاد السليمَ المسهّدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خُلّةَ مَهْددا (١)

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من حَفاً حتى تزور محمدا

نبيٌّ يرى ما لا ترون وذكره أغارَ لعمرى فى البلاد وأنجَدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشم تُراحِي وتَلْقَيْ من فواضله يَدا

فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفا من أن يسلم فينصر الرسول بشعره على قريش ، فجعلوا له مائة من الابل فأخذها ورجع . وله معلقة مطلعها :

ما بكاءُ الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى (٢)

وللأعشى ديوان خط فى دار الكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا الى الالمانية ترجمهما المستشرق الالمانى « جاير Geyer » الاولى المعلقة المتقدم ذكرها ، والثانية اولها : « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد عنى بشرحهما مطولا حتى بلغت صفحات شرح الاولى وحدها ٢٢٣ صفحة . وللمستشرق المذكور ولع خاص بشعر الاعشى وهو يطبع ديوانه عن النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة فى الاسكوريال (**)

وتجد أخبار الاعشى وأشعاره فى الاغانى ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧

(*) الادكن : المائل الى السواد ، والعاتق : القديم ، جحل : سقاء واسع ، ربحل : ضخم

(١) مهدد : صاحبة الاعشى (٢) جمهرة أشعار العرب ٥٦

(**) أعتمد جاير فى نشره لديوان الاعشى على ست مخطوطات ، وقد نشره سنة ١٩٢٨ بعد جهود قام بها فى هذا السبيل لمدة أربعين عاما ، وأضاف اليه ملحقين : ملحقا بما وجده من شعر الاعشى فى كتب الادب والتاريخ ، وملحقا بأشعار من سموا باسم الأعشى وهم كثيرون — وطبع محمد حسين الديوان بمصر معتمدا على هذه النشرة

ح ٨ و ١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفى سيرة الرسول ومعجم البلدان (*) وفى سائر كتب الادب

٥ — لبيد بن ربيعة

توفى سنة ٦٦٢ م

هو لبيد بن ربيعة العامرى (من قيس) وكان من أشراف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال انه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها فى الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات فى أوائل خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ فى الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة فى عينيه منذ صباه .. ذكروا أن النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان ابن المنذر فتوسم فيه الشاعرية ، فسأل عنه فنسبوه ، فقال له : « ياغلام ان عينيك لعينا شاعر ، أفتقرض من الشعر شيئا ؟ » قال : « نعم ياعم » قال : « فأنشدنى » فأنشده قوله : « ألم ترجع على الدمن الخوالى الخ » فقال له : « يا غلام أنت أشعر بنى عامر زدنى » فأنشده قوله : « طلل لخولة فى الرسيس قديم » . فضرب بيده على جبينه ، وقال : « اذهب فأنت اشعر قيس كلها »

وأكثر شعره فى الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن ، ذكروا أن عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصرك ماقالوا فى الاسلام » فأرسل الى الاغلب الراجز العجلى ، فقال له أنشدنى ، فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبتَ هيناً موجوداً

ثم أرسل الى لبيد ، فقال : « أنشدنى ما قلته فى الاسلام » فكتب سورة البقرة فى صحيفة ، ثم أتى بها وقال : أبدلنى الله هذا فى الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها فى عطاء لبيد (١)

فمعظم مايروونه من شعره قيل فى الجاهلية . وكان من أجود العرب ، ويقال انه آلى على نفسه فى الجاهلية أن لاتهب صبا الا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة فى الكوفة ، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ، ثم قال : « ان أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر فى الجاهلية أن لاتهب صبا الا أطعم ، وهذا يوم من أيامه قد هبت صبا فأعينوه ، وأنا أول من فعل »

(*) أنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، فى مواضع متفرقة ، والمؤتلف للآمدى ، والموشح للمرزبانى ص ٤٩ ومعاهد التنصيص وشرح شواهد المغنى للسيوطى ، وشعراء النصرانية للويس شيخو ، وكتاب فى الادب الجاهلى لطه حسين ، وتاريخ الآداب العربية لنالينو ص ٧١ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(١) الاغانى ٩٧ ج ١٤

ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه بمائة بكرة ، وكتب اليه بأبيات قالها :

أرى الجزارَ يشْحَذُ شفْرتيه   إذا هبتْ رياحُ أبى عَقيلِ
أشم الأنف أصْيدُ عامرى   طويلُ الباع كالسيف الصقيل
وَفَى ابن الجعفرىّ بحلْفتَيْه   على العِلاتِ والمالِ القليل
بنَحْر الكُوم إذ سحبت عليه   ذيولُ صَبًا تَجاذب بالأَصيل (١)

فلما بلغت أبياته لبيدا قال لابنته : « أجيبيه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر » فقالت ابنته :

إذا هبت رياح أبى عقيل   دعونا عند هَبَّتها الوليدا
أشمّ الأنف أروعَ عَبْشميًّا   أعان على مروءته لبيدا!
بأمثال الهضاب كأن ركبْاً   عليها من بنى حامٍ قعودا!
أبا وهب جزاك الله خيراً   نحرناها فأطعَمْنا الثّريدا
فعُدْ إن الكريم له مَعادٌ   وظنى لا أبا لك أن تعودا

فقال لها لبيد : « قد أحسنت لولا انك استطعمته » ، فقالت : « ان الملوك لايستحى من مسئلتهم » ، فقال : « وانت يابنية فى هذه أشعر »

ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلٌ   وكلّ نعيم لا محالةَ زائلُ

ويقال انه لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحدا ، هو :

الحمد لله أن لم يأتنى أجلى   حتى لبستُ من الإسلام سربالا

أما معلقته فمطلعها :

عَفَتِ الديارُ محلها فمقامها   بمنىً تأبّدَ غَوْلُها فرجامُها

وقد جمعت أشعاره فى ديوان طبع فى فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية يوسف ضياء الدين الخالدى ، ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية فى ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة الشاعر بعناية « هوبر Huber » وطبع فى ليدن سنة ١٨٩١ ٠ وله سيرة بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت فى ليدن سنة ١٨٨٧ وأخرى « لكريمر Kremer » طبعت فى فينا سنة ١٨٨١ ، وأخباره فى الاغانى ٩٣ ج ١٤ و ١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢ والجمهرة ٦٣ ، وغيرها من كتب الادب (*)

---

(١) الكوم : القطعة من الابل

(*) وانظر فى لبيد الموشح للمرزبانى ص ٧١ وكتب طبقات الصحابة مثل الاصابة ج ٦ ص ٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦٠ ونيكلسون Nicholson فى كتابه التاريخ الادبى للعرب : A literary History of the Arabs: ص ١١٩ ــ ١٢١ وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٢ وفى الادب الجاهلى لطه حسين ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

٦ — عمرو بن كلثوم

توفى سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب ، وأمه ليلى بنت المهلهل أخى كليب المشهور ، فهو حفيـد المهلهل . واشتهرت أمه ليلى بالانفة وعظم النفس تفاخرا بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو فى الخامسة عشرة ، وقد عمر طويلا وكان اعز الناس نفسا واكثرهم امتناعا وأنفة ، وكان شاعرا مطبوعا اشتهر بمعلقته التى مطلعها :

ألا هبى بصَـحْنك فاصـبحينا ولا تُبقى خمـورَ الأنـدَرينـا

وهى حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على ألف بيت وانما وصل الينا بعضها . وقد نظمها غضبا لامه وقبيلته من عمرو بن هند صـاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجبا بنفسه ، فقال يوما للندماء : « هل تعلمون احدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ؟ » فقالوا : « نعم .. أم عمرو ابن كلثوم » قال : « ولم ؟ » قالوا : « لان اباها المهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل أعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنهـا عمرو وهو سيد قومه »

فأرسل عمرو بن هند صـاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن يزير امه أمه . فأقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل فى ظعن من بنى تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه ، فضربه فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رواقه ، ودخلت ليلى وهند فى قبة من جانب الرواق ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالطرف . فقالت هنـد : « ناولينى يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : « وا ذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو ابن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر فى عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى فى بنى تغلب فانتهبوا ما فى الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الانفة والنخوة ، فنظـم معلقته او لعله نظم بعضها فى ذلك الحين ، ثم اتمها فى حادثة اخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين واخوانهم البكريين وتقاضوا الى عمرو هذا . وكان قد أصلح بينهما بعد حـرب البسوس وشرط عليهما شروطا اذا اختصما . فلما جاءوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الامـيرين جدال بين يدى صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلبا على بكر فطرد ابن هرم ، فنهض ابن كلثوم وأنشد معلقته ، وكان حاضرا هناك الحـارث بن

حلزة من بكر وائل فانشد معلقته كما سيجيء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين فى حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيهــا اشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه فى سوق عكاظ فأنشدها فى موسم مكة ، وكان بنو تغلب يعظمونها ويرويها صغارهم وكبــارهم لمــا حوته من الفخر والحماسة معجزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها ، وهذا قليل فى شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلى نحو وصف النابغة المتجــردة ، ثم خاطب عمرو بن هنــد وافتخر بنفسه وأهله ، وأشار الى ما أراده ابن هند من احتقـــار والدته ، وذكر واقعة لهم فى ذى أراط فازوا بها وابدعوا ، ثم تخلص الى الفخر فى أبيات هذا بعضها :

وقد علم القبــائلُ غير فخرٍ إذا قُبَبٌ بأبْطَحها بُنينا
بأنا العاصــمون إذا أطعنــا وأنا العــارمون إذا عصينا
وأنا المنعمــون إذا قــدرنا وأنا المهلــكون إذا أتينــا
وأنا الحــاكمون بمــا أردنا وأنا النــازلون بحيث شينا
وأنا التاركون لما ســـخطنا وأنا الآخــذون لما هوينــا
وأنا الطــالبون إذا نقمنــا وأنا الضــاربون إذا ابتلينا
وأنا النــازلون بكل ثَغْــر يخــاف النازلون به المَنُونا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرُنا كَدراً وطينــا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن اشعاره متفرقة فى الاغانى ١٨١ ج ٩ وفى الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشــعراء النصرانيــة ١٩٧ وشرح القصـــائد العشر ١٠٨ وفى معجم البلدان وديوان الحماســة وغيرها (*)

٧ ـ الحارث بن حلزة اليشكرى

توفى سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل ، وقد اشتهر بين أهل العراق . وكان به وضح أى برص ، وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهى قصيدة واحدة كمــا اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد الآتى ذكره . وقد تقدم أن الحارث كان فى وفد البكريين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه واوشك ان يقضى لبنى تغلب ، قال الحارث

(*) انظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦١ وفى الادب الجاهلى لطه حسين . وقد طبع ديوان عمرو بن كلثوم مع ديوان الحارث بن حلزة فى مجــلة المشرق ص ٥٩١ ــ ٦١١ من السنة العشرين ١٩٢٢ . وراجع أيضا الشعراء الفرســـــان ليطرس البستانى

ابن حلزة لقومه : « انى قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه .. فرواها اناسا منهم ، فلما قاموا بين يدى الملك لم يرضه انشادهم » ، فقال : « انى لا أرى أحدا يقوم بها مقامى لكنى اكره ان أكلم الملك من وراء سبعة ستور ، وينضح أثرى بالماء اذا انصرفت عنه » . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص ، وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى أحد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال : « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمرو بن هند : « أن به وضحا » فأمر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت ، فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : « أهذا يناطقنى وهو لايطيق صدر راحلته» فأجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التى مطلعها :

آذنَتْنا بِبَيْنِها أسماءُ　　　ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواء

وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع ، فقالت : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك : « ارفعوا سترا وادنوا الحارث » حتى اذا ازيلت الستور السبعة أقعده الملك قريبا منه وبالغ فى اكرامه ، وضرب بالحارث المثل بالفخر ،فقيل: « أفخر من الحارث بن حلزة » وخصوصا لانهم يزعمون انه قالها ارتجالا ، وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب عير ببعضها بنى تغلب تصريحا وعرض ببعضها بعمرو بن هند ، فهى من قبيل الملاحم فى وصف الوقائع

والحارث غير معلقته أبيات قليلة منشورة مع أخباره فى الاغانى ١٧٧ ج٩ وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ٤١٦ وفى سائر كتب الادب (*)

٨ ـ طرفة بن العبد

توفى سنة ٥٠٠ م

هو أبو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير ابن عبد المسيح المعروف بالمتلمس ، وقد نبغ فى الشعر منذ حداثته حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفى صغير السن . ومع كونه من المقلين فان أشعاره كانت معول اصحاب اللغة فى الاستشهاد ، وكان فى صباه عاكفا على الملاهى يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ، ولكن مكانه فى قومه جعله جريئا على الهجاء ، ومات ابوه وهو صغير فأبى أعمامه ان يقسموا ماله وظلموه حقا لامه وردة ، فنظم فى هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها :

ما تنظرون بحق وردةَ فيكم　　　صَغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ

واشتهر فى الاكثر بمعلقته .. ويقال فى سبب نظمها ان اخاه معبدا كانت

(*) انظر فى الحارث أيضا ، طبقات الشعراء لابن سلام ، والمفضليات رقم ٢٥ ، ٦٢ ومعجم المرزبانى ، وقد طبع ديوانه كما مر مع ديوان عمرو بن كلثوم ، وانظر تاريخ الآداب العربية لنالينو ص ٦٠ وفى الادب الجاهلى لطه حسين

له ابل ضلت فذهب أخوه طرفه الى ابن عمه مالك ليعينه فى طلبها فلامه وانتهره ، وقال : « فرطت فيها ثم أقبلت تتعب فى طلبها » فهاجت قريحة طرفه ، فقال معلقته التى مطلعها :

لخولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كباقى الوَشْمِ فى ظاهر اليدِ

وفيها يشبه حدوج حبيبته بالسفن السابحة فى الماء ، ثم يصف ناقته وصفا جميلا يوهمك لاول وهلة انه يصف حبيبته . ولكنك لا تلبث ان ترى وصفه الدقيق لكل عضو من أعضائها حتى ذيلها ، ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب ابن عمه على تعنيفه ، ويأسف لانه لا يقدر أن يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان سببا فى قتله . وذلك أن طرفه كان فى صباه معجبا بنفسه يتخلج فى مشيته ، فمشى تلك المشية مرة بين يدى عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبتلعه من مجلسه . وكان المتلمس حاضرا ، فلما قاما قال له المتلمس : « ياطرفة انى أخاف عليك من نظرته اليك » فقال طرفة : « كلا » ثم انه كتب لهما كتابين الى المكعبر ، وكان عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة رأيا فيها شيخا دار بينهما وبينه كلام نبه المتلمس الى ما قد يكون فى الكتاب الذى يحمله من الاذى . ولم يكن يعرف القراءة فاذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقى غنما له من نهر الحيرة ، فقال له المتلمس : « يا غلام أتقرأ ؟ » قال : « نعم » ، قال : « اقرأ هذه » فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعبر اذا اتاك كتابى هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فألقى المتلمس الصحيفة فى النهر ، وقال : « يا طرفة معك والله مثلها » فقال : « كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك » ثم أتى طرفة الى المكعبر ، فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ، فضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى فى حتفه بنفسه

وقد جمعت أشعار طرفة فى ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة فرنسية بعناية « سلكسن » . وتجد أخبار طرفه مع بعض أقواله متفرقة فى الاغانى وفى شرح المعلقات وامثال الميدانى وحياة الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ والجمهرة ٨٣ وفى ديوان الشعراء الستة الجاهلين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفى شرح القصائد العشر ٣٠ وفى الحماسة وغيرها . وفى المجلة الاسيوية الفرنسية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة عنه وعن المتلمس (*)

(*) أنظر فى طرفة أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، والموشح للمرزبانى ص٥٧ وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٨ وفى الادب الجاهلى لطه حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية . وقد طبع ديوانه طبعة أخرى غير التى أشار اليها المؤلف فى العقد الثمين ، وأيضا فى مجموعة مصطفى السقا

٩ ــ عنترة بن شداد العبسى

توفى سنة ٦١٥ م

هو عنترة بن شداد من قبيلة عبس من قيس ، وهو من الشعراء الفرسان الشجعان ، وعشق فهاجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة فى قصته المشهورة ، لكن أكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنترة فلا شك فى وجوده ، وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره أن أمه زبيبة كانت حبشية فلما أنجبت ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه وألحقه بنسبه على اصطلاحهم فى ذلك العصر

وهو أحد أغربة العرب ، ممن أمهاتهم اماء وهم ثلاثة : عنترة وخفاف بن عمير والسليك بن السلكة . وشهد عنترة حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بنى عبس فى ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديلة وثعل ، وكان عنترة مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكته ثعل الى غطفان . ووقائعه كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع وهم فى اختلاف فى سبب قتله . وأحب عبلة بنت عمه وهو يذكرها فى اكثر أشعاره

ولعنترة أشعار كثيرة تدخل فى ديوان كبير ، والرواة مختلفون فيما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التى مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردَّم   أم هل عرفت الدار بعد توهُّم

ويقال فى سبب نظمها انه جلس يوما فى مجلس بعدما كان قد أبلى واعترف به أبوه وأعتقه ، فسابه رجل من بنى عبس ذكر سواده وأمه وأخوته . فسبه عنترة وفخر عليه ، وقال فيما قال له : « انى لاحضر البأس وأوفى المغنم وأعف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدى وأفصل الخطة الصماء » قال له الرجل : « أنا اشعر منك » قال : « ستعلم ذلك » فقال عنترة يذكر قتل معاوية بن نزال وهى أول كلمة قالها

فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ، ثم استأنف الفخر والحماسة . وأكثر الرواة ينكرون ان يكون مطلع المعلقة له ومنهم الاصمعى وابن الاعرابى ، وكلهم يقولون ان أول المعلقة الحقيقى :

يا دار عَبْلَةَ بالجِواءِ تكلّمى   وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا   وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وصف فيها الواقعة وافتخر .. وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لايحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينـال العلى من طبعه الغضب

وفى هذا البيت من الحكمة البالغة ماليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة يهدد بها عمارة والربيع ابنى زياد العبسى معـرضا بذكر قومهما مطلعها :

لغير العـلا منى القِـلا والتجنب ولولا العلا ماكنت فى العيش أرغب

وغير هذه شىء كثير يراجع فى ديوانه وفيه معان لم يسبق اليها ، منهـا قوله :

وخـلا الذبابُ بها فليس ببـارح غَرِداً كفعـل الشـارب المتـرنم
هَـزِجاً يحـكُّ ذراعه بذراعه فعل المكبِّ على الزناد الأجذَمِ

وقوله :

وإذا شربت فاننى مسـتـهلك مالى وعـرضى وافرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوت فما أقصِّر عن نَدىً وكما علمتِ شـمائلى وتكرمى

ومن ذلك قوله :

انى امرؤ من خير عبس مَنْصِباً شَطرى وأحمى سائرى بالمُنْصَلِ
وإذا الـكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ألفيتُ خـيراً من مُعِمٍ مخـول

يقول النصف من نسبى شريف فى خير عبس واحمى النصف الاخر وهو نسبه فى السودان بالسيف فأشرفه أيضا ، ومن أحسن شعره قـوله :

بكرتْ تخوِّفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتهـا إن المنيـة منهـلٌ لابد أن أسْقَى بذاك المنـهل
فاقْنَىْ حياءَكِ لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أُقْتَـل
إن المنيـة لو تمثَّـل مُثِّلت مثلى إذا نزلوا بضَـنْكِ المنزل

ومن افراطه قوله :

وأنا المنيةُ فى المواطن كلهـا والطعن منى سـابق الآجـالِ

وفى هذه يفخر بأخواله من السودان اذ يقول :

إنى لتُعْرَف فى الحروب مواطنى فى آل عَبْسٍ مشـهدى وفعالى
منهـم أبى حقـّا فهم لىَ والد والأم من حامٍ فهـم اخـوالى

واشعار عنترة كلها واردة فى قصته وقد أفردها بعضهم فى ديوان على حدة ، وطبع فى بيروت بغير تحقيق فيما هو له وما ليس له (**) وقـد

(*) هذا المطلع بعينه للشريف الرضى فى قصيدة مشهورة له

(**) طبع ديوان عنترة أيضا فى مجموعة العقد الثمين لالورد ، ومجموعة مختار الشـعر الجاهلى لمصطفى السقا

وردت أخباره فى الاغانى ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠ وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمنا له فى السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالمانى توربكى Thorbecke كتاب بشأنه طبع فى هيدلبرج سنة ١٨٦٨ (*)

قصة عنترة

أما قصته فقد اختلفوا فى واضعها ، ويظهر أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك أنهم توسعوا فيها وأضافوا اليها زيادات على مر التاريخ حتى بلغت ماهى عليه الان . وكان من عادة المسلمين فى صدر الاسلام أن يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك فى القرن الاول للهجرة فى زمن الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ فى الواقعة التى قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء . ذكر ابن الاثير ان عتابا سار فى أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ، ثم قال : « اين القصاص ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال : « اين من يروى شعر عنترة ؟ » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولا يروون أشعار عنترة للحماسة ، ثم صاروا يجمعون أخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الاصمعى وهى تتسع حتى جمعت بمصر فى أواخر القرن الرابع للهجرة فى زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمى . وقد جاء فى سبب جمعها وتدوينها ان رجلا اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله .. فاتفق ان حدثت ريبة فى دار العزيز ، لهجت الناس بها فى المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك ، واشار على الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن هذا الحديث

وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية فى اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبى عبيدة وابن هشام وجهينة الاخبار والاصمعى وغيرهم من الرواة ، فأخذ يكتب قصة عنترة ويوزعها فى الناس فأعجبوا بها واشتغلوا عن سواها . ومن تلطفه فى الحيلة أنه قسمها الى ٧٢ كتابا والتزم فى اخر كل كتاب ان يقطع الكلام فى حادث مهم يشتاق القارىء والسامع الى الوقوف على تمامه .. فلا يفتر عن طلب الكتاب الذى يليه ، فاذا وقف عليه انتهى به مثل ماانتهى فى الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد أثبت فى هذه الكتب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها .. والقصة مشهورة ومطبوعة مرارا

(*) أنظر أيضا فى عنترة تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦١ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد كتب آلورد بحثا فى صحة أشعاره

١٠ ـ عبيد بن الابرص الاسدى

توفى سنة ٥٥٥ م

هو من بنى اسد من مضر من شعراء الطبقة الاولى قديم الذكر عظيم الشهرة ، لكن الباقى من شعره أقل من شهرته ، وكان عبيد لا يقول الشعر فى صباه . وذكروا فى سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال ، فأقبل ذات يوم بغنم له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما . فمنعه رجل من مالك وجبهه .. فانطلق حزينا مهموما ثم ابتهل الى الله : ان كان فلان ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدلنى منه وانصرنى عليه . ووضع رأسه فنام ، فرأى فى المنام ان رجلا أتاه بكبة من شعر ألقاها فى فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ، واستمر بعد ذلك ينظم الشعر حتى صار شاعر بنى أسد غير مدافع ، فنظم قصيدته البائية وهى التى تعد من المعلقات مطلعها :

أقْفَرَ من أهله مَلْحوبُ فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

وهى ٤٨ بيتا نشرها التبريزى ملحقة بالمعلقات السبع مع قصيدتى الاعشى والنابغة فى شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمهرات عند صاحب جمهرة أشعار العرب ، وجمهرته عنده هى نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)

وفى أيامه كان حجر بن الحارث الكندى والد امرىء القيس ملكا على بنى أسد كما تقدم ، وكان عبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغنى بها ، مطلعها :

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادى من أمِّ عمرو ولم يُلمم بميعاد

وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاتاوة لحجر وقتلوا رسله ، فغضب وحاربهم واستباح اموالهم واخرجهم الى تهامة وحبس بعض سادتهم وفيهم عبيد بن الابرص .. فذهب منهم وفد اليه ، وجاء عبيد فوقف وأنشد قصيدة جاء فيها :

ومَنَعْتَهُمْ نجْدا فقد حَلّوا على وَجَلٍ تِهامَهْ
بَرِمَتْ بنو أسد كما بَرِمَتْ ببيضتها الحمامه
جعلتْ لها عودين من نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامه (٢)
مهما تركت عفوا أو قتلت فلا مَلامه
أنت المليكُ عليهمُ وهمُ العبيد الى القيامه
ذلّوا لسوطك مثل ما ذل الأُشَيْقِرُ ذو الخِزامه (٣)

---

(١) الجمهرة ١٠٠ (٢) النشم : شجر ، والثمامة : نبت
(٣) الاشيقر : الاحمر من الابل ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير

فأطلق حجر سبيلهم · ثم ثارت أسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرنا في ترجمة امرىء القيس · وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه وتوعدهم فقال عبيد قصيدة مطلعها :

يا ذا المخوِّفنا بقتل أبيه اذلالا وحَيْنا
وزعمت أنك قد قتلت سَرَاتنا كذبا ومَيْنا

وعمر عبيد طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث، خلاصته أن المنذر قتل نديمين له من بني أسد وهو غضبان ، فلما أصبح ندم فبنى على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما هناك ، أحدهما يوم نعيم والاخر يوم بؤس · فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الابل وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله ويطلى بدمه الغريين . فاتفق لعبيد ان أتاه في يوم بؤسه فقتله . وهذا الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان ، لكن حادثة حنظلة تمثل الوفاء أحسن تمثيل اذ يطلق النعمان حنظلة بضمانة على أن يغيب سنة ثم يعود ليقتل ، فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد أن نجا بنفسه ، فقال : « الوفاء »

فلعل الاصل فيها قصة عبيد فزاد عليها العرب وعد حنظلة ووفاءه ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كما يفعل اليونان في الروايات التمثيلية ، وقد أشرنا الى ذلك قبلا

ومن أحاسن شعر عبيد ، قصيدته الدالية التي مطلعها :

لمن دِمْنَةٌ أقوتْ بحَرَّة ضرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدّد

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكار جيب بانجلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall (*)

وتجد اخبار عبيد في الاغاني ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان والعمدة ومعجم البكري وغيرها (**)

المعلقات والمستشرقون

وقد عنى غير واحد بشرح المعلقات وان اختلفوا في عددها كما تقدم · وعنى جماعة من علماء أوربا المستشرقين بترجمتها . وأشهر من فعل ذلك منهم وليم جونس W. Jones الانجليزي فقد نشرها مع ترجمة

(*) نشر لايل الديوانين مع بحث طريف عن الشاعرين

(**) انظر أيضا في عبيد أمالي القالي ج ٣ ص ١٩٩ وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٩٢ ، وفي الادب الجاهلي لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٧ ومقدمة لايل لديوانه

وشرح فى لندن سنة ١٧٨٣ ، وابل Abel النمساوى ترجمهـــا الى النمساوية ونشرها مع الاصل العربى فى برلين سنة ١٨٩١ · ثم جنسن Johnson الانجليزى ترجمها الى الانجليزية ونشرها فى لندن سنة ١٨٩٤ ، مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شــعر الجاهلية لايل Lyall المذكور كتابا طبع فى اللندن سنة ١٨٨٥ ونولدكى Nœldeke الالمانى وغيرهما

الشعراء الأمراء

الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعرا ، منهم اثنان من أصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمنا لهما ، واليك من بقى :

١ ـ الافوه الاودى

توفى سنة ٥٧٠ م

هو صلاءة بن عمرو من أود ، وينتهى نسبة الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله : (*)

ان النجاةَ اذا ما كنت ذا بَصَرٍ من أجَّة الغَى إبعادٌ فابعادُ
والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلَّما زاد
والبيتُ لا يُبْتَنَى الا له عَمَدٌ ولا عمادَ اذا لم تُرْسَ أوتاد
فان تجمَّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراةَ اذا جُهَّالهم سادوا
تُلفى الأمور بأهل الرأى ماصلحت فان تولوا فبالأشرار تنقاد
اذا تولى سراة الناس أمرهمْ نمى على ذاك أمر القوم فازدادوا

ومن حماسياته قوله :

نقاتل أقواما فنَسْبى نساءهم ولم يَرَ ذو عِزٍّ لنسوتنا حَجْلا
نقود ونأبى أن نقاد ولا ترى لقوم علينا فى مكارمهم فضلا
وانا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدت بالصيف نجديَّةٌ بزْلا

(*) الغريب فى أبيات الافوه الاودى ـ الاجة : من أجج النار ـ السراة : الاشراف والسادة ـ الحجل : الخلخال ـ البزل : جمع بازل وهو البعير المسن

وقد جمعت أقواله فى الاغانى ٤٤ ج ١١ وشعراء النصرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله أبيات متفرقة فى كتب الادب ونحوها وليس له ديوان مجموع (*)

٢ ـ المهلهل بن ربيعة

توفى نحو سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبى أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى ، وهو خال امرىء القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحا شديد البأس فى الحروب ، وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب ، وأبلى بلاء حسنا . وكان المهلهل فى أول أمره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء ، فسماه أخوه كليب « زير النساء» أى جليسهن ، ولم يكن يرجو منه خيرا . فلما قتل كليب فى أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهاجه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر . وجز شعره وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرم القمار والشراب ، ونهض للحرب ، وما أشبه عمله هذا بعمل ابن أخته امرىء القيس . ولعل هذا ورث الشاعرية عن خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو أربعين سنة كان النصر فيها سجالا ثم تصافوا واصطلحوا!

وكان المهلهل فى أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما .. فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل اخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين ، فقال : « استبقين للبكاء عيونا الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق أن ترى ... بالأمس خارجة عن الأوطان

فخرجن حين ثوى كليب حسّرا ... مستيقنات بعده بهوان

فترى الكواعب كالظباء عواطلا ... اذ حان مصرعه من الأكفان

يخمشن من أدم الوجوه حواسرا ... من بعده ويعدن بالأزمان

متسلبات نكدهن وقد ورى ... أجوافهن بحرقة ووراني

ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالثأر . ومن مراثيه فى أخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ... ان أنت خليتها فيمن يخليها

(*) طبع ديوان الافوه بمصر فى مجموعة الطرائف الادبية سنة ١٩٣٧ ، وراجع الامالى للقالى ج ٢ ص ٢٢٨ : وسمط اللآلى ٢٦٥ ، ٨٤٤ والعينى ج ١ ص ٤٢١ وانظر تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٤

(١) اقرأ تفصيله فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٣٢

كليبُ أى فتى عزٍّ ومكرمة تحت السقائف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاةُ كليبا لى فقلت لهم مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقّتِ الأرض فانجابت بمن فيها

ومن أقواله قصيدته المعدودة من المنتقيات ومطلعها :

حَلَّتْ ركابُ البغى من وائلٍ فى رهط جَسَّاسٍ ثقال الوسوقْ

والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها المهلهل تعرف بقصة الزير ، كما وضعوا قصة عنترة ولكنها متأخرة وعبارتها أقرب الى العامية . وللمهلهل ذكر فى تاريخ الشعر العربى فانه أول من طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره فى ديوان ، وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل الينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديوانا أخذه من أقواله فى كتب الادب وغيرها ولم نقف عليه . ولكنك تجد معظم اشعاره فى الاغانى ١٤٨ ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة ١٦٥ وفى تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكرى وشعراء النصرانية ١٦٠ وفى ديوان الحماسة وغيرها (*)

٣ ــ عبد يغوث

توفى سنة ٥٨٠ م

هو عبد يغوث بن صلاءة من بنى الحارث بن كعب من كهلان . كان فارسا سيدا لقومه ، وكان قائدهم فى يوم الكلاب الثانى الى بنى تميم وقد أسر يومئذ وقتل . وهو عريق فى الشاعرية ونبغ من أهله غير شاعر وكلهم فحول . وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت ، وكان قد أسر وشــد لسانه بنسعة ، وخيروه فى الطريقة التى يريد ان يقتل بها فقال :

« اسقونى الخمر ودعونى أنح على نفسى » فسقوه وقطعوا له عرق الاكحل وتركوه ودمه ينزف ومعه ابناه ، فجعلا يلومانه على ما أركبهما من المشاق فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيا فما لكما فى اللوم نفعٌ ولا ليا

ومنها قوله : (**)

(*) راجع ترجمة له فى امالى القالى ج ٢ ص ١٣٠ . وانظر الموشح للمرزبانى ص ٧٤ وكتاب فى الادب الجاهلى وتاريخ الاداب العربية لناللينو ص ٥٣

(**) الغريب فى هذه الابيات : النسعة : سير يضفر من جلد ــ أسجح : سهل ويسر فى الامر ــ حربه ماله : سلبه اياه ــ الرعاء : جمع راع ، المعزبين : جمع معزب وهو المنتحى بابله ، المتالى : الابل ــ الجزور : البعير الذى يجزر ويذبح ــ المطية هنا : الناقة ، والشرب : جمع شارب ، واصدع : اشق ، والقينة : المغنية ، يقول انه كان ينحر جزوره للشرب ويشق قميصه أو رداءه للمغنيتين ، فيعطى كلا قطعة ــ وعادية أى وفرس عادية تسبح فى الارض سبحا ، سوم الجراد أى تمرمر الجراد فى السرعة ، وزعتها : كففتها ، العوالى : الرماح ــ أسبأ : اشترى الخمر ، والروى : المتلىء ، والايسار : الذين يضربون القداح فى القمار

أقول وقد شدوا لسانى بنِسْعَةٍ ... أمعشرَ تَيْمٍ أطلقوا عن لسانيا
أمعشر تيْمٍ قد ملكتم فأسْجِحوا ... فان أخاكم لم يكن من بَوائيا
فان تقتلونى تقتلوا بىَ سيدا ... وان تطلقونى تحْرُبونى بماليا
أحقا عباد الله أن لست سامعا ... نشيد الرِّعاء المُعْزِبِ بين المتاليا
وقد كنت نحّار الجَزور ومُعمل الـ ... مَطِىِّ وأمضى حيث لا حىٌّ ماضيا
وأنحرُ للشَّرْب الكرامِ مطيتى ... وأصدع بين القَيْنَتَيْنِ ردائيا
وعاديةٍ سَوْمَ الجراد وَزعْتُها ... بكفى وقد أنحوا الىَّ العَواليا
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلىَ كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل ... لأَيسار صدقٍ:أعظموا ضوءَ ناريا

وأخباره فى الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراءالنصرانية ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها (*)

٤ ـ زهير بن جناب

توفى سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبى من قضاعة ، وهو من مشاهير امراء العرب فى الجاهلية . ولد فى اخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلا ربما بلغ عمره ١٥٠ سنة ، وله حروب كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغلب لصاحب اليمن ، وما زال عليهم حتى حاولوا الاستقلال من اليمن كما تقدم

ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره ، وظل مع ذلك مقدما عند ملوك اليمن والشام . وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفى نحو سنة ٥٠٠ وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه أمثلة منه فى الحماسة (**)

أبى قومنا أن يقبلوا الحق فانتهوا ... اليه وأنيابٌ من الحرب تَحْرَقُ
فجاءوا الى رَجْراجةٍ مستميزة ... يكاد المُرَنِّى نحوها الطرف يصعقُ
دروعٌ وأرماح بأيدى أعزةٍ ... وموضونة مما أفاد مخرِّقُ
وخيلٌ جعلناها دخيلَ كرامة ... عَقَارا ليوم الحرب تُحفى وتغبقُ
فما برحوا حتى تركنا رئيسهم ... يُعفَّر فيه المضرحىُّ المذلّق

(*) انظر ايضا ذيل الامالى ص ١٣٣ والمفضليات رقم ٣٠

(**) الغريب فى الابيات التالية : الرجراجة : الجماعة الكثيفة ، مستميزة : متميزة من الغيظ ، أو مستميرة من الميرة أى تطلبها ـ الموضونة : الدروع ، ومحرق : لقب غير ملك من ملوك المناذرة ، يقال كان يحرق العرب ، وكأن تلك كانت عادة لهم فى بعض حروبهم أن يحرقوا الاسرى ـ تغبق هنا : تشد عليها السروج ـ المضرجى : الصقر العظيم ، المذلق : المحدد نابه

ويقال انه صاحب البيت المشهور :

اذا قالتْ حذامِ فصدقوها فان القولَ ما قالتْ حذامِ

وجاءت اخباره فى الاغانى ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء النصرانية ٢٠٥ وأمثال الميدانى وغيرها (*)

٥ ـ عامر بن الطفيل العامرى

توفى سنة ٦٣٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر ، وكان فارس قيس وسيدهم ٠ وكان عقيما لا يولد له ، ومن جيد شعره فى الحماسة قوله :

وما الأرض الا قيسُ عَيْلانَ أهلُها لهم ساحتاها سهلها وحُزومها

وقد نال آفاقَ السموات مجدُنا لنا الصحوُ من افاقها وغيومها

ومن قوله فى الفخر :

فانى وانْ كنت ابنَ فارسِ عامرٍ وسيدَها المشهورَ فى كل موكبِ

فما سَوَّدتْنى عامرٌ من وراثةٍ أبى الله أن أسمو بأمٍ ولا أب

ولكننى أحمى حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت فى نشره لجنة تذكار جيب الانجليزية مع ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall (**) وله أخبار فى الشعر والشعراء ١٩١ والاغانى ٤٦ ج١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج٣ (***)

٦ ـ ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسندوا اليه حروبهم وجعلوه رئيسا عليهم فى حرب يوم بغاث ، فقام فيها خير قيام ٠ ومن شعره قوله فى امرأة خفرة :

ويُكرمها جاراتُها فيزرنها وتعتلُ عن اتيانهن فتُعذَرُ

وليس لها أن تستهين بجارةٍ ولكنها منهن تحيا وتَخْفَرُ

(*) أنظر أيضا ابن الاثير الجزء الاول وتاريخ أبى الفدآوامالى المرتضى (طبعةالحلبى ج أول ص ٢٣٨ والمعمرين طبع ليدن ص٢٦ ولامنس فى كتابه Le Berceau de l'Islam وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٥ ص ١٩٣

(**) طبع لايل الديوانين كما مر بنا ٠ وقدم لكل من الشاعرين بمقدمة طريفة

(***) وأنظر أيضا الخزانة ج ١ ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ، والمؤتلف ص ١٥٤ ، ومعجم المرزبانى ص ٢٢٢ والمفضليات رقم ١٠٦ ، ١٠٧ والاصمعيات رقم ٧٧ ، ٧٨ ، وشرح النقائض لابن الانبارى طبع لايل فى يوم فيف الريح ٤٦٩ ـ ٤٧٢ ، ويوم شعب جبلة ٦٥٤ ـ ٦٧٨ ، وسيرة ابن هشام والشعراء الفرسان لبطرس البستانى ، ودائرة المعارف الاسلامية

وهو من أصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

قالت ولم تقصد لقـــول الخَنَى مهـــلا فقـــد أبلغتَ أسماعى

وأخباره فى الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦ (*)

٧ ــ الحصين بن الحمام

توفى سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس ، وكان يعرف بمانع الضيم . وأحسن ما وصل الينا من أقواله قصيدة حماسية فخرية قالها على أثر نصر فى موضع يقال له دارة موضـــوع ، مطلعها :

جزَى اللهُ أفنــاءَ العشيرة كلهـــا بدارة موضـــوعٍ عقوقا ومأثمـــا

وهى من جملة المفضليات التى اختارها المفضل الضبى . اخبـاره فى الاغانى ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة النبوية لابن هشام والحماسة والعمدة (**)

٨ ــ قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على ، وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير الغارات مظفر فى غزواته ، أدرك الجاهلية والاسلام وساد فيهما . وهو أحـــد من وأد بناته فى الجاهلية ، وله حديث عن احدى بناته يؤثر فى النفس (١) وكان مشهورا بالكرم لا يستطيع الاكل وحده . ومن نظمه فى ذلك قوله وقد جاءته امرأته بالطعام :

أيا ابنـــةَ عبد الله وابنـــة مالكٍ ويا ابنة ذى البُرْدين والفرس الورد

اذا ما صــنعتِ الزاد فالتمسى له أكيلا فانى لست آكله وحـــدى

أخا طارقا أو جـــارَ بيتٍ فاننى أخاف ملامات الأحاديث من بعدى

وانى لعبـــد الضَّيف من غير ذلة وما بىَ الا تلك من شِيَمِ العبد

وعنه يروون وصية أوصى بها أولاده ، ضرب لهم فيها مثل الاتحاد بالرماح اذا ضمت معا يعسر كسرها واذا تفرقت كسرت

وأخبار قيس فى الاغانى ١٤٩/ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف

(*) أنظر أيضا الاصابة لابن حجر ج ٧ ص ١٥٧ وابن الاثير الجزء الاول ، والمفضليات رقم ٧٥ ، والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة (أنظر الفهرس)

(**) أنظر أيضا كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الاثير ، والاصابة لابن حجر

(١) اقرأه فى الاغانى ١٥٠ ج ١٢

٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١ (*)

ومن الشعراء الامراء ايضا :

٩ ـ ورقاء بن زهير الغطفانى سيد بنى عبس . ترجمته فى الاغانى ٨ ج ١١

١٠ ـ حجر بن عمرو والد امرىء القيس . ترجمته فى شعراء النصرانية ص ١

١١ ـ أمية بن الاسكرالتيمى (مضر) ترجمته فى الاغانى ١٥٦ ج ١٨

١٢ ـ منظور بن زبان سيد فزارة وقائدهم . ترجمته فى الاغانى ٥٥ ج ١١

١٣ ـ الاخشن بن شهاب من سادات تغلب . ترجمته فى شعراء النصرانية ١٨٤

١٤ ـ دريد بن الصمة (توفى سنة ٦٣٠) من هوازن سيد جشم ، وهو من أصحاب المنتقيات ، ترجمته فى الاغانى ٢ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٤٧٠ ، وشعراء النصرانية ٧٥٢ ، والجمهرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذى يمكن الرجوع اليه فى مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ، ولهم أخبار وأشعار أيضا فى سائر كتب الادب .. وخصوصا الشعر والشعراء والحماسة

(*) أنظر ايضا فى قيس أمالى المرتضى طبعة الحلبى ج ١ ص ١٠٧ ـ ١١٤ ، ٥٩٢ ، ج ٢ ص ١٦١ ، ٢٨٦ والحماسة لابى تمام وعيون الاخبار لابن قتيبة ج أول ص ٢٨٦ وكتب تراجم الصحابة والسيرة النبوية لابن هشام والبيان والتبيين والكامل للمبرد فى مواضع متفرقة . وقد نسبت الابيات المروية له الى حاتم . انظر حماسة أبى تمام ، وراجع الشعراء الفرسان للبستانى

الشعراء الفرسان

هم أكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية ، وقل من الشعراء من لم يركب أو يغز . ولكننا اختصصنا فى هذا الفصل من غلبت عليهم الفروسية ، وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين . وهم نحو ٤٠ فارسا ، لو أردنا ايراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكانا كبيرا مع قلة الحاجة الى التفصيل فى هذا المقام . فنكتفى بذكر الاشهر منهم او من كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه ، ونكتفى فيمن بقى منهم بذكر المآخذ التى يمكن الرجوع اليها فى مطالعة أخبارهم ، وهاك تراجم الاشهر :

١ — ابو محجن الثقفى

توفى سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف ، وكان مولعا بالشراب ، وقد ادرك الاسلام فهو مخضرم ، وحبسه سعد بن أبى وقاص لشرب الخمر . واتفق بعد قليل أن المسلمين أصابهم جهد فى القادسية ، وكان عند أم ولد لسعد المذكور ، فهاجت حماسته ونظم هذه الابيات :

كفى حزنا أن تَطْعَنَ الخيلُ بالقنا وأُتركَ مشدودا علىَّ وثاقيا

اذا قمت عنَّانى الحديد وغُلِّقت مغاليقُ من دونى تصم المناديا

وقد كنت ذا أهلٍ كثير واخوة فقد تركونى واحدا لا أخا ليا

هلم سلاحى لا أبا لك اننى أرى الحرب لا تزداد الا تماديا

ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة فى اطلاق سراحه . ومن قوله فى حب الخمر :

اذا مت فادفنى الى جَنْبِ كَرمةٍ تروِّى عظامى بعد موتى عروقُها

ولا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ولأبى محجن ديوان شعر مطبوع فى لندن سنة ١٨٨٧ ، ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة فى الشعر والشعراء ٢٥١ .

وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ ، وفى الاغانى وغيره (*)

٢ ـ الاغلب العجلى

توفى سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بنى عجل من ربيعة . وهو أحد المعمرين فى الجاهلية ، وأدرك الاسلام وأسلم . وكان فى جملة من توجه الى الكوفة مع سعد بن أبى وقاص ، ومات فى واقعة لها ولد سنة ٢١ هـ ، وهو أول من رجز الاراجيز الطوال ٠٠ فقد كان العرب ينشدون الرجز فى الحرب والحداء والمفاخرة فيأتون منه بأبيات يسيرة . ثم جاء الاغلب فكان أول من قصد الرجز وأطاله ثم سلك الناس طريقته . والاسلام لم يمنعه من النظم كما منع لبيدا ، وقد تقدم خبر ذلك فى ترجمة لبيد . ولم نقف له على شعر أو خبر غير ما فى الاغانى ١٦٤ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨٩ ، وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

٣ ـ حاتم الطائى

توفى سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى أبا سفانة . وهو من أجواد العرب وله أخبار فى السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال ، فيقال : « أجود من حاتم طى » وكانت والدته من أسخى الناس حتى أضطر اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفا من تبذيرها . وكانت ابنته سفانة سخية ايضا ، فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس ٠ وكان حاتم مع ذلك شاعرا وشجاعا ، ويشبه جوده شعره ٠ واذا قاتل غلب ، واذا غنم أنهب ، واذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر الاصم الذى كانت مضر تعظمه فى الجاهلية وتنحر له ، ينحر فى كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالحطيئة وبشر بن أبى خازم ٠ ويروون عن سخاء حاتم وقائع يغلب أن تكون موضوعة أو مبالغا فيها ، لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلى وقد أشرنا الى ذلك فى كلامنا عن **أقسام الشعر عند اليونان** ٠ ومن أقواله فى السخاء :

أماوىّ قد طال التجنب والهجر ... وقد عَذَرتنى فى طلابكم العُذْر

أماوىّ ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذِّكْر

أماوىّ انى لا أقول لسائل ... اذا جاء يوما حلّ فى مالنا النَّذْر

(*) انظر فى ابى محجن ايضا طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين طبع لجنة التأليف ج ٣ ص ٢٣٨ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٨ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٤٠ ج ١

أماوىّ اما مانـــعٌ فمُبَيَّنٌ ... واما عطـــــاءٌ لا ينهنهـه الزجر
أماوى ما يغنى الـثراءُ عن الفتى ... اذ حشرجت نفسٌ وضاق بها الصدر

وقوله :

اذا كان بعض المـال ربًا لأهـله ... فانى بحمد الله مالى معبّـــد

اخذه ابن يعفر فقال :

ذرينى أكن للمـال ربًا ولا يـكن ... لىَ المال ربًا تحمدى غِبَّه غـدا
أرينى جوادا مات هَزْلًا لعـلنى ... أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلا مخلّدا

ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وَهْمَ بن عمـرو رسالةً ... فانك أنت المرءُ بالخـير أجـدرُ
رأيتك أدنى من أناسٍ قـرابةً ... وغيرَك منهم كنت أحبـو وأنصر
اذا ما أتى يومٌ يفـرق بيننـا ... بمـوتٍ فـكن أنت الذى يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع فى لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون، وطبع أيضا فى بيروت . وأخباره منثورة فى الاغانى ٩٦ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ١٢٣ ، وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ ، والمستطرف ١٣٧ ج ١ ، والعقد الفريد ٨١ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٩٨ (*)

٤ ـ زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طي ، وكان رجلا جسيما طويلا جميلا فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهلية ، وأدرك الاسلام ووفد على النبى .. فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لانه انما كان يقول الشعر فى مفاخراته ومغازيه واياديه عند من مر عليه وأحسن فى قراه اليه . وقد سمى زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من العرب الا الفرس والفرسان ، فكانت له خيل كثيرة .. منها المسماة المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة : الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق . وله فى كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر ، وأكثر

(*) وانظر أيضا مروج الذهب للمسعودى طبعة باريس ج ٣ ص ٣٢٧ ، وذيل الامالى للقالى ص ١٥٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ٤٢٤ والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة ، وكذلك حماسة ابى تمام . والمظنون انه عاش بعد منتصف القرن السادس للمسيح وربما لحق القرن السابع . اذ يقال ان ابنته وصفته للنبى صلى الله عليه وسلم . وانظر تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٤ ، والشعراء الفرسان لبطرس البستانى ، ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٦ ج ١

أشعاره فى الحماسة والفخر وذكر المواقع والطعن والضرب كقوله : (*)

انا لنكثر فى قيس وقائعنا ... وفى تميم وهذا الحىّ من أسد

وعامرُ بن طفيل قد نحوت له ... صدْر القناة بماضى الحدّ مطّرد

لما أحسّ بأن الورْدَ مدركه ... وصارما وربيط الجأش ذا لبد

نادى الىّ بسلْمٍ بعد ما أخذت ... منه المنيةُ بالحيزوم واللغد

ولو تصبّر لى حتى أخالطه ... أسعرته طعنةً كالنار بالزند

وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة اسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه وضيق عليه ، وقال فى ذلك :

أقول لعبدى جرولٍ اذ أسرته ... أثبننى ولا يغررْك أنك شاعرُ

أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى ... له المكرمات واللهَى والمآثر

وقومى رءوس الناس والرأس قائد ... اذا الحرب شبّتها الأكفّ المساعر

فلست اذا ما الموت حوذر ورْده ... وأترع حوْضاه وحمّجَ ناظر

بوقّافةٍ يخشى الحتوف تهيبا ... يباعدنى عنها من القبّ ضامر

ولكننى أغشَى الحتوف بصعدتى ... مجاهرة ان الكريم يجاهر

واروى سنانى من دماء عزيزةٍ ... على أهلها اذ لا ترَجّى الأياصر

ولا نعرف لزيد الخيل ديوانا مجموعا ولكن أخباره منثورة فى الاغانى ٤٧ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ١٥٦ ، والدميرى ٢٠١ ج ١ ، وخزانة الادب ٤٨٨ ج ٢ (**)

٥ ـ سلامة بن جندل التميمى

توفى سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء ، وكان من فرسان تميم المعدودين وأخوه أحمر مثله . شعره سلس يستشهد به أهل اللغة لمتانته ، وكان

(*) الغريب فى الابيات الآتية والاخرى التى تليها : نحوت له : قصدت له ، مطرد : متسق ـ الورد : اسم فرس له ، وذو لبد : الاسد يشبه نفسه به ـ الحيزوم : الصدر، واللغد هنا : الحلق . اللهى : العطايا ـ شب : أوقد ، والمساعر : جمع مسعر وهو المتعود على ايقاد الحرب ، التحميج : شدة النظر مع فتح العينين وادارة الحدقة فزعا ورعبا ـ القب : وسط المعركة ، والضامر : الجواد ـ الصعدة : القناة ـ الاباصر : القرابات والعهود

(**) وأنظر فى زيد الخيل السيرة النبوية لابن هشام (الفهرس) وكتب طبقات الصحابة مثل الاصابة لابن حجر ج ٣ ص ٣٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ وذيل الامالى ص ٢٤ ، وراجع الشعراء الفرسان للبستانى

معاصرا لعمرو بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابى قابوس وله فيهما أشعار . ومن أحسن شعره قصيدته التى مطلعها :

يا دارَ أسماءَ بالعَلْياء من اضَمٍ ... بين الدَّكادك من قوٍّ فَمعصوبِ (*)
كانت لنا مرة دارا فغيَّرها ... مَرّ الرياح بساقى التُّربِ مجلوب

وترى أمثلة من شعره فى كتاب الشعر والشعراء ١٤٧، وشعراء النصرانية ٤٨٦ ، وخزانة الادب ٨٦ ج ٢ ، ومعجم البلدان (**)

٦ ــ علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم ، وكان معاصرا لامرىء القيس وينازعه الشعر . وتحاكما الى أم جندب زوجة امرىء القيس ، فقالت لهما أنظما قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الخيل (***)
فنظم امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليليَّ مُرَّا بى على أم جُنْدَبِ ... لِنقْضِى لُبانات الفؤاد المعذَّب

ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبتَ من الهجران فى كلِّ مذْهبِ ... ولم يك حقاً كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها القصيدتين فحكمت لعاقمة ، لان امرأ القيس قال فى وصف سرعة الفرس :

فللسوط ألهوب وللساق دِرَّةٌ ... وللزَّجر منه وقعأهوجَ مِنعبِ (١)

وقال علقمة :

فأدركهنَّ ثانيا من عِنانه ... يمرُّ كمر الرائح المتحلِّبِ

ومرجع حكمها الى أن امرأ القيس أجهد فرسه بسوطه وساقه ، أما علقمة فان فرسه أدرك طريدته وهو ثان عنانه .. فغضب امرؤ القيس وطلق امرأته فتزوجها علقمة
ومن جيد شعره قوله :

(*) الدكادك : القطع من الرمل والارض الغليظة ، واضم وقو ومعصوب من منازل تميم
(**) وأنظر المفضليات رقم ٢٢ ، والاصمعيات (طبع دار المعارف) رقم ٤٢ ، والكامل للمبرد وجمهرة أشعار العرب ، وطبقات الشعراء لابن سلام حيث وضعه فى الطبقة السابعة مع الحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس . وقد طبع ديوانه فى بيروت
(***) يظن ان هذه القصة منتحلة ، وبالتالى يظن ان قصيدتى الشاعرين المتصلتين بها منتحلتان أيضا . وممن تشكك فيها من القدماء ابن المعتز . انظر الموشح للمرزبانى فى ترجمة امرىء القيس
(١) الالهوب : شدة جرى الفرس ومثله الدرة ، والاهوج : الاحمق ، والمتعب : الذى يمد عنقه فى الجرى

فان تسألونى بالنساء فاننى بَصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
اذا شاب رأسُ المرء أو قلّ ماله فليس له فى ودّهن نصيب
يُرِدْنَ ثراء المال حيث عَلِمْنَهُ وشَرْخُ الشباب عندهن عجيب

ولعلقمة ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعناية البرت سوسين Socin وطبع فى بيروت فى بضع عشرة صفحة (*) . وله أخبار متفرقة فى خزانة الادب ٥٦٥ ج ١ ، والاغانى ١٢٨ ج ٧ ، وشعراء النصرانية ٤٩٨ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والعمدة وسائر كتب الادب (**)

٧ ـ عمرو بن معدى كرب

توفى سنة ٦٤٣ م

هو من زبيد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس اليمن ويقدمونه على زيد الخيل فى البأس ، وقد أدرك الاسلام وأسلم وجاهد حتى مات فى آخر خلافة عمر بن الخطاب . وهو ممن يصدق عن نفسه فى شعره فلا يفاخر بالمحال . ومن ذلك قوله (***)

ولقد أجمع رجلّى بها حذَر الموت وانى لفَرورُ
ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هَرِيرُ
كل ما ذلك منى خلق وبكلٍّ أنا فى الروع جدير

ومن اشعاره الذاهبة مذهب الامثال قوله :

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تُستطيع
وصله بالزّماعِ فكلّ أمر سما لك أو سموتَ له ولوع

وأخباره فى الاغانى ٢٥ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢١٩ ، وخزانة الادب ٤٢٥ ج ١ ، والمستطرف ١٧٩ ج ١ (****)

(*) وطبع الديوان أيضا فى مجموعة العقد الثمين لآلورد ، ومجموعة السقا « مختار الشعر الجاهلى » ، وطبع أيضا فى الجزائر

(**) وانظر المفضليات رقم ١١٩ ، ١٢٠ والاشتقاق لابن دريد وشرح الانبارى ٧٧٢ وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة مع طرفة وعبيد بن الابرص وعدى بن زيد

(***) الغريب فى الابيات : الفرور : كثير الهرب والفرار ، اعطف هنا : اكر ، يقول أن الكر والفر من عادتى فى الحرب ، والهرير : الصياح . وما فى الشطر الاول من البيت الثالث زائدة

(****) انظر أيضا الاصمعيات رقم ٣٤ ، ٦١ ، ٦٢ وديوان الحماسة « الفهرس » والاشتقاق ٢٤٥ ومعجم المرزبانى ٢٠٨ وذيل الامالى ص ١٤٥ والسمط ٧٤ والعينى جزء أول ص ٣٧٩ وكتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة

٨ ـ قيس بن الخطيم

توفى سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس ، اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله ، وعلم أن جده قتله رجل من عبد القيس .. فلما عرف موضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل ابيه وجده فى المواسم ، فظفر بقاتل أبيه فى يثرب فقتله وظفر بقاتل جده فى ذى المجاز ، ولكنه رآه فى ركب عظيم فاستنجد خداش بن زهير فنهض معه ببنى عامر حتى أتوا القاتل ، فطعنه قيس بحربة قتلته وفر . فأراد رهط الرجل ان يتبعوه فمنعهم بنو عامر ، وفى ذلك يقول قيس : (*)

ثأرتُ عَدِيًّا والخَطيم فلم أضعْ ولايةَ أشياخٍ جُعلت ازاءها

ضربت بذى الزِّجَّيْن ربْقةَ مالك فأبْتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها

وسامحنى فيها ابنُ عمرو بن عامر خِداشٌ فأدَّى نعمةً وأفادَها

طعنتُ ابن عبدِ القيس طعنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها

ملكتُ بها كفى فأنْهرْتُ فَتْقَها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها

وهو معدود من اصحاب المذهبات ، ومطلع مذهبته :

أتعرف رسما كاطِّراد المذاهب لعمرة وَحْشا غيرَ موقف راكبِ

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وَضنَّتْ بحاجب

ومن اقواله فى الفخر :

ونحن الفوارسُ يوم الربيع قد علموا كيف فُرْسانها

ولقيس بن الخطيم ديوان منه نسخة خطيةفى دار الكتب المصرية (**) . وله أخبار متفرقة فى كتب الادب وخصوصا الاغانى ١٥٩ ج ٢ والجمهرة ١٢٣ (***)

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضا طائفة ، أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين

(*) الغريب فى هذه الابيات : عدى أبوه والخطيم جده ـ الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، والربقة هنا : موضع العروة ـ سامحنى : تابعنى وحمانى ، وخداش : هو خداش بن زهير العبسى ، وأفاء : أنعم وأدى ـ النفذ : الخرق والثقب ، والشعاع : حمرة الدم ، ملكت : شددت ، انهرت : أوسعت . اطراد : تتابع ، المذاهب : جمع مذهب وهو جلد به خطوط مذهبة

(**) طبع ديوان قيس فى ليبسيك

(***) وأنظر الاصمعيات رقم ٦٨ ،وطبقات الشعراء لابن سلام وديوان الحماسة لابى تمام والخزانة ج ٣ ص ١٦٨

محفوظة ، فنكتفى بذكر المصادر التى يمكن الرجوع اليها فى تراجمهم وأخبارهم :

اسم الشاعر		اسماء المصادر
٩ ـ أحيحه بن الجلاح (توفى سنة ٥٦١ م) من الاوس ومن أصحاب المذهبات		الاغانى ١١٩ ج ١٣
١٠ ـ جحدر بن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)		شعراء النصرانية ٢٦٨
١١ ـ أفنون هو صريم بن معشر من تغلب		« « ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨
١٢ ـ بسطام بن قيس التسيبانى من بكر		« « ٢٥٦
١٣ ـ جابر بن حنى التغلبى (٥٦٤)		« « ١٨٨
١٤ ـ الحارث بن الطفيل وفد على كسرى		الأغانى ٥٣ ج ١٢
١٥ ـ خفاف بن ندبة السلمى من قيس		الاغانى ١٣٩ ح ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢
١٦ ـ ذو الاصبع العدوانى (٦٠٢)		الاغانى ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧ ـ الربيع بن زياد العبسى (٥٩٠)		الاغانى ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨ ـ زهير التميمى من أشراف مازن		الاغانى ١٥٦ ج ١٩
١٩ ـ الحارث بن عباد من بكر بن وائل		شعراء النصرانية ٢٧٠
٢٠ ـ صخر بن عبد الله من هذيل		الاغانى ٢٠ ج ٢٠
٢١ ـ العباس بن مرداس وأخوه سراقة		الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والاغانى ٦٤ ج ١٣ وخزانة الادب ٧٣ ج ١
٢٢ ـ عبدة بن الطبيب	تميم	الاغانى ١٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦
٢٣ ـ سويد بن أبى كاهل	يشكر	الاغانى ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٤ ـ عمرو بن العجلان	هذيل	الاغانى ٢٢ ج ٢٠
٢٥ ـ الفند الزمانى (٥٣٠)	بكر	الاغانى ١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١
٢٦ ـ متمم بن نويرة من أصحاب المراثى		الاغانى ٦٦ ج ١٤ وابن خلكان ١٧٢ ج ٢ والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١
٢٧ ـ نبيه بن الحجاج	قريش	خزانة الادب ١٠١ ج ٣
٢٨ ـ كعب بن سعد الغنوى	قيس	الخزانة ٦٢١ ج ٣ وشعراء النصرانية ٧٤٦

الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم حكمة وقد دخل بعضهم فى طبقة الشعراء الامراء وفى أصحاب المعلقات كالافوه الاودى وزهير بن أبى سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلى من غلبت فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية

١ — أمية بن أبى الصلت

توفى سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبه بثقيف ، وكان عالما بغير العربية على ما يظهر .. فاطلع على كتب القدماء وخصوصا التوراة وقد أورد فى شعره الفاظا غريبة لم تكن العرب تعرفها . وكان يسمى الله فى بعض أشعاره « السلطيط »وفى بعضها « التغرور » فربما اقتبسهما من الحبشة او صاغهما على صيغ تلك اللغة . فالاحباش يسمون الله فى اللغة الامهرية « أغزا بهر » فلعلها كانت قبلا أقرب الى لفظ التغرور . والسلطيط نظنها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها اسما من السلطة (١)

وكان أمية مفطورا على التدين ، فلقى فى تجارته الى الشام بعض أهل الدين ، فزهد فى الدنيا ولبس المسوح وتعبد. وقد ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ووصف الجنة والنار فى شعره وحرم الخمر وشك فى الاوثان وطمع فى النبوة . وكان العرب ينتظرون نبيا يهديهم ، فكان يرجو أن يكون هو . فلما ظهر النبى أسقط فى يده ، وقال : « انما كنت أرجو أن أكونه » ولكنه ما أنفك يختلف الى الاديرة والكنائس يجالس الرهبان والقسوس حتى غلب على ظن البعض أنه مسيحى ، ومن قوله وفيه فلسفة :

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصبَحَنا بالخير صبَّحنا ربى ومسَّانا
ربُّ الحنيفة لم تَنْفدْ خزائنها مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سلطانا
ألا نبىٌّ لنا منَّا فيخبرَنا ما بعد غايتنا من رَأْسِ مَحيانا

---

(١) راجع ترجمة أمية بن أبى الصلت مطولة فى « الهلال » السنة التاسعة

بينـا يُرَبِّبُنا آباؤنا هلـكوا وبينما نقتنى الأولاد أفنـانا

وقد علمنا لو أنَّ العلمَ ينقصـنا أنْ سوفَ يَلْحق أخرانا بأولانا

وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنَّعماء والملك ربَّنـا فلا شيءَ أعلى منك مجدا وأمْجَدَ

وبعد ان يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكةٌ أقدامهم تحت عرشـه بكفَّيه لولا الله كَلُّوا وأبـلدوا

قيـام على الأقـدام عانين تحتـه فرائصهم من شدة الخوف ترْعَدُ

وسِبْطٌ صفوف ينظرون قضـاءه يُصيخون بالأسماع للوحى رُكَّد

أمينٌ لوحى القـدس جبريل فيهمُ وميكالُ ذو الروح القوى المسدَّدُ

وحُرَّاس أبواب السماوات دونهم قيامٌ عليهـا بالمقاليد رُصَّـدُ

وله عدة قصائد فى حوادث التوراة كخراب سـدود وقصـة اسحـق وابراهيم . وله قصيدة معدودة فى المجمهرات مطلعها :

عرفت الدار قـد أقْوَتْ سـنينا لزينب اذ تحـلُّ بهـا قَطينـا

وفى أشعاره معان وأساليب لم تكن العرب تعرفها اخذها من كتب غيره وأدخلها فى شعره (١)

وأخباره فى الاغانى ١٨٦ ج ٣ و ٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدميرى ١٥٤ج٢ وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها (*)

٢ ـ ورقة بن نوفل

توفى سنة ٥٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى من قريش . وهو أحـد من اعتزل الاوثان فى الجاهلية وقرأ الكتب وامتنـع عن أكل ذبائح الاوثان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبرانى وقد شاخ وكف بصره . وله ذكر فى السيرة النبوية عندما سمع الرسول جبريل يكلمه وجاء خديجـة

---

(١) الاغانى ١٨٧ ج ٣

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وكتاب الحيوان للجاحظ فى مواضع متفرقة ، وكتاب البدء للمقدسى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والموشح للمرزبانى وديوان الحماسة ولهيار بحث فى شعره نشره فى المجلة الاسيوية ج ١٠ قسم ٤ (١٩٠٤) ص ١٢٥ والمظنون انه حمل عليه أكثر ما ينسب اليه من شعر، وخاصة ما يشبه منه المواد التى ذكرها القصاص فى تفسير القرآن الكريم ـ وراجع دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٧٧ وفى الادب الجاهلى لطه حسين ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٥ ص ٣٧٨ وما بعـدها ، وقد طبع ديوانه فى ليبسك سنة ١٩١١ وبه ثبت بمصادره وطبعت مجموعة أخرى له فى بيروت سنة ١٩٣٤

امرأته خائفا ، فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه الرسول فقال :
« انه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبى هذه الامة »
وله أشعار كان يغنى بها المغنون فى صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوتُ الحيَّ يُخْشَى أهله بعد الهُدُوِّ وبعدماسقَطَ النَّدَى
فلتلك لذاتُ الشباب قضيتها عنى فسائلْ بعضَهم ماذا قضى

ومن شعره فى التوحيد والدين قصيدة مطلعها :

لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركمُ أحَدُ

وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدتَ وأنعمت ابنَ عمرو وانما تجنبتَ تَنُّورا من النار حاميا

وتجد شيئا من أخباره فى السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج ١ ، والاغانى ١٣ ج ٣ ، وشعراء النصرانية ٦١٦ ، والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ، ومعجم البلدان

٣ ــ زيد بن عمرو

توفى سنة ٦٢٠ م

هو أيضا من عبد العزى من قريش ، وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة ، وكان يقول : « يا معشر قريش ايرسل الله قطر السماء وينبته بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغير الله ؟ » . فأخرجه القرشيون من مكة ، ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم : ورقة وزيد المذكوران ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاجتمع هؤلاء وتواطأوا على رفض الوثنية ، وعلى أن يضربوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم . فلما أجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على فراق دين آبائه . ثم خرج سائحا ويقال أنه قتل فى الشام ، وله اشعار فى التدين منها :

وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ له الأرض تحمل صَخرا ثِقالا
دَحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهى لمن أسلمت له المُزْنُ تحمل عَذْبا زُلالا
اذا هى سيقت الى بلدة أطاعت فصبَّت عليها سجالا

وتجد اخباره فى الاغانى ١٥ ج ٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٧٦ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٦١٩ ، وخزانة الادب ٩٩ ج ٣ (*)

---

(١) ابن هشام ٨١ ج ١
(*) انظر ابن سعد ج أول قسم أول ص ١٠٥ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وجواد على ج ٥ ص ٣٧٥

٤ ــ قس بن ساعدة
توفى سنة ٦٠٠ م

هو من اياد يعدونه من الخطباء ، ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها وحكيمها فى عصره . وهو أسقف من نجران ، والمشهور أنه أول من علا على شرف وخطب عليله ، وأول من قال : « اما بعد » . وينسبون اليه قوله : « البينة على منْ ادعى واليمين على من أنكر » . وقد أدركه الرسول ورآه فى عكاظ فكان يروى عنه كلاما سمعه منه . وكان فصيحا يضرب المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائرا فيكرمه ويعظمه ، ولكنه كان زاهدا فى الدنيا ينظر اليها نظر الفلاسفة فلا يرغب فى البقاء فيها كما يؤخذ من خطبته التى قالها فى عكاظ ورواها ابو بكر الصديق وهى مشهورة ، ختمها بقوله :

فى الذاهبين الأوّ لين من القرون لنا بصائرْ
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادرْ
ورأيت قومى نحوها يَمضى الأصاغر والأكابرْ
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابرْ
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائرْ

ولعل الذى زهده فى الدنيا وكرهها اليه المصيبة التى انتابته بفقد أخوين كانا يعبدان الله معه ، فماتا ودفنهما معا وشق عليه مصابه بهما فكان يتردد على قبريهما ويندبهما ، ومن قوله فى قصيدة : (*)

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما أجِدّكما لا تقضيان كَراكما
ألم تعلما أنى بسَمْعان مفردٌ وما لىَ فيها من خليل سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالى أو يجيب صَداكما
جرى الموتُ مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذى يسقى العُقار سقاكما

وله أشعار كثيرة ضاع معظمها وله أقوال جرت مجرى الامثال وجمعت فى كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفى الاغانى ٤١ ج ١٤ وخزانة الادب ٢٦٧ ج ١ وغيرها من كتب الادب والتاريخ والبيان (**)

(*) روى أبو الفرج فى كتاب الاغانى ج ١٤ ص ٤٠ روايات مختلفة فى نسبة هذه الابيات ، فهى تنسب الى قس أو الى عيسى بن قدامة الاسدى أو الى الحزين بن الحارث أحد بنى عامر او أحد الكوفيين ، وقد خرج فى بعث للحجاج الى الديلم ، والكرى : النوم ، والعقار : الخمر

(**) انظر أيضا البيان والتبيين للجاحظ فى مواضع متفرقة ، وأمالى القالى ج ٢ ص ٣٩ ودائرة المعارف الاسلامية وجواد على ج ٥ ص ٣٧١

الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب ، واذا لم يحركه كان شعره جافا قاسيا . ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ، ومنهم فى الجاهلية طائفة كبيرة : فعنترة عشق عبلة ، والمخبل السعدى عشق الميلاء ، وحاتم الطائى عشق ماوية ، والمرقش الاكبر عشق اسماء ، والنمر بن تولب عشق جمرة ، وسحيم عبد بنى الحسحاس عشق عميرة (١) ، غير الذين اشتهروا فى صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم . وسيأتى ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء فى أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحذ القريحة — وخصوصا مع الغيرة ليس للشعر فقط ، بل فى كل ما يفتقر الى خيال . وبين الشعراءالفرسان الذين ترجمنا لهم غير واحد من المحبين ، وكذلك فى سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب فيمن لم يكن له باعث على النظم غير العشق ، وكان أكثر شعره أو كله فى معشوقته . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها ، ولأن بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسرى وركون القوم الى الرخاء ، حتى اذا نضج التمدن الاسلامى ودخلت العناصر الاجنبية تحول ذلك الى التهتك والتخنث كما سيجيء . أما فى الجاهلية ، فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع ، أشهرهم :

١ — المرقش الاكبر

توفى سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل ، وهو من الشعراء المقدمين . ويمتاز عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه كان يعرف الكتابة لان أباه دفعه وأخاه حرملة الى نصرانى من أهل الحيرة علمهما الخط . ويندر فى أهل الجاهلية من فعل ذلك خصوصا الشعراء ، فان معولهم فى حفظ أشعارهم على الرواة . ويختلف عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه مات متيما . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها أسماء عشقها وهو غلام ،

---

(١) الموشى ٤٣

فقال له عمه : « لا أزوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش فى طلب العلا ، وأصيب عمه فى أثناء غيابه بضيق فأتاه رجل من بنى مراد أطمعه بالمـال فزوجه اسماء على مائة من الابل . فلما عاد المرقش اخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره ، فركب فى طلب ذلك المرادى مع صديق له من غفيلة ، فمرض فى الطريق فنزلا كهفا فى أسفل نجران ، وهى أرض مراد ومعه صديقه الغفيلى وامرأته ، وسمعهما يتآمران على تركه يأسا من شفائه .. فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الابيات :

يا صاحبىَّ تلبَّثا لا تَعْجَلا ... ان الرَّواحَ رهينُ أن لا تعذلا

يا راكبا اما عرضت فبلِّغن ... أنسَ بنَ سعد ان لقيتَ وحَرْمَلا

لله دَرُّكما ودر أبيكما ... ان أفلت العبدان حتى يُقْتَلا

من مبلغُ الأقوام أن مرقشا ... أضحى على الأصحاب عِبئا مُثْقلا

وكأنما ترد السباع بشِلْوِهِ ، ... اذ غابَ جمعُ بنى ضُبَيْعة ،منهلا

ورأينا بعض الابيات ينسب الى المهلهل ايضا . وانطلق الغفيلى حتى أتى أهله وأخبرهم أن المرقش مات ، ولكن أخاه حرملة قرأ ما على الرحل ، فشك فى صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب فى طلبه .. فلما بلغ الكهف اخبر أن المرقش علم وهو هناك بوجود اسماء وزوجها ، فاحتال حتى حمل اليهما فى حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال فى موته شعرا مطلعه :

سرى ليلا خيالٌ من سُليمى ... فأرَّقنى وأصحابى هجود

وهو من أصحاب المنتقيات .. وله اقوال فى الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى فى الفخر . ومن أحسن شعره فى الحماسة قصيدته التى استهلها بذكر حبيبته :

أمن آل أسماءَ الطلولُ الدوارسُ ... تخطَّط فيها الطير ، قَفْرٌ بَسابس

ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة اخرى فى وصف الطلول ونجائب الابل وغيرها . واتصل المرقش الاكبر بالحارث بن أبى‌شمر الغسانى ، ونادمه سنة ٥٢٤ ومدحه

وترى اشعاره واخباره فى الاغانى ١٨٩ ج ٥ ، والشعر والشعراء ١٠٢ ، وشعراء النصرانية ٢٨٢ ، وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ ، والجمهرة ١١٢ ، وغيرها من كتب الادب (*)

(*) وانظر له ١٤ قصيدة ومقطوعة فى المفضليات وقد اشتهرت من بينها ذات الرقم ٥٤ لانها لا تجرى على عروض الخليل ، وله مقطوعات أخرى فى الاغانى (طبع بولاق) ج ٧ ص ١٩٢ ، ج ١٠ ص ١٢٨ وانظر أيضا معجم المرزبانى ٢٠١ ودائرة المعارف الاسلامية.

٢ ـ عبد الله بن عجلان
توفى سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاعة شاعر متيم قتله الحب ، وكان له زوجة يقال لها هند طلقها لانها لم تلد له فتزوجهـا غيره ، ثم ندم على ذلك ومات أسفا عليها . وكان سيدا في قومه وابن سيد من سادتهم ، وكان أبوه أكثر بنى نهد مالا ، وكان يجدر بنا ادخاله فى جملة الشعراء الامراء لولا تغلب العشق عليه . ومن أقواله فيها :

فارقت هنـدا طائعا فندمت عند فراقهـا
فالعين تَذْرى دمعـة كالدر من آماقهـا
مُتحلِّبا فوق الـردا ء يجـول من رقراقهـا
خَـوْدٌ رَداحٌ طَفْلَةٌ ما الفحش من أخلاقهـا
ولقـد ألذ حديثهـا وأسر عند عناقهـا

وله أخبـار واشـعار جمعت فى الاغانى ١٠٢ ج ١٩ ، والشـعر والشعراء ٤٤٩ (*)

٣ ـ عروة بن حزام العذرى
توفى سنة ٣٠ هـ «١»

هو من الشعراء المتيمين الذين ادركوا الاسلام . وقد قتلهم الهوى ، لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه . وتشبيبه بها وكان قد خطبها من أبيها فوعده ثم زوجها لغيره .. فأثر ذلك فى مزاجه فضعف واضطرب حتى ظنوا فيه الخبل وأصابه هزال ، فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون ؟ فقال له عروة : « هل لك علـم بالاوجاع ؟ » قال : « نعم » فأنشأ يقول :

وما بىَ من خَبْلٍ ولا بىَ جِنَّةٌ ولكنَّ عمى يا أُخَىَّ كـذوبُ
أقول لعـرّاف اليمـامة داونى فانك ان داويتنى لطبيـبُ
فواكبدا أمست رُفاتا كأنمـا يلذّعهـا بالموقـدات طبيبُ
عشيّةَ لا عفـراء منك بعيـدةٌ فتسلو ولا عفراءُ منـك قريبُ
فوالله لا أنسـاك ما هبت الصبا وما عَقَّبتهـا فى الرياح جَنوبُ

(*) ويراجع تزيين الاسواق لداود الانطاكى ٧٦ وديوان الحماسة لابى تمام ، انظر الفهرس

(١) فوات الوفيات ٣٣ ج ١

وانى لتغشـانى لذكراك هـزة لهـا بين جلدى والعظـام دبيب

وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفا عنى القميص تبينا بى الضر من عفـراء يا فتيـان
اذاً تريا لحمـاً قليلا وأعظمـا رقاقا وقلبـا دائم الخفقـان
جعلت لعراف اليمـامة حـكمه وعراف حجر ان همـا شفيانى
فما تركا من حيـلة يعرفانهـا ولا شربة الا وقد سـقيانى
ورشا على وجهى من الماء سـاعة وقاما مع العـواد يبتـدرانى
وقالا شـفاك الله والله ما لنـا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وتجد أخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ٢٠ ، وفوات الوفيـات ٣٣ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٣٩٤ ، وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١ (*)

٤ ــ مالك بن الصمصامة

هو من جعدة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدى فمنعه اخوها منها، وكان مالك شاعرا فارسا شجاعاً جميلا فبلغه ان اخاها اقسم اذا تعرض مالك لاخته اسره وجز ناصيته فقال :

وما الحلق بعد الأسر شر بقية من الصد والهجران وهى قـريب
ألا أيهـا الساقى الذى بل دلوه بقريان يسقى هل عليـك رقيب
أحقا عباد الله أن لست خارجـا ولا والجـا الا على رقيـب
ولا زائرا وحـدى ولا فى جماعة من الناس الا قيل أنت مـريب
وهل ريبة فى أن تحن نجيبة الى الفها أو أن يحن نجيـب

وله أشعار أخرى فى الاغانى ٨٣ ج ١٩

٥ ــ مسـافر بن ابى عمـرو

هو من قريش ، كان سيدا جوادا احب هنـدا بنت عتبة التى تزوجها ابو سفيان بعد ذلك . وهى أم معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة فلم تقبله ، فلما بلغه زواجها بأبى سفيان اعتل ومات وله فيها أشعار .
واخباره فى الاغانى ٤٨ ج ٨

(*) انظر أيضا خزانة الادب ج ٣ ص ٦١٥ وذيل الامالى للقالى ص ١٥٩ ، وامالى المرتضى (طبعة الحلبى) ج ١ ص ٤٥٩ ولعروة ديوان مخطوط بدار الـكتب المصرية

ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :

ـ منظور بن زبان من فزارة كان عاشقا، وهو من الامراء أيضا وقد تقدم ذكره

ـ مسعود بن خراشة من تميم ، وهو من المخضرمين

ـ عنترة العبسى ، وقد تقدمت ترجمته

الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والاغارة على القبائل للنهب ؛ أشهرهم :

١ ـ الشنفرى

توفى سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من أهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل ، منهم هذا ، وسليك بن السلكة ، وعمرو ابن براقة ، وأسيد بن جابر ، وتأبط شرا . ويقال أن الشنفرى حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان فقتل تسعة وتسعين ، فاحتالوا عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيد بن جابر ثم قتله ، فمر به رجل منهم فركل جمجمته .. فدخلت شظية منها فى رجله فمات ، فتمت القتلى مائة . وللشنفرى أشعار فى الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها : (*)

أقيموا بنى أمى صدورَ مطيكم فانى الى قوم سواكم لأميَلُ

وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها : (**)

ألا أمُّ عمرو أجمعتْ فاستقلَّتِ وما ودَّعتْ جيرانها اذ تولَّتِ

وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse بترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانجليزية ، وقد طبعت فى المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss فى المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

وأخبار الشنفرى مفرقة فى الاغانى ٨٧ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ١٨ ؛ وخزانة الادب ١٦ ج ٢ ، والمفضليات وغيرها (***)

(*) اشتهرت هذه اللامية بشروحها ، وأقدم رواية لها فى ذيل الامالى للقالى ص ٢٠٨ وقد زعم ان خلفا الاحمر هو الذى صنعها ونحلها الشنفرى

(**) أجمعت : عزمت أمرها ، واستقلت : ارتحلت

(***) وأنظر أيضا حماسة أبى تمام وكتاب المقتالين لابن حبيب وامالى القالى ج ١ ص ١٥٧ والذيل كما قدمنا وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ ودائرة المعارف الاسلامية والشعراء الفرسان للبستانى وقد طبع ديوانه فى مجموعة الطرائف الادبية بالقاهرة.

٢ ــ تأبط شرا

توفى سنة ٥٣٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وابصرهم وأكيدهم، وكان أعدى رجل ، ينظر الى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ، ثم يعدو خلفه فلا يفوته . وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان . ومن شعره فى وصف الغول : (*)

ألا من مبلغٌ فتيان فَهْمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحَى بِطانِ

بأنى قد لقيت الغول تهوى ... بسهبٍ كالصحيفة صحصحانِ

فقلت لها كلانا نِضْوُ أينٍ ... أخو سفرٍ فخلّى لى مكانى

فشدّتْ شدّةً نحوى فأهوى ... لها كفّى بمصقول يمانى

فأضربها بلا دَهَشٍ فخرّتْ ... صريعا لليدين وللجرانِ

فقالتْ ثَنِّ قلت لها رويدا ... مكانكِ اننى ثبت الجَنانِ

فلم أنفك متكئا عليها ... لأنظر مُصْبِحا ماذا أتانى

اذا عينان فى رأس قبيح ... كرأس الهرِّ مشقوق اللسانِ

وساقا مُخْدَجٍ وشَواة كلب ... وثوب من عَبَاءٍ أو شِنانِ

وأخباره فى الاغانى ٢٠٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ١٧٤ ، وخزانة الادب ٦٦ ج ١ ، وكتب عنه بور Baur بالالمانية مقالة فى سيرة حياته وشعره فى المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦ (**)

٣ ــ السليك بن السلكة

توفى سنة ٦٥٠ م

هو من تميم ، أمه أمة سوداء . وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه .. فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار . وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لايغير على مضر وانما يغير على اليمن ، فاذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة . ويعده

(*) الغريب فى هذه الابيات : رحى بطان : اسم موضع . السهب : الفلاة . الصحصحان : الارض المستوية . النضو : المهزول . الاين : التعب . المصقول اليمانى : السيف . الجران : مقدم العنق ، وخرت لليدين وللجران : سقطت على الارض . المخدج : ناقص الخلق . الشواة : الاطراف . الشنان جمع شن وهو القربة البالية.

(**) وأنظر قطعا مختلفة له فى حماسة أبى تمام ، والتبريزى على هذه الحماسة ، وحماسة ابن الشجرى ، وشرح شواهد المغنى ص ١٩ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ومروج الذهب للمسعودى طبعة باريس ج ٣ ص ٣١٠ ، واعجاز القرآن للباقلانى ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ والشعراء الفرسان للبستانى

المفضل الضبى من أشد رجال العرب وأنكرهم واشعرهم . وكان ادل الناس بالارض وأعلمهم بمسالكها ، وله اخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره على أثر غزوة رابحة :

بكى صُرَدٌ لما رأى الحيَّ أعرضت مهامهُ رملٍ دونهم وسهوبُ
فقلت له لا تَبْكِ عينُك انها قضيةٌ ما يقضى لها ، فتئوبُ
سيكفيك فقد الحى لحم مقدَّدٌ وماء قدورٍ فى الجفان مشوبُ
ألم تر أن الدهر لونان لونه وطوران بشرٌ مرة وكذوبُ
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى أريته مَصادَ المنايا والغبار يثوبُ

وأخباره فى الاغانى ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ ـ عروة بن الورد

توفى سنة ٥٩٦ م

هو من عبس ، وكان شاعرا فارسا وصعلوكا مقدما . وكان يلقب عروة الصعاليك لانه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم اذا أخفقوا فى غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير فى نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم فى حربكم ؟ قال : « كنا ألف حازم » . فقيل وكيف ذلك ؟ قال : « كان فينا قيس بن زهير وكان حازما وكنا لا نعصيه وكنا نقدم اقدام عنترة ونأتم بشعر عروة بن الورد وننقاد لامر الربيع بن زياد » . ومن شعر عروة قوله : (*)

وانى امرؤٌ عافى انائىَ شركةٌ وأنت امرؤ عافى انائك واحدُ
أتهزأ منى أن سمنتَ وأن ترى بجسمى شحوبَ الحقِّ والحقُّ جاهد
أفرِّق جسمى فى جسومٍ كثيرة وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ بارد

ومن قوله فى الاقدام :

دَعينى لِلغنى أسعى فانى رأيت الناسَ شرُّهم الفقيرُ

ومن ذلك قوله :

لعلَّ ارتيادى فى البلاد وبُغيتى وشدِّى حيازيم المطية بالرَّحل
سيدفعنى يوما الى رب هَجْمةٍ يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

(*) الغريب فى هذه الابيات : العافى : طالب المعروف ، يقول عروة لصاحبه انه يأكل معى جماعة يشاركوننى فى انائى ، وانت تأكل وحدك ، فعافى انائك واحد ـ ويريد بالحق حقوق القبيلة عليه ـ الماء القراح : الذى لا يخالطه لبن أو غيره

والهجمة من الابل مازاد على الاربعين . وله قصيدة تعد من المنتقيات مطلعها :

أقلي عليّ اللوم يا ابنة منـــذر ونامي فان لم تشتهي النوم فاسهري

ذريني أطوّف في البـــلاد لعلني أخليك أو أغنيك عن سوء محضري

فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة في كل اقواله

ولعروة ديوان طبع في غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة ألمانيـة وشروح لنولدكي وطبع ايضا في بيروت . وله أشعار متفرقة في الاغاني ١٩٠ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة (*) ١١٤ وكتب بوشر Boucher الفرنسي مقالة عنه وعن ذي الاصبع العدواني في المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك :

٥ ـ حاجز الازدي (٥٧٠) كان يسبق الخيـل . ترجمتـه في الاغاني ٤٩ ج ١٢

٦ ـ قيس بن الحدادية الازدي . ترجمته في الاغاني ٢ ج ١٣

٧ ـ ابو الطمحان القيني من قضاعة مخضرم . ترجمته في الاغاني ١٣٠ج ١١ والشعر والشعراء ٩٢٩ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣

شعراء اليهود

لا يتجاوز شعراء اليهود في الجاهلية عدد أصابع اليد الواحدة أشهرهم:

١ ـ السموأل بن غريض بن عاديا

توفي سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون أخي موسى . وهو صاحب حصن الابلق بتيماء ويضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرىء القيس الشاعر ودروعه أشهر من أن يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل ترغيبا في الوفاء فان الطبيعة تأبى على الرجل أن يضحي بابنه في سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبلا . وكانت العرب تنزل بالسموأل فيضيفها واشتهر بقصيدته الفخرية التي مطلعها : (**)

(*) وانظر حماسة ابي تمام والتبريزي ، والكامل للمبرد « راجع الفهارس » وديوانه مطبوع في الجزائر بشرح ابن السكيت وفي مصر

(**) تنسب هذه القصيدة الى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ولعل ذلك هـو الاصح والاقرب الى الصواب . أنظر شرح التبريزي على ديوان الحماسة

اذا المرء لم يَدْنَس من اللؤم عرضه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميـــل

وقد خمسها غير واحد أشهرهم صفى الدين الحلى

وللسموأل ديوان شعر طبع فى بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار فى الاغانى ٩٨ ج ١٩ و ١٢ ج ٣ و ٨٧ ج ٦ و ٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و ١٢ (*)

ومن الشعراء اليهود (**) أيضا :

٢ — أوس بن دنى من قريظة ترجمته فى الاغانى ٩٤ ج ١٩

٣ — الربيع بن أبى الحقيق من رؤساء قريظة ترجمته فى الاغانى ٦١ج٢١

٤ — كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات . ترجمتـه فى الاغانى ١٠٦ ج ١٩

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام، البيان والتبيين فى مواضع متفرقة او أمالى القالى ج ١ ص ٢٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية

(**) عنيت طائفة من المستشرقين بالبحث فى يهود جزيرة العرب قبل الاسلام وجمع أشعارهم ، مثل مرجليوث ونولدكى وفرانز دلتش وليفى دلافيدا . انظر تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٦ وراجع فيهم طبقات الشعراء لابن سلام

النساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقى المرأة فى الجاهلية وعزة نفسها وذكائها ،والشعر لا ينمو ويزهر الا فى ظل العز والارتقاء . ويندر نبوغ الشعراء البلغاء فى أمة ذليلة .. فظهر فى الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن فى الحماسة وغيرها ، وذكرنا أسماء بعضهن فيما تقدم . وهاك تراجم أشهرهن :

١ ـ الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هى تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من أهل نجد . وقد أجمع رواة الشعر على انه لم تقم امرأة فى العرب قبلها ولا بعدها أشعر منها . وقد انشدت شعرها النابغة فى عكاظ ، فأعجب به وقال لها : « لولا ان هذا الاعمى انشدنى قبلك (يعنى الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على ان اكثر قولها فى رثاء اخيها صخر ، وكان قد قتل فى واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن فى أرض سليم .. فأخذت تنظم فيه المراثى كأن الحزن اثار شاعريتها . وقد أدركت الخنساء الاسلام وهى عجوز ولها أربعة اولاد ، فشهدت حرب القادسية وحرضت أولادها على الثبات فى القتال . فلما حمى الوطيس تقدموا واحدا واحدا ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر ، قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم »

ومن أشعارها فى رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم مالها   لقد أخضل الدمعُ سربالها

أبعد ابن عمرو منَ آل الشريد   حلّت به الأرض أثقالها

فان تك مُرّةٌ أودت به   فقد كان يكثر تقتالها

سأحمل نفسى على خطّة   فاما عليها وإما لها

فان تصبر النفسُ تَلْقَ السرورَ   وان تجزع النفس أشقى لها

وللخنساء ديوان شعر كبير طبع فى بيروت مشروحا سنة ١٨٨٨ ، وفيه مراث لستين شاعرة ، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة ١٨٨٩ ، ولها

أخبار كثيرة متفرقة بالاغانى ٦٤ و ١٣٦ ج ١٣ و ٣٤ ج ٤ ، وخـزانة الادب ٢٠٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ١٩٧ (*)

٢ ـ خرنق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هى أخت طرفة بن العبد لأمه ، ولها أشعار كثيرة فى أخيها وزوجها لم يصلنا منها الا بضعة وخمسون بيتا جمعت فى ديوان ، منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وقد طبعت أخبارها وأشعارها فى شعراء النصرانيـة ٣٢١ ، وأفردت فى ديوان على حدة طبع فى بيروت . ولها أخبار فى خزانة الادب ٣٠٦ ج ٢

٣ ـ ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هى بنت اكيز من ربيعة من أقدم الشعراء ، وكانت تامة الحسن كثيرة الادب . ولها شعر حسن نشر بعضه فى كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ ـ جليلة بنت مرة

توفيت سنة ٥٣٨ م

هى اخت جساس الشيبانى قاتل كليب بن ربيعة . وهى ايضا زوجة كليب المقتول ، فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمتت بها أخت كليب . فأجابتها بشعر مطلعه :

يا ابنةَ الأقوام ان لمتِ فـــلا تعجــلى باللــوم حتى تسألى

وتجد اخبارها فى شعراء النصرانية ٢٥٢ ، والاغانى ١٥١ ج ٤

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وديوان الحماسة لابى تمام ، والكامـل ، والبيان والتبيين وأمالى المرتضى ، وتاريـخ الطبرى طبع ليدن ج ١ ص ١٩٠٥ وقد درس، شيخو وجبريلى Gabrieli ورودوكناكس Rhodokanakis أشعارها .. انظر تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٥ وأنظر دائرة المعـارف الاسلامية فى مادة الخنساء . وقد طبع ديوانها ايضا بالقاهرة

الشعراء الهجاءون

لا تكاد تجد فى شعراء الجاهلية شاعرا يتوخى الهجو فيفرد له قولا ، وانما كان هجوهم يأتى فى أثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة من الهجائين فى أواخر عصر الجاهلية ، وأكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا الاسلام .. منهم الحطيئة العبسي ، وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الله بن الزبعرى السهمى ، فأفردنا لهم هذا الفصل

١ ـ الحطيئة

هو جرول بن أوس من بنى عبس من فحول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، متين الشعر شرود القافية متصرف فى جميع الفنون من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد فى ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه ، دنىء النفس لا رأى له ، وانما يساق الى مايرجو منه مصلحة فينتمى الى كل واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بنى عبس ، قال انه من بنى ذهل والعكس بالعكس . لكنه كان شديد الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفا من شره . وكان يتعمد تخويف الناس بالهجو استدرارا لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم chantage وذلك نادر فى طباع أهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة أو نجعا دب الخوف فى أهله ، وارصدوا له العطايا خوفا من لسانه ، وهو يبالغ فى الطمع كثيرا .. ذكروا انه نزل المدينة مرة فمشى أشرافها بعضهم الى بعض فقالوا : « قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتى الرجل من اشرافكم يسأله فان أعطاه جهد نفسه بهرها (فوق ماتستطيع) وان حرمه هجاه » فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم .. فكان اهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير حتى جمعوا له أربعمائة دينار وظنوا انهم قد اغنوه فأتوه ، فقالوا له : « هذه صلة آل فلان ، وهذه صلة ال فلان ، وهذه صلة ال فلان » فأخذها فظنوا أنهم قد كفوه عن المسئلة ، فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلا ينادى : « من يحملنى على بغلين » .. هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل فيهم والا سلقهم بهجوه

وأكثر هجوه الذى وصل الينا فى الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب ، وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فأحب أن يقربه فدعاه اليه وأنزله فى قومه ، وضمن له مؤاونة عياله على أن يستصفى له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة واخوته وأهله ينازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة أم شذرة أم الزبرقان مرة بالحطيئة ودعوه اليهم ، وفى مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طنب من أطنابها جلة (وعاء تمر) هجرية وأراحوا عليه ابلهم وأكثروا من التمر واللبن وبالغوا فى اكرامه ، فمدحهم بالبيت المشهور الذى رفع رءوسهم وهو :

قومٌ هـم الأنف والأذناب غيرهمُ ومن يسوِّى بأنف الناقة الذَّنَبا

ثم جاء الزبرقان يطلب الحطيئة منهم لانه جاره فأبوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على أن يخيروه فى الذهاب الى أحد الحيين فاختار بغيضا ، فرجع الزبرقان مغضبا فحرض بغيض الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض : (*)

والله ما معشرٌ لاموا امرأً جُنُبا فى آل لأى بن شمَّاس بأكياسِ
ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبا لكمُ فى بائسٍ جاء يحدو آخرَ الناس
وقد مدحتكمُ عمـــدا لأرشدكم كيما يكون لـكم مَتْحى وامراسى
لمـا بدا لىَ منكم عيبُ أنفسكم ولم يكن لجراحى فيـــكمُ آسى
أزمعتُ يأسا مبينا من نوالـكمُ ولن يُرَى طاردا للحُرِّ كاليـاس
جارٌ لقوم أطالوا هُونَ منـــزله وغادروه مقيمـــا بين أرْماس
مَلُّوا قِراه وهَرَّته كلابهـــمْ وجَرَّحوه بأنيـــابٍ وأضراس
دَعِ المكارم لا ترحَلْ لبُغْيتهـا واقعد فانك أنت الطاعم الـكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جَوازيهُ لا يذهب العُرْفُ بين الله والناس

وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه ، فكتب اليه من السجن أبياتا يشكو اليه حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مَـرَخٍ حُمر الحَواصل لاماءٌ ولا شـجر

(*) الغريب فى هذه الابيـــات : الجنب هنا : القريب فى آل لاى : أى فى ملحهم . أكياس : جمـع كيس وهو الذكى . المتح : الاستقاء من البئر . الامراس : وضع حبل البئر فى البكرة : يقول انه مـدح الزبرقان وقومه قبل أن يتحول الى بغيض وقومـه ، آسى : طبيبه ، الهون : الذلة ، والارماس : القبور ، القرى : الضيافة ، وهرته كلابهم : نبحته ، وهو كناية عن بخلهم ، الطاعم هنا : المطعوم ، الكاسى : المكســو أى انه لا يعطى ولا يكسو أحدا

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة　　فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ثم أخرجه من السجن وهدده بقطع لسانه وأذنيه فتوسط له بعض الصحابة ، فاطلقه وأوصاه ان يكف لسانه عن الهجو . وبلغ من شغف الحطيئة بالهجو انه هجا أمه وأباه وهجا نفسه .. فمما هجا به أمه قوله :

أغربالا اذا استودعت سرا　　وكانونا على المتحدثينا (*)
جزاك الله شرا من عجوز　　ولقاك العقوق من البنينا

وقال لابيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا　　أبا ولحاك من عم وخال
فنعم الشيخ أنت لدى المخازى　　وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
جمعت اللؤم لا حياك ربى　　وأبواب السفاهة والضلال

وقال لنفسه :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما　　بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه　　فقبح من وجه وقبح حامله

وهو من أصحاب المشوبات ومطلع مشوبته :

نأتك أمامة الا سؤالا　　وأبصرت منها بعين خيالا

وللحطيئة اشعار كثيرة جمعت فى ديوان طبع فى ليبسك سنة ١٨٩٣ ، وفى مصر وبيروت مع شروح . وله شرح خطى فى دار الكتب المصرية . وأخباره فى الشعر والشعراء ١٨٠ ، وفى الاغانى ٤٣ ج ٢ و ٣٩ ج ١٦ ، وفى العقد الفريد ٨٠ ج ١ و ١١١ ج ٣ ، وفى المستطرف ١٣٩ ج ١ ، وخزانة الادب ٤٠٩ ج ١ ، والجمهرة ١٥٣ (**)

٢ ــ حسان بن ثابت

توفى سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج من أهل المدينة ، وقد عاصر الجاهلية والاسلام .. فهو من المخضرمين . واشتهر فى الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة ، وله مع النابغة الذبيانى أحاديث . واختص بعد الاسلام بمدح النبى والدفاع عنه ، وهو يعد أشعر أهل المدن فى ذلك العصر . وكان شديد الهجاء حتى

(*) الغربال : النمام ، والكانون : الثقيل

(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والكامل ، والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة ، والاشتقاق ، وزهر الاداب ج ١ ص ١٩ ، وتاريخ أبى الفدا جـ ١ ص ٣٧٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية مادة الحطيئة

قيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيدة : « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى (ص) فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام » . ومن شعره فى الجاهلية قوله يمدح جبلة ابن الابهم الغسانى :

أولاد جَفْنَةَ عند قبر أبيهم   قبر ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ
يَسْقون مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهم   بَرَدَى يصفّق بالرّحيق السَّلْسَل
يُغشَوْن حتى ما تهرّ كلابهم   لا يَسألون عن السواد المقبل
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم   شمّ الأنوف من الطّراز الأول

اما فى الاسلام ، فكان حسان فى جملة من اسلم واخذ يناصر الرسول . ولم يكن رجل حرب فنصره بلسانه ، وكان الرسول يسر به ويستنشده الاشعار فى الدفاع عن المسلمين اذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم . وقد حمله الرسول على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين .. فقد كان يهجو الرسول والمسلمين ثلاثة من قريش هم : عبد الله بن الزبعرى ، وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن ابى طالب: « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال على : « ان اذن لى رسول الله فعلت » فقال رجل : « يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال : « ليس هناك أو ليس عنده ذلك » ثم قال : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟» فقال حسان بن ثابت : « انا لها » واخذ بطرف لسانه وقال : « والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء » قال : « كيف تهجوهم وانا منهم » فقال : « انى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر .. فكان فى ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة .. فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ومن امثلة دفاعه عن الرسول ان وفدا من تميم جاءوا الرسول وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم .. وفيهم الزبرقان بن بدر ، فأنشد الزبرقان قصيدة فخر فأمر الرسول حسانا أن يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فِهْرٍ واخوتهم   قد بَيَّنوا سُنَّةً للناس تُتَّبَعُ
يرضى بها كلّ من كانت سريرته   تَقْوَى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قومٌ اذا حاربوا ضَرّوا عدوهمُ   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجيّة تلك منهم غيرُ مُحْدَثة   ان الخلائق فاعلمْ شرّها البِدَعُ

لا يَرقعُ الناسُ ما أوهتْ أكفّهمُ عند الرقاع ولا يوهون ما رقعوا
ان كان في الناس سبّاقون بعدهمُ فكل سبق لأدنى سبقهم تبَعُ
أعفّةٌ ذكرتْ في الوحي عفّتُهم لا يطمعون ولا يُزْرِي بهم طمع
يَسْمون للحرب تبدو وهي كالحة اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفرحون اذا نالوا عدوهمُ وان أصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

الى أن قال :

أكرمْ بقومٍ رسولُ اللهقائدهم اذا تفرقتِ الأهواء والشّيَعُ
وانهم أفضلُ الأحياء كلهمِ ان جَدّ بالناسِ جدُّ القول أوشَمعوا (*)

وهو من أصحاب المذهبات ومطلع مذهبته :

لعمر أبيك الخيرِ حقاً لمَا نبَا عليّ لساني في الخطوب ولا يدى

وقد جمعت أشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ، ثم طبعته لجنة تذكار جيب في انجلترا سنة ١٩١٠ ، وضبطته على النسخ الخطية الموجودة في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج بعد الاطلاع على النسخ المطبوعة المتقدم ذكرها

وتجد أخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ ، والاغانى ٢ ج ٤ ، و ١٦٩ ج ٨ ، و ١٦٩ ج ١٠ ، و ١٥٠ ج ١٣ ، و ٢ ج ١٤ ، وخزانة الادب ١١١ج ١ ، والجمهرة ١٢١ ، وفي السنة السادسة من الهلال ٤٨٢ (**)

٣ — عبد الرحمن بن الحكم

هو أخو مروان بن الحكم الذى تولى الخلافة في الدولة الاموية ، وأفضت بعده الى أولاده وأحفاده . وكان عبد الرحمن هذا يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، الاول يدافع عن قريش وبني أمية ، والثانى عن الانصار . وقد هجا ابن الحكم اخاه الحارث لانه ذهب في غزوة ولم يفلح ، فقال فيه أبياتا منها :

كفاك الغزوَ اذا أحجمتَ عنه حدثُ السنِّ مقتَبلُ الشبابِ
فليتك حَبْضةٌ ذهبتْ ضلالا وليتك عند منقطع السحابِ

(*) شمعوا : مزحوا

(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبرى « فهرس كل منهما » والموشح للمرزبانى والبيان والتبيين (الفهرس) ودواوين الحماسة ، وتجد من شعره مقتطفات كثيرة في كتب الادب المختلفة ، وانظر ترجمته فى دائرة المعارف الاسلامية

وهجا أخاه مروان فضلا عن هجوه الانصار وغيرهم
وتجد أخباره فى ذلك مدونة فى الاغانى ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣
ومن الشعراء الهجائين ايضا :

٤ ــ عبد الله بن الزبعرى : هو أحد شعراء قريش المعدودين لكنه كان هجاء فاكثر من هجو المسلمين وحرض عليهم كفار قريش . ثم أسلم فقبل اسلامه وتجد أخباره فى الاغانى ١١ ج ١٤ (*)

(*) وراجع ديوان الحماسة لابى تمام ، والبيان والتبيين ج٣ ص ٣٤٨ ، وانظر فهرس السيرة النبوية لابن هشام

الشعراء الوصافون للخيل

قد رأيت وصفا كثيرا فى أشعار من تقدم ذكرهم ، وخصوصا أصحاب المعلقات ولا سيما امرأ القيس . ولكننا نريد أن نضمن هذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها ، وهم ثلاثة ، نضيف اليهم شاعرا اشتهر بوصف الحمير وهم :

١ ـ أبو دؤاد الأيادى

هو من أقدم شعراء الجاهلية ، وأكثر أشعاره فى وصف الخيل وله أشعار فى المدح والفخر ومن قوله فى وصف الفرس : (*)

ولقد أغتدى يدافع رُكنى أحوذىٌّ ذو مَيْعةٍ اضْرِيجُ
مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مفرٌ مِنْفَحٌ مِطْرَحٌ سبوحٌ خروج
سَلْهَبٌ سَرْحبٌ كأن رماحا حملتْهُ وفى السَّراة دُمـوج (١)

وليس له ديوان معروف ، ولكن اخباره فى الاغانى ٩٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢، والشعر والشعراء ١٢٠ (**)

٢ ـ طفيل الغنوى

هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول المعدودين ، ومن أشعر شعراء قيس ، ومن أوصف العرب للخيل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وهو يدخل وصفها فى كل باب من شعره . ومن قوله :(***)

(*) الغريب فى هذه الابيات : الاحوذى : الطارد السريع السير من الخيل ، وذو ميعة ، ذو فتوة ، والاضريج : الجواد ، مخلط مزيل : يخالط الامور ويزايلها أى يفارقها ، منفح : يدخل فى كل شيء ، مطرح : بعيد النظر ، سلهب : طويل ومثلها سرحب ، والسراة : الظهر ، دموج : انتظام واتساق

(**) وله قصيدتان فى الاصمعيات رقم ٦٥ ، ٦٦ وانظر فى اخباره وأشعاره شواهد المغنى للسيوطى ١،٢٤ والعينى ج ٢ ص ٣٩١ اللالىء والخزانة ج ٣ ص ٤٣٨ ، ج٤ ص١٩٠

(***) الغريب فى ابيات طفيل الغنوى : عواوير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان، والردى : الموت . ارسان : جمع رسن وهو الحبل ، والجرد : جمع اجرد ، وهو الفرس قصير الشعر وذلك أجود فيه ، والبادىء : المغير أولا : والمعقب ، المغير ثانيا ، تدر : نسيل ، ومن غرير واشيب اى فى هؤلاء القوم الغزاة الشيب والشبان

بخيلٍ إذا قيل اركبوا لم يَقُل لهم   عواويرُ يخشون الرَّدَى أين نركبُ
ولكن يجاب المستغيث وخيلهم   عليها حساةٌ بالمنية تضرب

ومن قوله في وصف بيته :

وأطنابه أرسانُ جُرْدٍ كأنها   صدورُ القَنا من بادىء ومعقَّبِ
نصَبْتُ على قومٍ تَدِرُّ رماحُهم   عروقَ الأعادى من غريرٍ وأشيبِ

ولطفيل الغنوى ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكار جيب الانجليزية مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره فى الاغانى ٨٨ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢٧٥ (*)

٣ ـ النابغة الجعدى

هو غير النابغة الذبيانى ، وهو من جعده (قيس) مخضرم قال الشعر فى الجاهلية ، وسكت دهرا ثم نبغ فى الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان أسن من الذبيانى . وهو ممن فكر فى الجاهلية فأنكر الخمر والمسكر وهجر الازلام والاوثان . وكان مغلبا اذا هوجى غلب ، وله مهاجاة مع ليلى الاخيلية وغيرها . ويقول علماء الشعر فى وصف شعره : « خمار بواف ومطرف بآلاف » يريدون ان بين أشعاره تفاوتا كبيرا . ومن قوله فى وصف الفرس :

كأن مقطَّ شَراسيفه   إلى طرف القَتْب فالمَنْقبِ (١)
لُطِمْنَ بتُرْس شديد الصِّقا   ل من خَشَب الجوز لم يُثْقَب

وله قصيدة جمعها أبو زيد مع المشوبات فى جمهرة أشعار العرب ، يصف بها حاله منذ كان عند المنذر ، وكيف سار الى الرسول وأسلم ، ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خليليَّ عوجا ساعةً وتهجَّرا   ولوما على ما أحدث الدهر أو ذَرَا

وللنابغة الجعدى أخبار متفرقة فى الاغانى ١٢٨ ج ٤ ، والشعر والشعراء ١٥٨ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ ، وفى خزانة الادب ٥١٢ ج ١ (**)

(*) طبع الديوان كماقدمنا فى سنة ١٩٢٧ ، وانظر فى طفيل ايضا الاشتقاق ١٦٥ ، والمؤتلف ١٤٧ ، ١٨٤ والاقتضابه ٣٢٧ ، والعينى ج ٣ ص ٢٤ والخزانة ج٣ص ٦٤٢ والحماسة لابى تمام وشرح التبريزى

(١) الشراسيف : أطراف الاضلاع ، المنقب : وسط البطن ، والقتب : الرحل

(**) وانظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام حيث جعله فى الطبقة الثانية من الشعراء الجاهليين ، ومعجم المرزبانى ٣٢١ ، والموشح ٦٤ ، والمؤتلف ١٩١ ، والمعمرين ٦٤ ، وأمالى المرتضى ج١ص ٢٦٣ ـ ٢٦٩ ، واللالىء ٢٤٧ ، والاستيعاب ٣٢٠ ، واسد الغابة ج٥ ، والاصابة ج٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام

٤ ـ الشماخ بن ضرار

ويدخل فى هذا الباب الشماخ بن ضرار الذبيانى ، فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ، ويقولون ان الحطيئة كتب فى وصيته : « أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على انه اوصف الشعراء للحمير ، وأوصفهم للقوس ، وأرجزهم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيفه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائين، ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس ، قوله : (*)

وذاق فأعطتنـه من اللـِّين جانبـاً   كفَى ولهاً أن يُغرق السهمَ حاجزُ
إذا أنبضَ الرامون عنهـا ترنمت   ترَنُّم ثكلى أوجعتهـا الجنـائز

وهذان البيتان من قصيدة عدها أبوزيد من المشوبات ومطلعها :

عَفا بَطنُ قوٍّ من سليمى فعالزُ   فذاتُ الصَّفا فالمشرفاتُ النَّواشزُ

وقد جمعت أشعار الشماخ فى ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية (**) ، وله أخبار متفرقة فى الاغانى ١٠١ ج ٨ ، والشعر والشعراء ١٧٧ ، وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ ، والجمهرة ١٥٤

ومن وصاف الخيل أيضا سلامة بن جندل وقد ترجمنا له مع الشعراء الفرسان ، وفاتنا ان نذكر هناك أن له ديوانا طبع فى بيروت

الشعراء الموالى

١ ـ عبد بنى الحسحاس

ليس فيمن وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالى أو العبيد الا عبد بنى الحسحاس ، وهو حبشى واسمه سحيم . كان مطبوعا على الشعر، اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من أسد ، ومن نظمه قوله :

أشعارُ عبد بنى الحَسْحاس قُمن له   عند الفخار مقام الأصل والورِقِ
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرماً   أو أسودَ اللون إنى أبيضُ الخلق

وذكروا ان صاحبه كان اسمه مالكا جاء به ليبيعه لعثمان بن عفان ،

(*) الغريب فى هذه الابيات : البيت الاول يصف القوس بأنها وسط بين اللينة والشديدة ، انبض القوس : حركها ليرمى عنها ، قو وعاذر وذات الصفا : مواضع ، والمشرقات والنواشز : المرتفعات

(**) طبع ديوان الشماخ بمصر وانظر فيه طبقات الشعراء لابن سلام والمؤتلف ١٣٨ وديوان الحماسة واللآلىء ٥٨ والاشتقاق ١٧٤ وسيرة ابن هشام وكتب طبقات الصحابة والموشح للمرزبانى

فقال : « لا حاجة لى به اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع تشبب بنساء اهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال فى طريقه :

أشوقاً ولما تمض لى غيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المطىُّ بنا شهرا

وما كنت أخشى مالكا أن يبيعنى بشىءٍ ولو أمستْ أناملُه صِفْرا

أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثَوَى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه ، فكان يشبب بنسائهم ، ويفحش غاية الفحش ، فقتلوه . وأخباره فى الاغانى ٢ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٢٤١ (*)

(*) وانظر الخزانة جـ أول ص ٢٧٢ ، والبيان والتبيين جـ أول ص ٧١ ، وقدطبعت دار الكتب المصرية ديوانه

سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون فى باب من الابواب التى تقدمت ، وان كانت تلك الابواب كثيرا ما تختلط اغراضها . . اذ لا يتفق ان يستقل شاعر أو بضعة شعراء بالحكم أو الفخر او الوصف او الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين فى بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة ، وبقى جماعة منهم لا يجتمعون فى باب . . وهم كثيرون نكتفى بذكر أشهرهم وخصوصا الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

١ ــ ابن الدمينة (*)

هو عبد الله بن عبيد الله احد بنى عامر من خثعم وأمه الدمينة من سلول ــ اشتهر بحديث امرأته حمادة ــ وذلك انه بلغه أن بعض اخواله من سلول يأتيها خلسة ، فرصده حتى أتاها فقتله وقتلها . على أنه قبل أن يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها فغضب واراد ان ينتقم منه ، فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها . . فذهب ابن الدمينة الى امرأته وسألها : « كيف عرف ذلك فيك ؟ » قالت : « وصفته له النساء » فغضب وقال : « والله ان لم تمكنينى منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته . وكان زوجها كامنا له . . فقام وقتله ضغطا على كبده حتى يخفى جريمته . لكن أهله تحققوا فعلته . وعشق فى أثناء ذلك امرأة من قومه اسمها أميمة وهام بها ، فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابيات :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتَّ بى من كان فيك يلومْ
وأبرزتنى للنـاس ثم تركتنى لهم غرضاً أُرْمَى وأنت سَليمُ
فلو أنقولا يَكْلِمُ الجسمَ قد بدا بجسمىَ من قول الوشاة كلومُ

فأجابها بمثل عتابها وهو ألطف أساليب العتاب : (**)

(*) أخطأ المؤلف فى عد ابن الدمينة من شعراء الجاهلية ، فهو اسلامى

(**) الغريب فى هذه الابيات : الحزازة : وجع فى القلب او هو الوجد ، وكليم : مجروح دلج الرى : السير بالليل ، وجون : سود ، والجلهتين : موضع ، جثوم : راقدة ، يقول انه كان يركب الخطر بالليل والطيور ساكنة فى اعشاشها ، الحفظه : اغضبه ، كظيم : غاضب

وأنت التى قَطَّعْتِ قلبى حَزازَةً ... وقَرَّحْتِ قرحَ القلب فهْو كَليمُ

وأنت التى كلَّفتنى دَلَجَ السُّرى ... وجُونُ القَطا بالجَلْهَتَيْنِ جثومُ

وأنت التى أحفظتِ قومى فكلهم ... بعيدُ الرضا دانى الصُّدود كظيمُ

ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهى عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون أجيالا ، واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى ... بها كبداً ليستْ بذات قُروحِ

ولابن الدمينة ديوان شعر منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وله اخبار فى الاغانى ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨ (*)

٢ ـ أوس بن حجر

هو من نمير أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين ، يقرنه بعضهم بالحطيئة وبالنابغة . قالوا : كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه النابغة وزهير ، فأصبح شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا مغرما بالنساء فخرج فى سفر ، وبينما هو فى أرض بنى أسد يسير على ناقته ليلا صرعته فاندقت فخذه ، فظل فى مكانه لا يستطيع انتقالا حتى خرجت بنات الحى يجتنين الكماة .. فبصرن بالناقة ورأين أوسا ملقى ففزعن ، فنادى احداهن وسألها عمن هى ، فقالت : « حليمة بنت فضالة » وكان يعرف اباها ، فدفع اليها حجرا وقال : « اعطى هذا الى أبيك ، وقولى له ابن هذا يقرؤك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى بيته وعالجه ، فنظم فيه أوس مدائح كثيرة وأحب ابنته ونظم فيها ، ثم توفى فضالة فرثاه أحسن الرثاء ، منه قوله : (**)

أيتها النفسُ أجْملى جَزَعا ... إن الذى تحذرين قد وقعا

إن الذى جَمعَ السماحة والنـ ... ـجدة والحزم والقُوَى جُمِعا

المُخلِفُ المتلفُ المرزَّأ لم ... يُمْتَعْ بضعفٍ ولم يمت طبِعا

أودَى وهل تنفع الإشاحةُ من ... شىءٍ لمن قد يحاول النزعا

ولأوس بن حجر ديوان طبع فى فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . وأخباره فى الاغانى ٦ج ١٠ ،

(*) طبع ديوان ابن الدمينة بالقاهرة وانظر حماسة ابى تمام فى مواضع متفرقة ، والبيان والتبيين ، ومعاهد التنصيص ج اول واللآلىء ١٣٦ وامالى المرتضى « الفهرس » ودائرة المعارف الاسلامية .

(**) الغريب فى هذه الابيات : جمع فى اخر البيت الثانى : مات ، المرزأ : المصاب فى ماله لكثرة ما يجود به ، يمتع : يصاب ، والطبع بكسر الباء : الدنس اللئيم ، الاشاحة : الجد فى طلب الامر ، النزع : النزوع فى طلب الحاجة

والشعر والشعراء ٩٩ ،وخزانه الادب ٢٣٥ ج ٢ (*)

٣ — المتلمس

توفى سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد ، واليه تنسب صحيفة المتلمس كما مر فى حديثه مع طرفة وعمرو ابن هند صاحب الحيرة . ولهذه الحكاية مثال فى تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفنت (١) فلما علم المتلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم فى ترجمة طرفة رماها فى النهر قرب الحيرة وهرب الى الشام ولحق بملوك آل غسان ، ونظم فى ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته ، وكان قد استحث طرفه على رمى ورقته بقوله : (**)

ألْقِ الصـــحيفةَ لا أبا لك إنه يُخشى عليك منالحِباء النِّقرِسُ

فلما بلغه انه قتل بها قال :

عصـــانى فما لاقى الرشاد وإنمـــا تَتَبيَّن من أمر الغوىِّ عواقبـــه

فأصبح محمـــولا على آلة الرَّدَى تمجُّ نجيعَ الجوف منه تَرائبـــه

ونظم فى هجو عمرو بن هند قصـــيدة طويلة هى من خيرة شـــعره مطلعها :

يا آل بـــــكرٍ ألا لله أمـــــكمُ طال الثواءُ وثوبُ العجز ملبوسُ

وأقام المتلمس فى حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه افراط فى الفخر من قصيدة عاتب بها خاله الحارث اليشكرى :

أحارثُ إنا لو تُســاط دماؤنا تزايَلْنَ حتى لايمسَّ دمٌ دما

يريد أن دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها ، ومنها :

وكنا إذا الجبــار صَعَّر خَــدَّه أقمنــا له من مَيْــله فتقــوَّما

لذىالحلم قبل اليومماتُقرعُ العصا وما عُلِّم الانســان إلا ليعلمــا

ولو غير أخــوالى أرادوا نقيصتى جعلتُ لهم فوق العَرانين مِيسما

(*) وانظر فى أوس الموشـــح للمرزبانيومصادر جابر ناشر ديوانه ويذكر الجاحظفى الجزء السادس من الحيوان ان شعرهاختلط بشعر شريح بن اوس وراجع دائرة المعـــارف الاســــلامية وكتاب فى الادب الجاهلى لطهحسين

(١) شعراء النصرانية ٣٣٠

(**) الغريب فى ابيات المتلمس : الحباء : العطاء ، النقرس : مرض يصيب المفاصل . تمج : تلفظ ، والنجيع : الدم السائـل ، تساط : تخلط ، تزايلن : افترقن وتمايزن ، صعر خده : أماله كبرا ، العرانين : جمع عرنين وهو اول الانف ، والميسم : العلامة ، المستعمل : الطريق ، والقذف البعيـــد ،والعيس الابل

ومما يتمثل به من شعره قوله :

وأعلمُ علم حقٍ غير ظَنٍ ... وتقوى الله من خير العَتَاد

لحفظُ المال أيسرُ من بُغاه ... وضَرْبٌ فى البلاد بغير زادِ

وإصلاحُ القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثيرُ على الفساد

وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع قصيدته :

كم دون مَيَّةَ من مستعمَلٍ قَذِفٍ ... ومن فلاةٍ بها تُستودَعُ العِيسُ

وقد جمع شعر المتلمس فى ديوان منه نسختان خطيتان فى دار الكتب المصرية وأخباره فى الاغانى ١٢٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٨٥ ، وحياة الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ ، وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ ، والجمهرة ١١٣ ، وشعراء النصرانية ٣٣٠ ، والحماسة وشرحها ، ومعجم البلدان ، ولسان العرب . وغيرها (*)

٤ ـ المثقب العبدى

توفى سنة ٥٨٧ م

هو عائذ بن محصن بن ثعلبة من ربيعة ، وكان فى جملة الذين كانوا يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله فى وصف راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند عَانٍ لفؤادٍ صَدِ ... من نَهْلةٍ فى اليوم أو فى غد (**)

وله قصيدة يمدح بها عمرا المذكور مطلعها :

أفاطمَ قبل بينكِ ودِّعينى ... ومَنْعُكِ ما سألتُ كأن تبينى

ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة فى وصف ناقته :

كأن مواقعَ الثَّفِنات منها ... معرَّسُ باكرات الوِرْدِ جُون

الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرماح

وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسنٌ قولُ نَعَمْ من بعد لا ... وقبيحٌ قولُ لا بعد نَعَمْ

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين والخزانه ح ٣ ص ٧٣ والمؤتلف ص ٧١ والاصمعيات والموشح للمرزبانى والعينى فى شرح الشواهد الكبرى ومعجم البلدان ج ٧ ص ٢٠٨ وأمالى المرتقى ج ا ص ١٨٣ ـ ١٨٥ ودائرة المعارف الاسلامية وقد طبع ديوانه

(**) الغريب فى ابيات المثقب : عان : من العناء ، صد : عطشان ، تبينى : من البين اى البعد . الثفنات : مواصل الدراعين والعضدين من باطن وهى التى على الارض منها اذا بركت ، والجون : السود ، والمعرس : مكان النزول اخر الليل ، وباكرات الورد : القطا يبكرن بالورود الى الماء . شبه ما مس من الارض من ناقته بتعريس القطا فى منازله

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية واخباره فى الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ج ٤ ، وشعراء النصرانية ٤٠٠ (*)

٥ ــ المنخل اليشكرى

توفى سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من يشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقل كان ينادم النعمان مع النابغة الذبيانى ، ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة على شعره ، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامرأته وأمر بقتله فقتل ، ويقال انه دفن حيا . والعرب تضرب المثل به كما تضربه بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره أبيات من قصيدة له فى الفخر مطلعها :

إن كنت عاذلتى فسِيرى ... نحو العراق ولا تَحُورى

الى أن يقول :

ولقد شربت من المُدا ... مة بالصغير وبالكبير

فإذا انتشيت فإننى ... ربُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدير

وإذا صحوت فاننى ... ربُّ الشُّوَيْهَةِ والبعير

واخبار المنخل فى الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٢٣٨ ، وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ ــ كعب بن زهير

توفى سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ، ولكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام لانه من المخضرمين . وكان هجا الرسول ثم جاءه واسلم ، ومدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها : (**)

بانتْ سعادُ فقلبى اليوم مَتْبُول ... مُتَيَّمٌ عندها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

وهى من المشوبات .. ولما أقبل على النبى وطلب الامان انشده اياها والمجلس حافل بالصحابة من قريش وغيرهم ، فلما وصل الى قوله :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والمفضليات للضبى ارقام ٢٨ ، ٧٦ ، ٧٧

(**) الغريب فى ابيات كعب بن زهير : بانت : فارقت ، المتبول : السقيم من الحب ، المكبول : المقيد ، زولوا : هاجروا ، النكس : الضعيف ، كشف : جمع أكشف وهو من لا يحمل ترسا ، والخور : الضعفاء ، معازيل : جمع معزول : من لا سلاح معه

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فمازال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا خور معازيل

اشار الرسول الى الناس أن يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد خلع الرسول عليه بردته وهى التى تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت هذه القصيدة مرارا بمصر وأوربا ، وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزى وغيرهما فى العصور المختلفة الى الآن . ومن الاصل والشروح نسخ كثيرة فى مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها . وشطرها غير واحد مما يطول شرحه . وأخبار كعب فى الاغانى ١٤٧ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٥٨ ، و ٦٧ ، والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها (*)

٧ ـ معن بن أوس

توفى سنة ٢٩ هـ

هو معن بن اوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من المخضرمين وله مدائح فى جماعة من الصحابة ، ووفد على عمر بن الخطاب مستعينا به على أمره وخاطبه بقصيدته التى أولها :

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بنائم

ويقال انه لقى معاوية ايضا ، وكان معاوية يفضل مزينة فى الشعر ويقول : « كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير » وأشعر أهل الاسلام منهم : وهما ابنه كعب ومعن بن أوس . وكان معن مئنانا ، يحسن صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامنى قطيعتها تلك السفاهة والظلم
فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يحاول رغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أن يحل به رغم
فما زلت فى لين له وتعطف عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وله ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٩٠٣ ، واخباره فى الاغانى ١٦٤ج

---

(١) راجع تاريخ البردة النبوية فى تاريخ التمدن الاسلامى ١١٥ ج ١ « طبعة ثالثة »
(*) طبع ديوان كعب فى دار الكتب المصرية وانظر اخباره فى السيرة النبوية لابن هشام . وفى كتب التاريخ وطبقات الصحابة ـ وراجع دائرة المعارف الاسلامية

١٠ ، وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣ (*)

٨ ـ الباقى من هذه الطبقة

وفى هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم، وفيهم بضعة من الفحول . ولكن اكثرهم مقلون ، فنكتفى بأسمائهم مرتبة حسب الحروف الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التى يمكن الرجوع اليها فى معرفة أخبارهم :

اسم الشاعر	المصادر
٨ ـ كثير بن الغريرة من تميم شاعر مخضرم	الاغانى ٩٧ جـ ١٠
٩ ـ أبو خراش الهذلى من هذيل	« ٣٨ جـ ٢١
١٠ ـ أبو ذؤيب « « من أصحاب المراثى	« ٥٨ جـ ٦ والشعر والشعراء ٤١٣
١١ ـ ابو زبيد الطائى كان يزور عثمان	« ٢٤ جـ ١١ « « ١٦٧
١٢ ـ أبو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	« ١٦٧ جـ ٢٠
١٣ ـ الاسود بن يعفر من تميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٣٤ والاغانى ١٣٤ جـ ١١ والخزانة ٩٥ جـ ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥
١٤ ـ جران العود (١)	الشعر والشعراء ٤٥٠
١٥ ـ الحادرة المازنى (٢) شاعر مقل	الاغانى ٨٢ ج ٣
١٦ ـ حنظلة الطائى صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ ـ خزيمة بن نهد من قضاعة شاعر قديم	الاغانى ١٥٩ ج ١١
١٨ ـ ربيعة بن مقروم من ضبة	« ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣
١٩ ـ سويد بن أبى كاهل من يشكر	« ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ ـ عدى بن زيد العبادى من تميم من أصحاب المجمهرات شاعر ، كاتب كسرى	« ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ١١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ ـ عدى بن نوفل من قريش شاعر مقل	« ١٣٥ ج ١٣
٢٢ ـ عمرو بن شأس من أسد	« ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ ـ عمرو بن سعيد من قريش	« ٨٧ ج ٨
٢٤ ـ عمرو بن براقة شاعر قديم	« ١٣٠ ج ٢١

(*) وانظر نكت الهميان ٢٩٤ ، والبيان والتبيين « الفهرس » وحماسة ابى تمام وشرح التبريزى والاصابة وغيرها من كتب طبقات الصحابة

(١) له ديوان مطبوع

(٢) له ديوان خطى فى دار الكتب المصرية وفى المتحف البريطانى وطبع شىء منه فى ليدن سنة ١٨٥٨ « وقد طبع فى مصر »

اسم الشاعر	المصادر
٢٥ ـ عمرو بن قميئة من ربيعة	الاغانى ١٦٣ جـ ١٦ والخزانة ٢٤٩ جـ ٢ والشعر والشعراء ٢٢٢
٢٦ ـ عيينة بن مرداس شاعر مقل	« ١٤٣ جـ ١٩
٢٧ ـ غيلان الثقفى من أهل الطائف	« ٤٥ جـ ١٢
٢٨ ـ فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن الزبير	« ١٧١ جـ ١٠
٢٩ ـ كعب بن مالك من الخزرج مخضرم	« ٢٦ جـ ١٥ والخـزانة ٢٠٠ جـ ١
٣٠ـ لقيط بن يعمر الايادى شاعر جاهلى قديم (١)	« ٢٣ جـ ٢٠ والشعر والشعراء ٩٧
٣١ ـ المتنخل من هذيل شاعر فحل	« ١٤٥ جـ ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ جـ ٢
٣٢ ـ المَخبل السعدى من تميم مات أيام عمر	« ٤٠ جـ ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠ وخزانة الادب ٥٣٥ جـ ٢
٣٣ ـ الممزق العبدى (٤٨٠ م) شاعر قديم	الشعر والشعراء ٢٣٥
٣٤ ـ النمر بن تولب من عكل من أصـحاب المجمهرات	الاغانى ١٥٧ جـ ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣ والجمهرة ١٠٩
٣٥ ـ هدبة بن الخشرم (٢) من بادية الحجاز كان راوية الحطيئة	« ١٦٩ جـ ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤ وخزانة الادب ٨٤ جـ ٤
٣٦ ـ يزيد بن عبد المدان	شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة مع بيان اغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بأبيات او قصائد ومنهم كثيرون فى كتب الادب والحماسة والمجمهرات والمفضليات وغيرها

٩ ـ مآخذ الشعراء الجاهليين (*)

يحسن بنا أن نأتى على ذكر الكتب التى يمكن الطلاب الشعر التوسع بها فى معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، غير الدواوين التى تقدم ذكرها وغير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ، ونذكر هنا الطبعات التى عولنا عليها فى المصادر التى بين أيدينا مرتبة حسب الحروف الابحدية لتسهل المراجعة على المطالع :

(١) له ديوان فى مكتبة أيا صوفيا

(٢) عنه مقالة بالفرنسية لدوجات فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٥

(*) يمكن الرجوع أيضا الى ما أضفناه من مراجع فى تعليقاتنا ، وكذلك ينبغى الرجوع الى المراجع التى تذكرها دائرة المعارف الاسلامية ، فيمن تترجم لهم من الشعراء الجاهليين ، والمراجع الاخرى التى يذكرها بروكلمن فى تاريخ الآداب العربية

اسم الكتاب			سنة الطبع ومكانه
١ ــ اشعار الهذليين رواية السكرى	لندن	سنة	١٨٥٤
٢ ــ الاصمعيات	ليبسك	«	١٩٠٢
٣ ــ الاغانى لابى الفرج الاصبهانى ٢١ جزءا	بولاق	«	١٢٨٥
٤ ــ أمالى القالى	مصر	«	١٣٢٦
٥ ــ أمثال العرب للضبى	الاستانة	«	١٣٠٠
٦ ــ البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر	«	١٣١٣
٧ ــ جمهرة أشعار العرب لابى زيد بن ابى الخطاب	بولاق	«	١٣٠٨
٨ ــ جمهرة الامثال لابى الحسن العسكرى	بمباى	«	١٣٠٧
٩ ــ الحماسة لابى تمام وشرحها للتبريزى ٤ أجزاء	بولاق	«	١٢٩٦
١٠ ــ « للبحترى	بيروت	«	١٩٠٩
١١ ــ خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ أجزاء	بولاق	«	١٢٩٩
١٢ ــ سيرة الرسول لابن هشام ٣ أجزاء	بولاق	«	١٢٩٥
١٣ ــ شرح القصائد العشر للتبريزى	كلكته	«	١٨٩٤
١٤ ــ شرح المقامات الحريرية للشريشى	بولاق	«	١٢٨٤
١٥ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن	«	١٩٠٢
١٦ ــ شعراء النصرانية للاب شيخو ٦ اجزاء	بيروت	«	١٨٩٠
١٧ ــ طبقات الشعراء لاسكندر ابكاريوس	بيروت	«	١٨٥٨
١٨ ــ العقد الثمين فى الشعراء الستة الجاهليين	لندن	«	١٨٧٠
١٩ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ أجزاء	مصر	«	١٣٠٥
٢٠ ــ العمدة لابن رشيق جزءان	مصر	«	١٣٢٥
٢١ ــ قواعد الشعر لثعلب	ليدن	«	١٨٩٠
٢٢ ــ الكامل لابن الاثير ١٢ جزءا	مصر	«	١٣٠٢
٢٣ ــ الكامل للمبرد	مصر	«	١٢٨٦
٢٤ ــ الكشكول وعلى هامشه أدب الدنيا والدين	مصر	«	١٣٠٥
٢٥ ــ مجمع الامثال للميدانى مشروح	بيروت	«	١٣١٢
٢٦ ــ مصارع العشاق للسراج	الاستانة	«	١٣٠٨
٢٧ ــ معجم البلدان لياقوت الحموى ٦ أجزاء	ليبسك	«	١٨٧٠
٢٨ ــ معجم ما استعجم للبكرى جزءان	غوتنجن	«	١٨٧٧
٢٩ ــ المعلقات وشروحها	مصر	«	١٣١٩
٣٠ ــ المفضليات للمفضل الضبى	ليبسك	«	١٨٨٥
٣١ ــ نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الاستانة	«	١٣٠٢

ولا يخفى ان للمستشرقين عناية كبرى بالشعر العربى ، ولهم فيه أبحاث وانتقادات . واليك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القارىء يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التى كتبت بها مع مكان طبعها وسنته :

Ahlwardt, Ueber Poesie Poeetik der Araber, Gotha 1856.
Clouston, Arabian Poetry for English readers, Glasgow, 1881
Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Considération gén, sur le rythme natural du langue J.A. 1876.
Muir. Ancient Arabic Poetry; its genuinness & its Authenticity, J.R.A.S. 1879
Noeldeke, Beitroege Zur Kenntness der Poesie der alten Araber, Hanover 1864.
Slane, Le diwan d'Amrou 'L' Kais précédé de la vie de ce poète, Paris 1837.
Lyall, Translation of Ancient Arabic poetry, London 1887.
وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض طبع فى لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩.

١٠ ـ الخطابة فى الجاهلية (*)

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ، ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هى شعر منثور ، وهو شعر منظوم ، لكل منهما موقفه .. فالخطابة تحتاج الى الحماسة ، ويغلب تأثيرها فى أبناء عصر الفروسية واصحاب النفوس الابية طلاب الاستقلال والحرية مما لايشترط فى الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه ، لان كليهما اهل شعر وخطابة وأهل اباء واستقلال . ولذلك أيضا كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون فى الحطابة مع تقدمهم فى الشعر لغلبة الذل والضعف على طباعهم ، فتحول خيالهم الشعرى الى الشكوى والتضرع وانصرفت قرائحهم الى نظم المراثى والحكم.

أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر أهل الخيال الشعرى ، فأصبح للبلاغة وقع شديد فى نفوسهم .. فالعبارة البليغة تقعدهم أو تقيمهم بما تثيره فى خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا ، فاحتاجوا الى الخطابة فى الاقناع وتأليف الاحزاب ، وان غلب فى موضوعات خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب فى المجالس والاندية العمومية والخصوصية . وكانوا يخطبون وعليهم العمائم ، وهم وقوف فى أيديهم المخاصر ، ويعتمدون على الارض بالقسى ويشيرون بالعصى والقنا ، وقد يخطبون وهم جلوس

(*) انظر فى الخطابة الجاهلية كتاب فى الادب الجاهلى لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى ، وكتابنا « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » وكلمة خطيب فى دائرة المعارف الاسلامية

على رواحلهم (١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء أن ينظموا ، فيكون الواحد شاعرا وخطيبا .. فاذا غلب عليه الشعر سموه شاعرا أو الخطابة سموه خطيبا . والقبائل التى كثر خطباؤها هى غالبا التى كثر شعراؤها . ومن اقوالهم فى تاريخ الشعر والخطابة ، ان عبد القيس بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين . ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر القبائل ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية وفى معدن الفصاحة (٢) ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء ايضا فى اليمن لاختلاطهم بالفرس ، وكان الفرس أهل خطابة مثل العرب.

موضوعات الخطب

وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر . وكانوا يدربون فتياتهم عليها من حداثتهم (٣) لاحتياجهم الى الخطباء فى ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء فى حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب فى الجاهلية ، ولما جاء الاسلام صار الخطيب مقدما لحاجتهم اليه فى الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظرا لحاجة العرب الى الخطباء فى الوفود ، فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها ، وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن السنة

اما ايفاد الوفود فقد كان شائعا فى تلك العصور ، فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلاقات او للمفاخرة . ولم يكن للعرب دول تستوفد من قبلها ، ولكن المناذرة ملوك العرب فى العراق كانوا يذكرون فصاحة العرب بين يدى الاكاسرة وخصوصا كسرى أنوشروان فكان يميل الى مشاهدتهم .. فاتفق مرة أن النعمان خاطبه فى ذلك ، فطلب اليه ان يريه واحدا منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين او ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهاؤها ، ومنهم أكثم ابن صيفى ، وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم ، والحارث بن ظالم ، وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر ، وخالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر ابن الطفيل من بنى عامر ، وغيرهم . فقدموا على كسرى ، وخطب كل منهم بين يديه خطابا ذكره ابن عبد ربه مفصلا فى الجزء الثالث من العقد الفريد (*)

على أن عرب اليمن وشرقى جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى

---

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٣٩ ج ١

(٢) البيان ٤٢ ج ١ (٣) البيان والتبيين ٥٨ و ٩٨ ج ١

(*) المظنون أن وفود العرب على كسرى وخطابتهم بين يديه على هذا النحو الذى رواه ابن عبد ربه فى العقد الفريد من خيال القصاص

للشكوى من عماله هناك ، وكان غيرهم من العرب يفدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل ابو سفيان والد معاوية

وكانوا يفدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة فى البلقاء . ووفود وجهاء قريش على سيف بن ذى يزن فى اليمن بعد انتصاره على الحبشة .. وفدوا عليه للتهنئة بالنصر ، وكان فى جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبى . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبى بعد ان استتب له الامر ، فقد جاءه من كل قبيلة وجهاؤها وخيرة بلغائها للدخول فى الاسلام أو للاستفهام أو غير ذلك . ومن هذا القبيل ايضا وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة .. كوفود جبلة بن الايهم ، وعمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب ، ووفود أهل اليمامة على ابى بكر وغيرهم مما يطول شرحه

الخطباء

وجملة القول أن الخطباء كانوا كثيرين فى النهضة الجاهلية كالشعراء ، والغالب فيهم ان يكونوا امراء القبائل او وجهاءها او حكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب أو أكثر كما كان لها شاعر أو أكثر . واشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة من بنى اياد وقد ادركه الرسول فرآه فى سوق عكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول فى خطابه : « ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » (١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلى الذى يضرب المثل بفصاحته ، فيقال : « هو أخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد ابن زيد ، وزهير بن جناب . ومرثد الخير ، وغيرهم من سائر القبائل كالحارث بن كعب المذحجى ، وقيس بن زهير العبسى ، وذى الاصبع العدوانى ، وأكثم بن صيفى التميمى ، وعمرو بن كلثوم ، وغيرهم

وكانوا يتخيرون فى خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعانى المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين : الطوال ، والقصار . والقصار أكثر عددا لانهم كانوا يفضلونهم لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها فى الاعقاب ويسمونها بأسماء خاصة كالعجوز ، خطبة لآل رقبة ، والعذراء خطبة قيس بن خارجة ، والشوهاء خطبة سحبان (٢)

وتجد أمثلة من خطب الجاهلية أو أثناء الفتوح فى كتب الادب ، ولا سيما العقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والاغانى ونهج البلاغة (خطب على) وفى كتب المغازى والفتوح كفتوح الشام لابى اسماعيل البصرى ، وفتوح الشام للواقدى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبرى ، وابن الاثير ، وغيرها

---

(١) البيان والتبيين ١١٩ ج ١ (٢) البيان والتبيين ١٣٣ ج ١

١١ ـ الانساب فى الجاهلية (*)

للانساب فى عصور الجاهلية عند الامم القديمة شأن كبير ، اذ يكون للناس عناية عظمى فى حفظ انسابهم للتناصر على الاعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان فى ذلك حتى حفظوا أنساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ، ثم نسبوا أنفسهم اليها فلم يكن فى جاهلية اليونان اسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الالهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان فى أقدم أجيالهم .. فالطبقة التى تعرف عندهم بالبطارقة ، كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر

نسب العرب

العرب العدنانيون من حيث انسابهم يرجعون فى أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب بالانساب رغبة فى التناصر على الغرباء . وقد رتبت انساب العرب فى ست مراتب او طبقات ، اولها : الشعب ، ثم القبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالفخذ ، فالفصيلة . فالشعب هو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، ثم القبيلة وهى ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ، ثم العمارة وهى ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ، ثم البطن وهو ما انقسمت فيه أنساب العمارة مثل بنى عبد مناف ، وبنى مخزوم ، ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بنى هاشم ، وبنى أمية ، ثم الفصيلة مثل بنى ابى طالب ، وبنى العباس (١) .

وبالغ العرب فى الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض أجدادهم . والغالب أن ينتهى النسب بأحد آباء التوراة .. فاذا سئل احدهم مثلا عن الاندلس من بناها ، قال : « بناها اندلس بن يافث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون اسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقا ، فاذا عرض لهم رجل فقال : انا من بنى تميم مثلا انسبنى ، فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العمائر والبطون والافخاذ حتى ينتهى الى الفصيلة ، ومنها الى والد السائل او اليه هو نفسه

وكثر النسابون فى الجاهلية ، ولم تخل قبيلة أو عمارة او بطن من نسابة . ومن اشهرهم دغفل السدوسى من بنى شيبان ، وعميرة ابو ضمضم ، وابن لسان الحمرة من بنى تيم اللات ، وزيد بن الكيس النمرى ، والنخار بن أوس القضاعى ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (٣) ، وظل النسب محفوظا فى صدر الاسلام ، واشتهر كثير من النسابين ، فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليهم ومصطنعيهم

(*) انظر فى الانساب كتاب دراسات اسلامية لجولدتسهير جزء أول ص ١٧٧ . وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي جزء رابع ومصادره

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ١٩٤ (٢) ابن خلكان ١٤ ج ١

(٣) بلوغ الارب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

١٢ ـ الاخبار أو التاريخ فى الجاهلية

لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه الكلمة اليوم ، ولكنهم كانوا يتناقلون اخبارا متفرقة بعضها حدث فى بلادهم والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى (*) . فمن امثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب ، وقصة سد مأرب واستيلاء ابى كرب تبان اسعد على اليمن وبعض من خلفه ، وملك ذى نواس ، وقصة أصحاب الاخدود وفتح الحبشة لليمن ، وقصة أصحاب الفيل وقدومهم الى الكعبة وحرب ذى يزن الحميرى الى آخر ما انتهى اليه أمر الفرس فى اليمن ، وقصة عمرو بن لحى واصنام العرب وحكاية جرهم ودفن التماثيل فى زمزم ، وتاريخ الكعبة الى أيام قصى بن كلاب ، وولاية الحج وأمر عامر بن الظرب ، ثم ماكان من تغلب قصى على أمر مكة ، وقصة حلف المطيبين وحلف الفضول وحفر بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة .. غير أخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة ، وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من أخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التى كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

١٣ ـ الاسواق ومجالس الادب فى الجاهلية

١ ـ اسواق العرب

السوق مكان يجتمع فيه أهل البلاد أو القرى فى أوقات معينة ، يتبايعون ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال أمثال هذه الاسواق تقام الى اليوم فى القرى أو فى البلاد البعيدة عن التمدن الحديث ، على أن فى بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلا اسواقا تنعقد فى بعض أيام الاسبوع وتعرف بها ، كسوق السبت أو السبتية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء .. فيجتمع اليها الناس من الضواحى للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل أسبوع ، ومنها ما لاينعقد الا مرة فى الشهر أو فى السنة ، ومنها ما ينعقد مرة فى بضع سنين . فان للهنود سوقا يقيمونها فى هردوار على ضفاف الكنج كل سنة ، ويبلغ عدد المجتمعين هناك فى الموسم ٣٠٠,٠٠٠ نفس . ويقيمون فى ذلك المكان حجا مرة كل ١٢ سنة ، يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس ، وهو أكبر أسواق العالم . وأمثال هذه الاسواق كثيرة فى روسيا وتركيا والمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا . ففى روسيا سوق تقام فى مدينة نوفكرود مرتين

(*) اكثر ما تداوله العرب عن الجاهلية الاولى لبلادهم يعد من قبيل الاساطير ، وقد استطاع المستشرقون فى العصر الحديث أن يكتبوا تاريخ العرب كتابة علمية ، تعتمد على النقوش التى وجدوها منشورة فى اليمن وفى الشمال ، كما تعتمد على التوراة والكتب العبرانية والسوريانية واليونانية والرومانية . وبذلك دونوا التاريخ الجاهلى تدوينا صحيحا . أنظر فى ذلك تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الفصل الاول من الجزء الاول

فى السنة ، يبلغ عدد الذين يؤمونها ١٢٠٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقى أوربا . ويقدرون قيمة ما يباع من البضائع فى أسواق روسيا بنحو ١٢٠٠٠٠٠٠٠ روبل فى العام ، وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى .

وقد كان كثير من امثال هذه الاسواق فى العالم القديم ، ولكن الاقوام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجا دينيا . فاذا اجتمع الناس فى مكان الحج وتكاثروا ، احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية ، كذلك كان شأن العرب فى سوق عكاظ وغيرها من أسواق الجاهلية .

وكان للعرب فى الجاهلية اسواق يقيمونها فى أشهر السنة ، وينتقلون من أحداها الى الاخرى .. يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد ، فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل فى أعالى نجد أول يوم من شهر ربيع الاول ، فيقيمون فيها الاسواق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر .. فيقيمون هناك شهرا ويرتحلون منها الى عمان حيث يقيمون سوقا ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن ، وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون بعض أسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ فى الاشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى فى صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

وأشهر أسواق عرب الجاهلية سوق عكاظ ، وهى مكان بين الطائف ونخلة ، صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التى كانت لاهل الجاهلية ، وبها من دماء البدن ، كالارحاء العظام (٢) .. فكانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذه السوق من أول ذى القعدة ، يبيعون ويشترون ، الى عشرين منه ، ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا سوق عكاظ ، فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية ، ومن كان له أسير سعى فى فدائه هناك ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة فى ايام الموسم وهم أناس من تميم . ومن كان له ثأر على أحد ولم يعرف مكانه ، طلبه فى المواسم .. واذا أراد أحد أن يعمل عملا تعرفه العرب أو يشهدها فيه ، عمله فى عكاظ (٣) واذا أراد أن يفاخر احدا على مشهد من الناس فاخره هناك . وكانوا يتفاخرون حتى فى المصائب ، كما تقدم عن معاظمة الخنساء وهند بنت عتبة

ويهمنا فى هذا المقام أن العرب كانوا يغتنمون وقت المواسم واجتماع القبائل ويقيمون مجالس للبحث فى كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة ، فينشد الشعراء ويخطب الخطباء .. فيختارون كبيرا من وجهائهم يجعلونه حكما فيا يختلفون فيه . وكان النابغة الذبيانى اذا أتى سوق عكاظ فى الموسم

---

(١) نهاية الارب (٢) معجم البكرى ٦٦٠
(٣) الاغانى ٢ ج ١٣

ضربوا له قبة حمراء من ادم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها (١) ليحكم فيها . ويقال انهم كانوا اذا أعجبتهم قصيدة علقوها فى الكعبة ، ومنها المعلقات السبع

وشأن العرب فى ذلك شأن اليونان القدماء فى الجمناسيوم ، وهى أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء .. فكانوا يغتنمون فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب فى عكاظ (٢) . ولا يخفى ما فى ذلك من تمحيص الحقائق واستحثاث القرائح ، فضلا عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها .. فان قريشا كانوا يسمعون لغات القبائل فى أثناء تلك الاجتماعات ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ كالكشكشة والكسكسة والعنعنة والفحفحة والوكم والوهم والعجعجة والاستنطاء وغير ذلك من العيوب فى لغات الامم الاخرى (٣)

٢ ــ مجالس الأدب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث فى بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ، ومنها نادى قريش ودار الندوة بجوار الكعبة . وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (٤) ، ولكل قوم مجتمع عام فى المضارب (٥) ، على انهم كانوا حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد أخبار أسواق العرب وأماكنها فى جملة التاريخ الجاهلى . وفى كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية ، وخصوصا معجم البلدان لياقوت الحموى، ومعجم ما استعجم للبكرى ، وصفة جزيرة العرب للهمذانى ، وكلها مطبوعة. فضلا عما جاء من أخبارها فى الاغانى ٩ ج ١ و ٦١ ج ٢ و ٢٢ و ١١٠ و ١٣٦ ج ٤ و ٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و ١٢ و ٢٩ و ١٤٨ ج. ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و ٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج١٩. وفى السير النبوية وغيرها (*)

---

(١) الشعر والشعراء ١٩٧
(٢) Lit. Gr. 132
(٣) المزهر ١٠٩ ح ١
(٤) الاغانى ٥٢ ج ٢
(٥) ١٢٩ ج ١١
(*) انظر أيضا فى أسواق العرب تاريخ اليعقوبى « طبع ليدن » جـ ١ ص ٣١٣ ومابعدها ، والمحبر لابن حبيب « طبع حيدر اباد » ص ٢٦٣ وما بعدها

العلوم الطبيعية

١ ـ الطب

الطب من جملة العلوم التى اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ، ويقال انهم اول من بحث فى علاج الامراض .. فكانوا يضعون مرضـاهم فى الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم أحد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسبب شفائه ،فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها فى الهياكل . ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة أعمال الكهان . وعن الكلدان أخذت سائر الامم القديمة ، وفى جملتها العرب . وهـو متشـابه عنـد الامم ، فى مصر وفينيقيـة وأشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فأتقنوه ورتبوا أبوابه ، وعنهم أخذ الرومان والفرس . ونظرا لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئا من طبها اضافوه الى ما جاءهم به الكلدان ، والى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار. فتألف من ذلك ماعبرنا عنه بالطب فى الجاهلية . ولا يزال كثير منه الى اليوم فى قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان : الاولى طريقة الكهان والعرافين ، والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر او بذبح الذبائح فى الكعبة والدعاء فيها أو بالتعزيم او نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقى شائعا فى الامم القديمة كلها ، وقد وجدوا فى الآثار المصرية كثيراً من العزائم التى كانوا يصـفونها لمعالجة المرضى . وجاء فى أخبارهم أن كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحـدهما يحمل كتاب العزائم ، والثانى يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين معا . وكانوا يوجهون كلامهم فى العزيمة او الرقية الى حد آلهتهم وخصوصا ايزيس وأوزيريس ورع ، ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند مناولتها للمريض . فمن امثلة العزائم التى كانوا يتلونها عند تناول الدواء : « هذا هو كتاب الشـفاء لـكل مريض ، فهل لايزيس أن تشفينى كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من ست حينما قتل أباه أوزيريس ؟ فياايزيس أنت الساحرة الكبيرة اشفينى وخلصينى من كل شىء مكدر ردىء شيطانى ومن أمراض اللبسة والامراض القاتلة والخبيثة بأنواعها التى تعترينى كما خلصت ابنك حوريس ... » (١) وكان عندهم عزائم لاخراج الارواح الشريرة التى تسبب الامراض فى زعمهم

---

(١) بغية الطالبين ٢٥٨

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاخراج الجان أو الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير ، يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء وأن شرب دماء الملوك يشفى من الخبل

وأما معالجتهم بالعقاقير فشبيهة بما كان عند المصريين وغيرهم من الامم القديمة ، فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشربة وخصوصا العسل .. فانه كان قاعدة العلاج فى أمراض البطن ، على أن اعتمادهم فى معالجة الامراض كان معظمه عائدا الى الجراحة كالحجامة والكى . ومن اقوالهم : « كل داء يحسم بالكى آخر الامر .. وآخر الطب الكى » . وكثيرا ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر ، والغالب أن يكون ذلك بالنار .. فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا أرادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو أخى الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة ، فاحموا له شفرة وقطعوها (١)

وكانوا يعالجون الحول فى البصر بادامة النظر الى حجر الرحى فى دورانه ، ويزعمون أن العين تستقيم به . ومن معالجتهم التى نعدها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات (٢) واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماء حارا (٣)

٢ ــ الاطباء

وأما الاطباء فقد كانوا فى أول الامر من الكهنة ، ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس ، وأخذوا الطب عنهم ، فاشتهروا بهذه الصناعة وأكثرهم من أهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالى القرن السادس للميلاد .. على أن بعضهم أقدم من ذلك كثيرا ، واقدم اطبائهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم . وفى أصله وزمن وجوده اختلاف . يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحذق فى الطب ، فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك : « أطب من ابن حزيم » وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكمُ فيها إلى فاننى بصيرٌ بما أعْيَا النطاسىَّ حزيما

ومن أحدث اطباء الجاهلية الحارث بن كلدة ، توفى سنة ١٣ للهجرة . وهو من بنى ثقيف من اهل الطائف ، رحل الى أرض فارس وأخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده واقام فى الطائف . ونال شهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه . ومنهم ابن ابى رومية التميمى والنضر بن الحارث بن كلدة

---

(١) الاغانى ١٣٧ جـ ١٣
(٢) الاغانى ١٣١ ج ١٤
(٣) الاغانى ٣٢ جـ ١٠

واكثر هؤلاء الاطباء ثقفوا الطب من بلاد الفرس او الروم ، وبعضهم أخذه عن الكهان او الاحبار من الاديار ونحوها . وربما اخذوا عنهم شيئا من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر أن بعضهم كان يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح ، وأشهر جراحى الجاهلية ابن أبى رومية التميمى المتقدم ذكره ، فقد كان جراحا مزاولا لاعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والامراض والعقاقير ، أن العرب عرفوا كثيرا من الامراض ومعالجتها (*) وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من احوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح ، وهم يعبرون عنه بخلق الانسان . وقد ألف أدباء المسلمين كتبا كثيرة فى هذا الموضوع نقلا عن العرب سيأتى ذكرها بين مؤلفات اهل اللغة. والمتأمل فيما حوته من أسماء الاعضاء وأوصافها يتبين له أن أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء ، لان عندهم لكل عضو اسما ووصفا من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات ، الى الشعر وأقسامه وألوانه .. فالاذن وما تركبت منه وأقسامها .. فالوجه وما تركب منه .. فالحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم .. والعين واصنافها وطبقاتها ومجارى دمعها ، وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تركب منه وبيان أقسامه . والفم وما تركب منه . والاسنان وعددها وأسماء أصنافها وأجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التى فى اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللغاديد والحنجرة والفلصمة والبلعوم والحلقوم . واللحيين ، وبيان محلهما وأسماء ماتركبا منه . واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق ، وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع وأسماؤها وأجزاؤها . والظفر وأقسامه وأسماؤه. والصدر وما تركب منه . والجنبان وعدد اضلاعهما ، وأسمائها ، وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى ، وكذلك سائر الاعضاء . وقد توسعوا فى بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة أسماء وتجد نتفا من الطب الجاهلى فى العقد الفريد والاغانى والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ، ويستخرج شيء كثير من أشعارهم

(*) ينبغى ألا نبالغ فى معرفة عرب الجاهلية بالطب ، فان ما كان عندهم من ذلك لا يتجاوز ملاحظات أولية بسيطة ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : « للبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج . وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث ابن كلدة وغيره »

٣ ــ البيطرة والخيل وعلوم طبيعية أخرى (*)

وكان للعرب معرفة حسنة فى شئون الخيل وأحوالها لم يسبقهم اليها سواهم ، لعنايتهم بأفراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من أطباء الحيوان ، منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل فى أفراد منهم الى اليوم ، وهم يجولون فى البادية يعالجون الخيل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة فى صدر الدولة العباسية ، ووضعوا الكتب فيما جمعوه من هذا العلم . وخصص الالوسى صاحب بلوغ الارب فصلا فى هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه ، ذكر فيه كثيرا من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلا عن كتاب الخيل لابى عبدالله الاسكافى

وقد ألف الادباء كثيرا من الكتب فى الخيل ، وهى ترمى الى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتى ذكرها

ومن المعارف الطبيعية التى توصلوا اليها :

أولا ــ استنباط الماء ويسمونه الريافة ، فانهم كانوا يعرفون وجود الماء فى مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك

ثانيا ــ الاهتداء فى البرارى بأمارات يعرفونها بالاتربة او بالنجوم

ثالثا ــ نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية

رابعا ــ الملاحة وقد اضطروا الى معرفتها لاسفارهم الى الهند والحبشة للاتجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب فى أحوال العرب للالوسى ، وهو المطبوع فى بغداد سنة ١٣١٤

٤ ــ الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ، ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة الى طلوع الكواكب أو غروبها . ولذلك كان علم الانواء فرعا من علم النجوم ، وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها أى نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحا وتأثير السقوط نوءا . ومن طلوع كل واحدة منها الى طلوع التى تليها ثلاثة عشر يوما سوى الجبهة ، فان بين طلوعها وطلوع التى تليها ١٤ يوما . ومن أقوالهم فى ذلك :

والدهرُ فاعلم كله أرباعُ ... لكل ربع واحدٍ أسباعُ
وكل سبعٍ لطلوع كوكبِ ... ونَوْءِ نجم ساقطٍ فى المغربِ

(*) أنظر أيضا البيطرة عند الاعراب فى مجلة المشرق ج أول عام ١٨٩٨ للاب انستاس الكرملى . ويظن هل G. Hell كاتب مادة بيطرة فى دائرة المعارف الاسلامية أنه كان فى العصر الجاهلى بياطرة جوالون ، نزحوا من الامبراطورية البيزنطية وبلاد الشام الى الجزيرة العربية

ومن طلوع كل نجمٍ يطلعْ الى طلوع ما يليه أربعُ
من الليالى ثم تسعٌ تتبع

ثم اختلفوا فيها ، فزعم بعضهم أن كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى طلوع التى تليها فهو منسوب اليها . وزعم آخرون أن لطلوع كل واحدة وسقوطها مقدارا من الزمن ينسب اليها مايكون فيه ، فاذا انقضت تلك المدة لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه شيء فى تلك الأزمنة قالوا : خوى النجم أو خوت المنزلة يعنون بذلك انه مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر أو حر أو برد او ريح (١) ومن أمثالهم « أخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط فى ذلك الوقت ، فيقولون مثلا مطرنا بنوء المجرة أو هذا نوء الخريف ومطرنا بالشعرى . وقالوا : ان النوء سقوط نجم ينزل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه فى الشرق من أنجم المنازل ، ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءا أو نجما ، كانوا يعتقدون أنها هى علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفى أشعارهم أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجو أو فصول السنة باقترانات الكواكب أو طلوعها ، وقد نظموها شعرا ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة عندهم ، ومن ذلك قولهم :

إذا ما قارن القمر الثريا لثالثةٍ فقد ذهب الشتاء

وقول الآخر :

إذا ما البدر تمّ مع الثريا أتاك البردُ أوله الشتاء

وقول الآخر :

اذا ما قارن الدبران يوماً لأربع عشرةً قمرَ التمامِ
فقد حفّ الشتاء بكل أرض فوارسُ مؤذناتٌ باحتدامِ
وحلّق فى السماء البدر حتى يقلّص ظل أعمدة الخيامِ
وذلك فى انتصاف الليل شطراً ويصفو الجو من كدر الغمامِ

وقول الآخر :

إذا ما هلالُ الشهر أول ليلةٍ بدا لعيون الناس بين النعائم (٣)
أتتك رياح القرّ من كل وجهةً وطاب قبيل الصبح كورْ العمائم

---

(١) الاثار الباقية للبيرونى ٣٣٩ (٢) مجمع الامثال للميدانى ٢٠٢ ج ١
(٣) النعائم : من منازل القمر

وقول الآخر :

وقد برد الليلُ التمام بأهله وأصبحت العوّاءُ للشمس منزلا(١)

وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك فى الطقس على اعتقادهم • ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم فى أعمال البشر على ما كان عند الكلدان ، (٢) على أنهم كثيرا ما كانوا يستدلون على المطر ايضا بألوان الغيوم وأشكالها فأقل الغيوم مطرا عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء . ومن اقوالهم : « السحابة البيضاء جفل والحمراء عارض والسواد هطلة » (٣)

وكان العرب فى حاجة الى معرفة مهاب الرياح للاهتداء فى أسفارهم ، ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء .. ولكنهم اختلفوا فى عدد جهاتها فحسبها بعضهم ستة والبعض الآخر اربعة . فهى عند أصحاب القول الثانى : ١ ـ مهب الصبا من الشمال ٢ ـ مهب الشمال من الغرب ٣ ـ مهب الدبور من الجنوب ٤ ـ مهب الجنوب من المشرق • ويزيد عليها اصحاب القول الاول النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب ، واليك قول ذى الرمة فى ذلك : (*)

أهاضيبُ أنواءٍ وهيفان جرّتا على الدار أعرافَ الحبال الأعافرِ

وثالثة تهوى من الشام حرْجَفٌ لها سَنَنٌ فوق الحصى بالأعاصر

ورابعة من مطلع الشمس أجفلتْ عليها بدَقْعاء المِعا فقُراقر

فحنّتْ بها النُّكْبُ السوافى فأكثرت حنينَ اللقاحِ القاربات العواشر (٤)

وتجد أمثلة من هذا الموضوع فيما يأتى ذكره من الكتب التى تبحث فى الفلك

---

(١) البيرونى ٣٣٧ . والعواء : من منازل الشمس والقمر

(٢) Rawlinsons Ancient Monarchies 111.425.

(٣) الميدانى ١٠٩ ج ٧

(*) الغريب فى هذه الابيات : أهاضيب : أمطار ، وهيفان . جمع هيف وهى الريح الحارة ، والحبال : الرمل ، واعرافها : أعاليها ، والاعافر : الحمر ، ثالثة : ريح شمال باردة ، حرجف شديدة ، سنن : طريق ، الاعاصير : جمع اعصار ، الرابعة هنا : الصبا ، أجفلت ، تحركت واسرعت ، دقعاء : غبار ، والمعاوقراقر : موضعان ، النكب : رياح تهب منحرفة ، السواف : تسفى التراب ، اللقاح : التى ولدت ، القاربات : بريد من الماء ، العواشر : التى ترد العشر

(٤) البيرونى ٣٤٠

العلوم الرياضية

١ ـ الفلك والنجوم

معظم هذه العلوم دخيل على العرب ، اقتبسوه من الامم الاخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم او التقوا بهم فى أسفارهم ، وأكثر اخذهم عن الكلدان . فقد اخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الابراج . ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند انفسهم أو مما وصل اليهم من طريق الهند او غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدينون بعلم النجوم للكلدان ، وهم يسمونهم الصابئة . والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم ، فهم خلفاؤهم او تلاميذهم . (١) وكان الصابئة كثيرين فى بلاد العرب ، ولهم مثل منزلة النصارى ، فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه ، وان كان معظم اسماء السيارات لايرد الى أصله الكلدانى .. فربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلدانى ظاهرا فيه كالمريخ مثلا ، فانه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظا ومعنى . ولكن معظم تلك الاسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها ، وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه فى العربية الارتفاع والعلو ، وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار فى الكلدانية . وأما الابراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظا ومعنى . واليك أسماء الابراج عند كليهما :

اسماؤها العربية	اسماؤها الكدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكدانية
الحمل أو الكبش	امرا	الميزان	ماسانا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء او التوأمين	نامى	القوس او الرامى	قشتا
السرطان	سرطان	الجدى	كديا
الاسد	اريا	الدلو	دولا
السنبلة	شبلتا	الحوت او السمكة	نونا

---

(١) مختصر الدول ٢٦٦

وأما منازل القمر والشمس ، فقد تبدل بعض اسمائها على نحو ما أصاب السيارت . ولكن العبرة بالاكثر فى قواعد هـــذا العلم ومصطلحاته ، فانها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماما حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد أبدلته الامم الاخرى التى أخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب والعبرانيين

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة ، فقد رأيت أنهم عرفوا الســـيارات والابراج ، وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت . ولهم فى ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين فى الامم الاخرى (١) . وفى قدم أسماء تلك النجوم فى العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل : بنات نعش الكبرى والصغرى ، والسها ، والظباء ، والربع ، والرابض ، والعوائذ ، والذئبين ، والنثرة ، والفرقد ، والقدر ، والراعى ، وكلب الراعى ، والاغنام ، والرامح ، والسماك ، وعصا الضياع ، وأولاد الضياع ، والسماك الرامح ، وحارس السماء ، والاظفار ، والفوارس ، والكف المخضب ، والخباء ، والعيوق ، والعنز ، والجديين ، وغيرها

أما منازل القمر ، فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فانها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده أولئك ، اذ كان مرادهم منها معرفة أحوال الهواء فى الازمنة وحوادث الجو فى فصول السنة ، لأنهم كانوا أميين فلم تمكنهم معرفتها الا بشىء يعاين فأشاروا اليها بالكواكب كما رأيت فى الكلام على الانواء . واليك أسماء منازل القمر فى العربية وهى ٢٨ :

الثريا	الجبهة	الاكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
الهقعة	الصرفة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنعة	العواء	النعائم	الفرغ المؤخر
الدراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الغفر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الزبانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب اذا عدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب فى صدر الدولة العباسية فى براعة العرب فى علم النجوم . ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة ، فقد قال فى كتابه « تفضـــيل العرب على العجم » ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها . (٢) ومع اعترافنا بما فى ذلك من المبالغة ، فاننا نستدل منه على توسع العرب فى هذا العلم

---

(١) القزوينى على هامش الدميرى ٥٠ ج ١
(٢) البيرونى ٢٣٨

ولا غرابة فى اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها ، فانها كانت دليلهم فى أسفارهم وأكثر احوالهم .. فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدى الى البلد الفلانى ، قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير فى جهته حتى تجد المكان ، وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك ان سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادى أن يصف له منازل قومه ثم يصف هو له منازل قومه ، فتوافقا وتعاهدا الا يتكاذبا ، فقال قيس بن مكشوح : « خذ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدرى أين ظل الشجرة ، فاذا انقطعت المياه فسر أربعا حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق .. فانك ترد على قومى مراد وخثعم » فقال السليك : « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثم منازل قومى بنى سعد بن زيد مناة » واشتهر فى جاهلية العرب فى اتقان علم النجوم جماعة منهم : بنو مارية بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيبانى (١)

وقد ألف الادباء فى صدر الاسلام كتبا فى الانواء ضاعت . وتجد أشياء متفرقة فى كتاب الآثار الباقية للبيرونى ، والامثال للميدانى ، وعجائب المخلوقات للقزوينى ، وحياة الحيوان للدميرى (*) ، وكلها مطبوع ومتداول

٢ ـ الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم ايضا ما يعبر عنه الافرنج بالميثولوجيا ، وهى عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب ، وهى الالهة عندهم ، من الحروب او الزواج او نحو ذلك ، من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان .. فالعرب ألهوا الاجرام وعبدوها ، وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه (**) . على أننا نستدل عليه من بعض ما وصل الينا من أسماء أصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات اسم للزهرة ، وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعرى . وكانوا يتناظرون فى أفضلية بعضها على بعض ، قالوا : « وابو كبشة اول من عبد الشعرى ، وكان يقول الشعرى تقطع السماء عرضا ، ولا أرى فى السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر ، فقد كان معروفا عند العرب . ومن الاقاصيص الميثولوجية التى كانوا يتناقلونها أن الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها ، فأبت عليه وولت عنه وقالت للقمر : « ما أصنع بهذا السبروت الذى لا مال له ؟ » ، فجمع الدبران قلاصة يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامه يعنون القلاص .

---

(١) البيرونى ٢٤١

(*) أنظر فى المعارف الفلكية عند عرب الجاهلية ، كتاب علم الفلك عند العرب لنالينو ودائرة المعارف الاسلامية ، ومقدمة ابن خلدون

(**) انظر فى ذلك جواد على ج ٥ ص ١٢٠ و ص ٣١٧ وما بعدهما

(٢) الخميس ٦٥ ج ١

وان الجدى قتل نعشا فبناته تدور به تريده • وان سهيلا ركض الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها . وأن الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور ، فلما رأت الشعرى اليمانية فراقهـــا اياها بكت عليها حتى غمصت عينها فسميت الشعرى الغميصاء (١)

ومن هذا القبيل تأليههم بعض المشاهير من الملوك أو القواد أو الاسلاف واعتبار البعض الاخر من نتاج الملائكة أو الجان .. فعندهم مثلا أن بلقيس كانت أمها جنية وأن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان ذو القرنين عندهم أمة آدمية وأبوه من الملائكة (٢) ، وأما أصل هـــــذه الاعتقادات فاما هندى أو يونانى أومصرى.. أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية بأمثال ذلك

٣ ـ التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التى وصلت الينا اخبارها مما أرخوا بها عام الفيل ، اى هجوم الاحباش على مكة • وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى أنو شروان • وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومى . **وكان عندهم تاريخ يسمى** « زمن الفطحل » وهو أقدم ازمنتهم ، وفيه أقوال لا محل لها هنا (٣)

وكانت سنتها قمرية واشهرها ١٢ شهرا كما هى الان ، وكانوا يكبسون اى يزيدون أياما كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالى الفصول • ولهم فى الكبس طريقة ذكرها البيرونى قال : (*)

« وكذلك كانت العرب تفعل فى جاهليتها فينظرون الى فضـــل ما بين سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ســاعة وخمس ساعة بالجليل من الحساب ، فيلحقون بها شهرا كلما تم منها مايستوفى أيام شهر . ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة أيام وعشرون ساعة ، وتتولى ذلك النسأة من كنانة المعروفون بالقلامس ، وأحـدهم قلمس وهو البحر الغزير • وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع ابن حذيفة ، وكانوا كلهم نسأة . وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة ؛ وهو ابن عبد فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر من فعله أبو ثمامة

« وكان اخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتى سنة ، غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر •• فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لاتتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم ، الى أن حج النبى عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه

---

(١) الميدانى ٣١٢ جزء ٢
(٢) الدميرى ١٨ ج ٢
(٣) بلوغ الارب فى أحوال العرب ٢١٩ جزء ٣
(*) انظر فى الكبس او النسىء المحبر لابن حبيب ص ١٥٦ وجواد على ج ٥ ص ٢٣٩

السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن أقوالهم « الاحبـار فى اليهود ، والرهبان فى النصارى ، والكهان فى العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب ، فاذا استطبـه مريض من ألم أو صداع عالجه بالرقى ، واذا استشاره فى معضلة خط له فى الرمل أو نفث فى العقد . واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح ، واذا استطلعه شخص أخذ قمقما جعله بين يديه ونفث فيـه ونحـو ذلك من الحركات الوهمية . واذا استفسره عن رؤيا تمتم وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة أتت العرب من بين النهرين ، فالكهان القدماء كانوا فى الغالب كلدانيين (أو صائبة فى قولهم) وكان العلم عندهم ، ثم ما لبث العرب أنفسهم أن أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على أن بعض العرب اقتصروا فيما تناولوه على علم دون آخر ، فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

الكهان

واشتهر فى بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ، أقدمهم شق وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان شق انسان (أى نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، وأن سطيحا كان لحما يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه فى صدره ، ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون ، الى غير ذلك من الاوهام . ومن الكهان الذين نبغوا فى النهضة العربية قبل الاسلام : خنافر ابن التوأم الحميرى ، وسواد بن قارب الدوسى ، وفيهم من يعرفون بما ينسبون اليه من البلاد أو القبائل .. كقولهم كاهن قريش ، وكاهن اليمن ، وكاهن حضرموت ، وغيرهم

ويقـال نحو ذلك فى العرافين ، وأكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبـائلهم كعراف هذيل ، وعراف نجد ، وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن حزام ببيت قاله فيه ــ وكذلك الشعراء يشهرون ممدوحيهم ــ وهو قوله :

أقول لعـرّاف اليمـامة داونى فانـك ان داويتنى لطبيـب

وأما الكواهن من النساء فانهن كثيرات منهن طريفة كاهنة اليمن ، وهى أقدمهن . واليها ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم ، وزبراء بين الشحر وحضرموت،وسلمى الهمدانية الحميرية،وعفيراء الحميرية، وفاطمة الخثعمية بمكة ، وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبن الى القبيلة أو المدينة ككاهنة بنى سعد ، يزعمون أنها أقدم عهدا من شق وسطيح وانها استخلفتهما (١) . وما زالت الكهانة فى العرب حتى جاء الحديث بابطالها وهو : « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

---

(١) السيرة الحلبية ٣٦ ج ١ (٢) كشف الظنون ٣٣٩ ج ٢

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصى يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلهم كانوا ينوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ البنجيم فى هذه الايام ، حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس فى فهم الكاهن . ومن أمثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمنى ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها : « ما شأنك يا طريفة » قالت : « خذوا البعير الشذقم فخضبوه بالدم تكن لكم أرض جرهم جيران بيته المحرم » (١)

٢ ــ القيافة وغيرها (*)

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة ، لكنها تختص بتتبع الاثار والاستدلال منها على الاعيان . وهى قسمان : قيافة الاثر ، وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من آثارها فى الرمال أو التراب على أصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس أو الضال من الحيوان ، وقد أتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وسائر احوالهما ، وهى من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة فى العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الاخر ، واشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج وبنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة الى اليوم فى بعض قبائل نجد ، مثل بنى مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف احدهم الانسان من اثره ، وربما نظر الى أثر بعير فقال هذا بعير فلان . وكثيرون منهم يميزون بين العراقى والشامى والمصرى والمدنى

والفراسة كانت شائعة عند العرب ، وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان واشكاله واقواله على أخلاقه ومناقبه . وهى من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر ، وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا ، وكان معروفا عند العرب . وكانوا يفزعون الى الكهان فى تفسير الاحلام على ان كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها (٢) ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل . وقد اغضينا عنهما لضيق المقام

---

(١) الاغانى ١١٠ ج ١٣

(*) راجع فى القيافة والفراسة والعيافة او الزجر ، وهى التنبؤ بحركات الطيور ، جواد على ج ٥ ص ٣١٧

(٢) السيرة الحلبية ٢٩١ ج ١

وتجد أخبار كهانهم فى كتب التاريخ وكتب الادب وخصـــوصا الاغانى والعقد الفريد وفى السيرة النبوية وكتب التفســـير وفى الجزء الاول من مروج الذهب للمسعودى والاول من ابى الفداء وفى معجم البلدان لياقوت الحموى ومعجم ما استعجم للبكرى وحياة الحيوان للدميرى وفى كتب الادب وغيرها ..

عصر صدر الإسلام

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام فى جزيرة العرب فشغل أهلها فى أثناء حياة الرسول ومعظم أيام الراشدين بالفتوح والجهاد والاسفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فأخذا بمجامع قلوبهم واستقرا فى المكان الاول من أذهانهم ، وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر احوالهم ، فظهر اثر ذلك فى علومهم وآدابهم

١ ـ التغيير الذى أحدثه الاسلام فى العرب (*)

اجتماع كلمة القبائل

كان العرب فى الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب ، فلما جاء الاسلام كان فى جملة ما بدله من احوالهم انه جمع كلمتهم وصاروا يدا واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم . وبعد ان كان اليمنى يفاخر الحجازى ، والمضرى يفاخر الحميرى ، ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ ، جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال الرسول : « المسلمون أخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة فى حجة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب واكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » (٢)

واقتدى بالرسول خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب ، فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد ان اسلم اتفق وهو يطوف فى الكعبة ان فزاريا وطىء أزاره فانحل ، فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزارى فشكاه الى عمر ، فأراد عمر أن يهشم أنف جبلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين

(*) انظر فى ذلك فجر الاسلام لاحمد امين ، الفصل الاول من الباب الثانى ، وكذلك الفصل الاول فى كتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر

(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

وهو سوقة وانا ملك ؟ » فأجابه عمر : « ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

انتشار العرب فى الارض

كان العرب محصورين فى جزيرتهم القاحلة ، وهم أهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومى او الفارسى ، فيعظمون قـــدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب ، نهضوا للفتح وأوغلوا فى البلاد وفتحوا الامصار . ولم يستطع شيء ان يقف تيارهم ، فانساحوا فى الارض حتى نصبوا أعلامهم على ضفاف الكنج شرقا ، وشواطيء المحيط الاطلسى غربا ، وضفاف نهر لورا شمالا ، وأواسط افريقيا جنوبا . وملأوا الارض فتحا ونصرا واحتلوا مدائن كسرى وقيصر ، وأقاموا فى المدن وركنــوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالى الاجيال . والقبائل التى قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانيـــة والقحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ، ولكنهم هاجروا أيضا بأهلهم وخيـامهم وانعامهم التماسا لسعة العيش فى البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جاءت بطون من خزاعة الى مصر والشام فى صدر الاسلام ، لان أرضهم أجدبت فمشوا يطلبون الغيث والمراعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلمـا أصابها جدب حتى كانت لهم أعوام خاصة يجلون فيها الى مصر والشـام يسمونها اعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاســلام ، اذا أجدبت أرضهم يمموا العراق وفارس فيعطيهم الفرس التمر والشعير .. ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفا من الذل فى ســلطان دولة أعجمية . أما بعد الاسلام ، فكان المقام يطيب لهم فى بلاد فتحهـــا آباؤهم وأعمامهم وأخوالهم وغرسوا فيها أعلامهم وجعلوها فيئا لهم

ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب فى اللغـــة والآداب ، لكنه لم ينضج ويظهر الا فى عصر الامويين فما بعده

انتشار القرآن الكريم

بعد أن كان هم عرب الجاهلية اذا اجتمعوا فى ناد أو ســوق انشــاد الاشعار والتفاخر أو التفاضل ، أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء . واذا بعث الخليفة عاملا الى بلدة أمره أن يحكم بالعدل وأن يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث أيضا

٢ ــ تأثير ذلك التغيير فى آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب دينى سياسى اجتماعى . ولابد لكل انقلاب من آثار يخلفها فى نفوس أصحابه وعقولهم ، فيحـــدث تغييرا فى آدابهم

وعلومهم . والتغيير الذىأحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه :

أولا ـ أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا ـ انه نوع البعض الآخر . ثالثا ـ أنه احدث آدابا جديدة لم تكن من قبل .. فالآداب التى أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التى احدثها ، بعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية ، وبعضها نقل عن الامم الاخرى كالفلسفة والطبيعيات والطب . وسيأتى الكلام عنها فى حينه

أما النوع الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية ، فأكثره فى الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر فى الرقى لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات (*) . والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت فى قالب الخطابة او الشعر . والخطابة أقرب تناولا ، اذ لم يرد فى القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد فى الشعر والشعراء .. فكما كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر فى تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهييب من فرسانهم ، اصبح الخطيب فى الاسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة فى استنهاض الهمم وجمع الاحزاب وأرهاب الاعداء (٢)

٣ ـ الخطابة فى عصر صدر الاسلام (**)

والفرق بين الخطابة فى الجاهلية وفى الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير فى الشعر أيضا . ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس ، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو اشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات ، كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق واراد ان يحرض أهله على الطاعة لاخية عبد الله ، فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من

---

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢ ؟

(*) لم تكن الخطابة فى صدر الاسلام تستخدم للغزوات والفتوح فقط ، كما اشار المؤلف ، بل كانت تستخدم اولا وقبل كل شىء للدعوة الدينية ، وقد جعلها الاسلام فرضا مكتوبا فى صلاة الجمعة من كل أسبوع وفى صلاة العيدين والاستسقاء

(٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١

(**) انظر فى الخطابة لعصر صدر الاسلام الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، وجمهرة خطب العرب لاحمد زكى صفوت ، الجزء الاول ، وكلمة خطبة فى دائرة المعارف الاسلامية

المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو الحجاز) ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق) » (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعا فى النفوس بنهضة العرب للحروب وانتصارهم فى أكثر مواقعها ، فازدادوا أنفة وسمت نفوسهم فسما بها ذوقهم فى البلاغة وشحذت قرائحهم بما شاهدوه فى البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنة الجديدة ، فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الامم التى تقدمتهم بلاغة وإيقاعا وتأثيرا .. حتى اليونان والرومان ، ولا ننكر ما كان من تفوق هاتين الامتين فى الخطابة وما نبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستنيس، وبروتاجوراس ، وبريكليس ، من خطباء اليونان ، وشيشرون ، ويوليوس قيصر ، من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقعا . وربما كان الخطباء فى الاسلام أكثر عددا ، وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقا وأدبا

فقد ذكروا لديموستنيس أخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصفها منسوب اليه خطأ ، وهذه خطب الامام على تعد بالمئات . وأما فى كثرة الخطباء فالعرب كانوا فى صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وأمراءهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) . ولا غرابة فى ذلك لان العرب أهل خيال وذوو نفوس حساسة ، وللبلاغة تأثير شديد فى عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم . وكثيرا ما توقف فتح البلد أو الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسرى فى عروقهم الحماسة ، فيستميتون فى الدفاع أو الهجوم . وفى أخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . وكثيرون من القواد انما ساعدهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم فى نفوس رجالهم

واذا رجعت الى حوادث الفتح او جمع الاحزاب او اخماد الثورات ، رأيت عجبا . وأول ثورة كادت تهب فى الاسلام ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت الرسول ، فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة ، فقام أبو بكر خطيبا فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت .. وتلا الآية الكريمة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم (٣) فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لاخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطب السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

وأعظم الخطباء فى عصر صدر الاسلام الرسول والخلفاء والقواد . وترى

---

(١) البيان ٢٩ ج ٢ (٢) البيان ١٣٥ ج ١
(٣) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستانى ٩ ج ٢

أمثلة من أقوالهم متفرقة فى السيرة النبوية وكتب الغزوات والفتوح والتاريخ ، وفى العقد الفريد وغيره من كتب الادب ، وكلها مطبوعة مشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام على بن أبى طالب ، فقد جمعت خطبه فى كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، (*) ولا نظن كل ما حواه من الخطب له . وقد شرح نهج البلاغة غير واحد ، وطبع مرارا فى الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبى الحديد المعتزلى طبع فى طهران فى عشرين جزءا ، وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

٤ ـ الشعر فى عصر صدر الاسلام

الرسول والشعر

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم فى الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع، ومرجع ذلك كله الى العصبية .. كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمه العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء .. ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب فى الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وبهرتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية الى الخطابة، لحاجتهم اليها فى استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد ، وهى شعر منثور . وقد جاء الطعن على الشعراء فى الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك ان الرسول لم يكن راغبا فى الشعر لانه من عوامل التفريق، وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شعرا لايلتفت الى وزنه (١) ، ومن أقواله : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا » (٢) ولم يكن مع ذلك يبخس الشعر حقه ، أما الآية الكريمة التى نزلت فى الشعراء انما يراد بها شعراء قريش الذين تناولوه بالهجاء والاذى . وقد قبح الشعر فى الذين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضه ، وليس الشعر على اطلاقه . ولذلك فقد أبدى اعجابه به بقوله : « ان من الشعر لحكمة » يشير الى الاشعار التى فيها تدين أو دفاع عن الحق . ومن اقواله : « أصدق كلمة قالها شاعر

(*) يختلف السابقون فى مصنف كتاب نهج البلاغة ، أهو الشريف المرتضى أم أخوه الشريف الرضى . ويجمع الباحثون فى عصرنا على أن أكثر ما فيه من خطب ليس من عمل على ، وانما هو من عمل مؤلفه والعصور التى سبقته ، ويقول الذهبى فى كتاب ميزان الاعتدال : « من طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فان فيه السب الصريح والحط على السيدين أبى بكر وعمر » . وأيضا فان صناعته الادبية من طراز العصور المتأخرة ، ويكفى أن نقرأ فيه وصف الطاووس لنعرف أنه ليس من صنع على وانما هو من صنع العصر العباسى

(١) الاغانى ٦٧ ج ١٣ (٢) العمدة ١٢ ج ١ ، ويريه : يفسده

قول لبيد : الا كل شيء ما خلا الله باطل » وكثيرا ما كان يجب أن يسمع شعر أمية بن أبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

اما سائر أغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن . يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى الرسول ، فعرض عليه الاسلام فقال له : « أنى رجل شاعر فاسمع ما أقول » فقال : «هات» فأنشد :

لا وإله الناس نألم حَرْبهم ولو حاربتنا منهبٌ وبنو فهم
ولما يكن يومٌ تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
أسِلْماً على خَسْفٍ ولست بخالد ومالى من واقٍ إذا جاءنى حَتْمى
فلا سلم حتى تحْفر الناس خيفةً وتصبح طير كانسات (٢) على لحم

فأجابه النبى « وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقرأ المعوذتين ، فأسلم الرجل (٣) وكان النبى مع ذلك يقرب الشعراء المسلمين ويشجعهم على قول الشعر لتأثيرهم فى الاذهان (٤)

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبى وهو يطوف ، وكان قد قتل أباها فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته أبياتا مطلعها :

يا راكباً إن الأثيلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وأنت موفَّقُ

الى أن قالت :

أمحمدٌ ها أنت نَجْلُ نجيبةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِق
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْت وربما مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحنق
والنضْرُ أقربُ من قتلتَ وسيلةً وأحقهم إن كان عِتْقٌ يعتق

فقال النبى : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٥) . ولذلك لم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش الذين جاءت الآية بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ففر بعضهم من وجهه ومات البعض الآخر (٦) . وقد تقدم فى ترجمة حسان بن ثابت أن أشهر من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأن النبى قال للانصار : « ما يمنع الذين نصروا رسول الله

---

(١) مشكاة المصابيح ٤٠٩
(٢) كانسات : عاكفات
(٣) الاغانى ٥٣ ج ١٢
(٤) الاغانى ٦٧ ج ١٣
(٥) العمدة ٣٠ ج ١
(٦) العمدة ٧ ج ١

بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحه .. وكان يرى لاشعارهم تأثيرا فى أعدائه ، ومن أقواله : « هؤلاء النفر (الشعراء) أشد على قريش من نضح النبل » وقال لحسان مرة : « أهجم (يعنى قريشـــا) فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام . أهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » (١)

الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول فى تحريض الناس على حفظ القرآن ·· ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشـــاعر جاء بابنه وهو غـلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له : « ان ابنى هذا من شـــعراء مضر فاسمع له » فأجابه على : « علمه القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمــــر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبة ففضل من عــــدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك فى ترجمة لبيد. على انهم اقتدوا بالنبى فى التمييز بين شعر وشعر وشاعر وشاعر . وحرض عمر المسلمين على حفظ الشعر فقال : «رووا اولادكم ماسار من المثل وحسن من الشعر » (٢) وقد أراد أحسنه ، ويؤيد ذلك قوله : « أرووا من الشعر أعفه » (٣)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القــرآن فقال ابن عباس : « اذا قراتم شيئا فى كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعـــار العرب » (٤) وفى مقدمة جمهرة اشعار العرب لابى زيد القريشى امثـلة كثيرة من هذا القبيل (٥)

ولم يكن الراشدون يرون بأسا من ان يقولوا الشعر هم انفسهم ، فقد رووا لابى بكر قصيدة حماسية قالها فى بعض الغزوات . ورووا لعمـــر أبياتا فى الحكم ونحوها وكذلك لعثمان . اما على ، فالمروى من شعره كثير بعضه قاله فى صفين (٦) ، وليس بين الصحـــابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٧)

على انهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمـين وأشدهم وطأة فى ذلك عمر ، فقد أخذ عهدا على الحطيئة الا يهجو رجلا مسلما (٨) . ويقال بالاجمال ان الشعر فى عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح الا ما كان منه من قبيل الجهاد كأقوال حسان وأصحابه فى الدفاع عن النبى والاسلام

---

(١) العمدة ١٢ ج ١
(٢) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١
(٣) الجمهرة ١٥
(٤) العمدة ١١ ج ١
(٥) الجمهرة ٥
(٦) العمدة ١٢ ج ١
(٧) الجمهرة ١٦
(٨) العقد الفريد ١١١ ج ٣

واما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمنا لهم مع شعراء الجاهلية لانهم نشأوا فيها وتطبعوا بطبائع أهلها

٥ ــ اللغة والانشاء

فى عصر صدر الاسلام

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير فى اللغة العربية واساليبها والفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن ، وحفظهم كلامه واعجابهم به ٠ وطبيعى أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعارها وأمثالها وأساليبها ٠ فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن وألفاظه فى لغة المسلمين : شعرا ونثرا ، كتابة وخطابة . ويرجع ذلك التغيير الى قسمين : تغيير فى الاسلوب ، وتغيير فى الالفاظ

التغيير فى الاسلوب

أما الاسلوب الانشائى فلا يمكننا تعيين مقدار التغيير الذى أصابه الا بالرجوع الى ما وصلنا من انشاء الجاهليين ، والفرق بينه وبين أسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والثرى .. اين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى اقول وما علمنى ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد فى صدر الاسلام ضرب من الانشاء من أبلغ مابكون . وأحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد ، وكلها من السهل المتنع .. ككتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص لما بعث به الى فتح مصر ، ثم تخوف فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . اما بعد فان أدركك كتابى هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها ، واما اذا ادركك وقد دخلتها او شيئا من ارضها .. فامض واعلم انى ممدك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده فى مجاعة بقوله : « من عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاصى ابن العاص سلام . اما بعد فلعمرى ياعمرو ماتبالى اذا شبعت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معى فياغوثاه ثم يا غوثاه » فكتب اليه عمرو : « الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو ابن العاص . اما بعد فيالبيك ثم يالبيك . قد بعثت اليك بعير أولها عندك واخرها عندى والسلام »

ذلك أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسية او الخطب الحماسية او العهود أو العقود .. حتى انك اذا قرات لهم رسالة تبينت أسلوب صدر الاسلام فيها ، فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها ..

وتجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على اسلوب صدر الاسلام فى كتب الفتوح والفزوات ، كفتوح الشام للواقدى ، وفتوح البلدان للبلاذرى . ومنها جانب كبير فى خطط المقريزى عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعا فى كتاب فتوح الشام للشيخ أبى اسماعيل محمد بن عبد الله الازدى البصرى من أهل اواسط القرن الثانى للهجرة طبع فى كلكته سنة ١٨٥٤ ، وقد شاهدنا فيه مالم نشاهده فى غيره مما وصل الينا من كتب الفتح .. فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الاوامر الرسمية التى جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكاتب به القواد أو ماكتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . أو ما عقدوه من العهود فى أثناء حروبهم فى الشام الى فتحها وفتح أجنادها .. كأنها الاصول التى أخذت اخبار الفتح عنها

التأثير فى الالفاظ

اما تأثير القرآن الكريم فى ألفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب ، فظاهر فيما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الاصلاح الدينى او الشرعى . واكثر هذه الالفاظ كانت موجودة فى اللغة قبل الاسلام ، لكنها كانت تدل على معان اخرى فتحولت للدلالة على مايقاربها من المعانى الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معروفا فى الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق .. فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله فى الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة وأصلها فى العربية الدعاء ، وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة .. فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت

وقس على ذلك المصطلحات الفقهية ، كالايلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاد والتعزير واللقيط والآبق والوديعة والعارية والشفعة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الفاظا وتراكيب نطق بها الرسول ولم تسمع من العرب قبله كقوله : « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١)

وفى كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف فيما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

---

(١) المزهر ١٠٣ ج ١

٦ ــ العلوم التى حدثت فى عصر صدر الاسلام

جمع القرآن وتدوينه (*)

لم يحدث فى عصر صدر الاسلام علم ، ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم ينزل مرة واحدة ، وانما نزل تدريجيا فى اثناء عشرين سنة على مقتضى الاحوال من أول ظهور الدعوة الى وفاة النبى ، بعضه فى مكة وبعضه فى المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبوها على صحف الكتابة فى تلك الايام ، وهى الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالاكتاف والاضلاع وعلى العسب وهى قحوف جريد النخل واللخاف وهى الحجارة العريضة البيضاء . فتوفى النبى سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على أمثال هذه الصحف او محفوظ فى صدور الرجال ، وكانوا يسمون حفظته « القراء »

وكان أكثر الناس عناية بتدوينه على عهد النبى على بن ابى طالب ،وعبد الله بن مسعود ، وابو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وثابت بن زيد ، وأبى بن كعب ، وغيرهم (١) . فلما قام أبو بكر بالامر وارتد أهل جزيرة العرب عن الاسلام ، بعث جندا لمحاربتهم فقتل من الصحابة فى تلك الحروب جماعة كبيرة ، وخصوصا فى غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعا شديدا وخصوصا عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين ، فأشار على أبى بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شىء بموت أهله ، فتوقف أبو بكر وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا » فما زال به عمر حتى أقنعه بجمعه . فأحضر ابو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحى ، فجمع ما كان مدونا عند الصحابة . وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة أو أكثر . وقد لا يوجد من الآيات الا نسخة واحدة كآخر سورة التوبة ، فانه لم يوجد منها الا نسخة واحدة عند أبى خزيمة الانصارى ، (٢) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى أبى بكر .. فظلت الصحف عنده حتى توفى سنة ١٣ هـ . فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى توفى سنة ٢٣ هـ ، فانتقلت الى ابنته حفصة من أزواج الرسول الكريم

وفى ايام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون فى مصر والشام والعراق وفارس وافريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القران ، وقد رتبها كل منهم ترتيبا خاصا . فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من

(*) انظر فى جمع القرآن وتدوينه ، كتاب الاتقان للسيوطى وتاريخ القران للزنجانى والقراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامى لجولد تيهر ترجمة عبد الحليم النجار

(١) الفهرست ٢٧ (٢) الفهرست ٢٤

القراء . فأهل دمشق وحمص مثلا أخذوا عن المقداد بن الاسود ، وأهل الكوفة اخذوا عن ابن مسعود ، وأهل البصرة عن أبى موسى الاشعرى (١) . ومع شدة عناية القراء بحفظ القرآن وضبطه ، لم ينجوا من الاختلاف فى قراءة بعض آياته

واتفق فى اثناء ذلك ان حذيفة بن اليمان كان فى جملة من حضر غزوة أرمينيا وأذربيجان ، فرأى فى اثناء سفره اختلافا بين المسلمين فى قراءة بعض الآيات ، وسمع بعضهم يقول لبعض : « قراءتى خير من قراءتك » فلما رجع الى المدينة أنبأ عثمان بذلك وأنذره بسوء العقبى ان لم يتلاف الامر الى أن قال : « أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان الى حفصة ان « ارسلى الينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك » فأرسلتها ، فدعا عثمان زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت فى شىء فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ، ففعلوا (٢) سنة ٣٠ هجرية وكتبوا أربعة مصاحف بعثها عثمان الى الامصار الاربعة : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، (٣) واثنين ابقاهما فى المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهو الذى يسمونه « الامام » ثم أمر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٤) وأمر باحراقه

فأصبح المعول فى المصاحف على ماكتبه عثمان ، واشتغل المسلمون فى الامصار باستنساخ تلك المصاحف .. فنسخوا منها شيئا كثيرا فى مدة قليلة . ذكر المسعودى فى عرض كلامه عن واقعة صفين بين على ومعاوية وما كان من ظهور على وما اشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف : «ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (٥) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين سبع سنين

ومع تشديد الصحابة فى التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف على . ويعتقد الشيعة أن عليا أول من خط المصاحف عند وفاة النبى . وتنوقل مصحفه فى شيعته وبقى عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم فى كتاب الفهرست انه رأى عند أبى يعلى حمزة الحسنى مصحفا بخط على يتوارثه بنو حسن (٦) ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ، ولكل منها ترتيب خاص فى سوره (٧)

---

(١) ابو الفدا ١٧٦ ج ١
(٢) الفهرست ٢٤
(٣) نفح الطيب ٢٨٨ ج ١
(٤) ابو الفدا ١٧٦ ج ١
(٥) المسعودى ٢٠ ج ٢
(٦) الفهرست ٢٨
(٧) الفهرست ٢٦

الخط العربى وتاريخه (*)

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن فى زمن الخلفاء الراشدين ، نأتى بتاريخ الخط وان تجاوزنا فى تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام فى موضوع واحد ، فنقول :

ليس فى آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام ، مع انهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأمم من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة . وأشهر تلك الامم حمير فى اليمن ، كتبوا بالحرف المسند ، والانباط فى الشمال كتبوا بالحرف النبطى • وآثارهم باقية الى هذه الغاية فى ضواحى حوران والبلقاء • وقد عثر المنقبون على آثار كتابية فى الحجاز لكنها بالخط المسند . والسبب فى ذلك ان الحجازيين او عرب مضر كانت البداوة غالبة على طباعهم ، والكتابة من الفنون الحضرية

على أن بعض الذين رحلوا منهم الى العراق او الشام قبل الاسلام تخلقوا بأخلاق الحضر واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطى او العبرانى أو السريانى . ولكن النبطى والسريانى ظلا عندهم الى مابعد الفتوح الاسلامية ، فتخلف عن الاول الخط النسخى (الدارج) وعن الثانى الخط الكوفى نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفى يسمى قبل الاسلام الحيرى نسبة الى الحيرة •• وهى مدينة عرب العراق قبل الاسلام ، وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها ••

ومعنى ذلك أن السريان فى العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السريانى فى جملتها قلم يسمونه « السطرنجيلى » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقتبسه العرب فى القرن الاول قبل الاسلام ، وكان من أسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفى وهما متشابهان حتى الآن ••

واختلفوا فيمن نقله الى بلاد العرب ، والأشهر أن أهل الانبار نقلوه •• وذلك ان رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندى أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت ابى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثر من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . أما الخط النبطى فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون

والخلاصة على كل حال أن العرب تعلموا الخط النبطى من حوران أثناء تجارتهم الى الشام ، وتعلموا الخط الكوفى من العراق قبيل الاسلام بقليل. وظل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام • والارجح أنهم كانوا يستخدمون

(*) انظر فى ذلك أصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام لخليل نامى وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ١ ص ١٨٥

(١) اللمعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ١٧ (٢) المزهر ١٧٧ ج ٢

القلمين معا : الكوفى لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه السطرنجيلى يستخدم عند السريان لكتابة الأسفار المقدسةالنصرانية، والنبطى لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفى عن السطرنجيلى فضلا عن شكله ، ان الالف اذا جاءت حرف مد فى وسط الكلمة تحذف . وتلك قاعدة مطردة فى الكتابة السريانية ، وكان ذلك شائعا فى اوائل الاسلام وخصوصا فى القرآن .. فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة فى الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة فى مكة الا بضعة عشر انسانا أكثرهم من كبار الصحابة وهم : على بن أبى طالب ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبان ابنا سعيد بن خالد بن حذيفة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمى ، وأبو سلمة بن عبدالاشهل، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وابو سفيان بن حرب وولده معاوية ، وجهيم بن الصلت بن مخرمة . ثم تعلم غيرهم من الصحابة ، ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفى أيام الراشدين وأيام بنى أمية .وفى أيامهم تفرع الخط المذكور الى اربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان أكتب أهل زمانه . وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ، ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان فى اوائل الدولة العباسية ، فزاد على قطبة ، ثم زاد اسحاق بن حماد وغيره ، فبلغت الاقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلما . وهى : قلم الجليل ، قلم السجلات ، قلم الديباج ، قلم اسطورمار الكبير ، قلم الثلاثين ، قلم الزنبور ، قلم المفتح ، قلم الحرم ، قلم المدامرات ، قلم العهود ، قلم القصص ، قلم الحرفاج .وفى ايام المأمون تنافس الكتاب فى تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النسخ وقلم الرئاسى نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلا ، وكلها تعد من الكوفى . واما الخط النسخى او النبطى ، فقد كان شائعا بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فأدخل فى الخط المذكورتحسينا ، جعله على ما هو عليه الآن وادخله فى كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفى الى صورة القلم النسخى . والغالب فى اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معا من أول الاسلام، الكوفى للمصاحف ونحوها ، والنسخى (أو النبطى) للرسائل ونحوها كما تقدم ، وان ابن مقلة انما جعل الخط النسخى على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا فى معرض الخطوط العربية القديمة فى دار الكتب المصرية رقوقا وقطعا من البردى عليها كتابات بالخط النسخى

---

(١) كشف الظنون ٤٤٦ ج ١

بعضها من اواخر القرن الاول للهجرة . ورأينا عقد نكاح مكتوبا فى أواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ ﻫ على ورق مستطيل فى أعلاه صورة العقد بالقلم الكوفى المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخى بغاية الاختلال .. فابن مقلة حسن هذا الخط تحسينا وأدخله فى كتابة المصاحف

ثم تفرع الخط النسخى المذكور بتوالى الاعوام الى فروع كثـــيرة .

وأصبحت الاقلام الرئيسية فى اللغة العربية اثنين : الكوفى والنسخى ،ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام وهى : الثلث ، والنسخى ، والتعليقى ، والريحانى ، والمحقق ، والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة ألفوا فيه الكتب والرسائل ، بعضها فى أدوات الخط كالاقلام وطرق بريها وأحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ماشاء الله ، عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفى آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندى (طبـــع دار الكتب المصرية) باب خاص فى الكتابة وأدواتها وتوابعها يدخل فى ٣٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ ــ ٥٧٦) وتجد أقوالا تتعلق بالخط العربى فى كشف الظنون ٤٦٦ج١ ، وابن خلكان ٣٤٦ج١ ، والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ ، وابن خلدون ٢٠٥ ، و ٣٤٨ ج١ ، والاغانى ١٩ ج٢، ١٠٦ ج٤ ، و ٥٠ ج٧ ، وفى المزهر ١٧٧ ج ٢

اما مايلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات ،فسيأتى الكلام عليها فى العصر الاموى

العصر الأموى

١ — مميزات العصر الاموى

نريد بالعصر الاموى العصر الذى كانت الدولة الاسلاميــة فيه فى حوزة الامويين بالشام ، منذ بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ الى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ • ويختلف العصر الاموى عن عصر صدر الاسلام اختلافا كبيرا من أوجه كثيرة ، اذ يعد انتقال الدولة الاسلامية الى بنى أمية انقلابا عظيما فى تاريخ الاسلام ، لانها كانت فى زمن الراشدين خلافة دينية فصارت فى أيامهم ملكا عضودا ، وكانت شورية فصارت أرثيه •وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبى وأبناء عمه عليها ، والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحل له الخلافة ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعا فأسس الدولة الاموية . وقد فصلنا الاسباب التى ساعدته على ذلك فى الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامى

وانما يهمنا فى هذا المقام مانجم عن مساعى بنى أمية فى تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والزجوع الى عصبية الجاهلية ، كما كان العرب قبل الاسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك فى الاداب

التفريق بين القبائل واحياء العصبيات

قد علمت أن العصبية العربية كانت فى الجاهلية بين القبــائل بسبب الانساب ، فلما جاء الاسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الاسلام او الجامعة الاسلامية . ومازالت الجامعة الاسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول ايام الخلفاء الراشدين ، حتى اذا طمع بنو أمية فى الملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها . فظلت خشونة البادية غالبة على حكومتهم وظاهرة فى سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البــدو الاخرى • وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وايثار أهلهم على سواهم ••

فجاشت عوامل الحسد فى نفوس القبائل التى كان لها شأن فى الجاهلية وضاع فضلها فى الاسلام ، وخصوصــا أهل البصرة والكوفة لان أكثــر العرب الذين نزلوا هذين المصرين جفاة لم يستكثروا من صــحبة النبى ولا هذبتهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقه ، مع ما كان فيهم من جفاء الجاهليــة

وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم فى قبضة المهاجرين من قريش وكنانة وثقيف وهذيل ، وأهل الحجاز ويثرب • فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم ، مثل قبائل بكر بن وائل ، وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والازد من اليمن ، وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الغض من قريش والانفة عليهم ، فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه فى الجاهلية

أسباب التفريق

كان التفريق اولا بين قريش وسائر العرب ، فتعصب العرب كافة على قريش حسدا لاستبدادهم بالسلطان دون سائر الصحابة أو التابعين ، الا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعدنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان على يد سعيد بن العاص ، (١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصا بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار • وثبت الانصار فى نصرة أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا فى اول الاسلام ، اذ جاءهم الرسول مهاجرا فرارا من أهله. ولما جرت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين على ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش • فلما احتدم القتال فى تلك الوقعة ، قال رجل يمنى من أنصار على : « أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالى ، والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع على هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعة على وأنصاره •• فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه أن اكتفاءه بقريش ونحوهم لا يجديه نفعا ، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما انتصر فى حروبه ورسخت قدمه فى الخلافة ، تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصرة يزيد ابنه بعده لانهم أخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير فى مكة يطالب بالخلافة ، واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم (وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بنى أمية • وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير ، وانصار بنى أمية من كلب (يمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن أختهم . ونهض أناس من بنى أمية فاعترضوا على خالد لصغر سنه ، واجمعوا على بيعة مروان لشيخوخته على أن تكون الخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين أصحاب مروان وأصحاب ابن الزبير ، أى بين كلب وقيس • وفاز مروان وثبتت قدمه فى الخلافة . ثم توفى مروان ولم يف لخالد ، فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان

---

(١) راجع تفصيله فى تاريخ التمدن الاسلامى ٥٧ ج ٤ « الطبعة الثالثة »

الشديد الوطأة ، وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر أنحاء المملكة الاسلامية بين هذين الحزبين : قيسية وكلبية ، أو مضرية ويمنية ، أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وافريقيا والاندلس . ففي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان : مضرى ويمنى ، تختلف قوة أحدهما باختلاف الخلفاء او الامراء أو العمال . فالعامل المضرى يقدم المضرية ، والعامل اليمنى يقدم اليمنية . ويختلف ذلك باختلاف الأحوال ، وله تأثير في كل شيء من تصاريف أحوالهم حتى في تولية الخلفاء والامراء وعزلهم . وكثيرا ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصرة أحد هذين الحزبين

غير الانقسام الذي وقع بين بطون قريش وأهم أحزابهم : أمية وبنو هاشم ، فكان الناس يتعصبون لاحدهما على الآخر . وناهيك بالتخاصم بين العرب وغير العرب . وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الاموي على سائر العرب ، فالعرب على الاجمال كانوا مقدمين على سائر الامم التي دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك ، بل كانوا يعتقدون فضل العرب في اقامة هذا الدين وانهم مادته وأصله ، ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعدوا أنفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم وحبهم فرضا واجبا عليهم

فكان العرب في أثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الامم من الموالي (*) وأهل الذمة ، وكان العربي يعد نفسه سيدا على سواه ويعتقد انه خلق للسيادة وذاك للخدمة .. فاقتصر العرب على الاشتغال بالسياسة ، ولم يكونوا يعنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لانه لازم للسياسة ، وأما الحساب والكتابة ، فقد كانا من صنائع الموالي .. حتى الشعر فان الموالي نالوا منه حظا في أثناء العصر الاموي

وبالجملة أن انتقال الدولة الى الامويين انقلاب سياسي عظيم . وهو طبيعي في نواميس العمران لان القواعد التي وضعها الامام عمر للدولة تنافي سياسة الملك ولم يكن يرجى بقاؤها ، لان من شروطها الا تخزن الاموال في بيت المال وأن لايشتغل المسلمون بالزرع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ، ويخالف السياسة والملك .. فانتقالها الى الملك في أيام بني أمية وانتقال كرسي الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الاخرى ، فاقيمت على دعائم سياسية واقتبس اهلها تمدن الامم المجاورة وعلومهم ، وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التي اقتضاها ذلك التمدن كما سيجيء

٢ — حال الشرق عند الفتح الاسلامي

نعني بالشرق البلاد التي فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم ،

(*) انظر في ذلك فصلا طريفا في العقد الفريد « طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ » جـ٢ ص٩١ وانظر ثورة المختار الثقفي في الطبري ج ٢ ص ٦٨٤ وفلهوزن في كتابه : الدولة العربية وسقوطها The Arab Kingdom & its Fall ص ٢٢٦

وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس .. فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس ، والبعض الاخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم ، فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم ، بآدابهم وعلومهما ، والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلهما من المجوس . وكان التنازع قائما بين النصرانية والمجوسية ، ونشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعا ،فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام (*)

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانيةفي عصرها الاسكندري الروماني ، لان آداب اليونان القدماء هي القاعدةالاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم .. وللآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري ، وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرهامن بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على أثر فتوح الاسكندر في الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد ، وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ماجمعه البطالسة من الكتب الاخرى ، فزهت الاسكندرية بهم وبعلومهم

ويقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثاني بعددخولها في سيطرة الروم قبل الميلاد ، وهو العصرالاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام ..

فلما فتح المسلمون مصر والشام ، كانت هذه البلاد في عصرهاالاسكندري الثاني أو الروماني الذي يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن ، أي يوم دخول أثينا في حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد ، لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية .. فانتقل العلم من أثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفا . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة ، لان الاسكندريةمابرحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من العبرانيين نزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فرارا من الاضطهاد ، فآنسوا في الاسكندرية ترحيبا وراحة فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم في الفلسفة والدين ، لان العبرانيين أهل توحيد ووحي وتقليدواليونان أهل فلسفة ومنطق وأساطير دينية .. فأدى التمازج الى التقارب وزاد

(*) انظر في هذه الآداب الباب الرابع من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، والمصادر التي رجع اليها

ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان ، أخذوا فى تطبيق فلسفتهم على الدين .. فتولد من ذلك ما يسمونه الفلسفة الافلاطونية الجديدة Neo-platonic والفلسفة الفيثاغورية الجديدة Neo-Pythagoric وجملة القول أن العصر الاسكندرى الثانى قلما أفاد العلم لان أبحاثه كانت غايتها دينية

هذه هى الفلسفة التى كانت شائعة فى المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الاسلامى . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية ، ويتفاخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفاخر متخرجو جامعات أكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة فى برغاموس وطرسوس ورودس وانطاكية وبيروت ، وكان فى بيروت مدرسة للحقوق ذاعت شهرتها فى الآفاق (١)

فلما جاء الاسلام ، كان العلم قد انحط فى هذه المدارس كلها واهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لانها فى نظرهم عثرة فى سبيل الدين ..

آداب مملكة الفرس (*)

كان للفرس آداب قديمة قد اضافوا اليها كثيرا من علوم الهند والصين وآشور وغيرها من أمم الشرق القديم .. فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ما كان فى عاصمتهم من كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعضعت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن آزدشير فى الدولة الساسانية بأواسط القرن الثالث للميلاد ، فحارب الروم ونقل جماعة من أسراهم الى الاهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندى سابور ، وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم .. فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان من استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (٢) واختزنها فى مدينته ، وأخذ الناس فى نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (٥٣١ م — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية. وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا فى العالم . وجاء منهم سبعة الى انو شروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب(٣) وألفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث

---

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩

(*) انظر فى الفرس وأدبهم وأثره فى الادب العربى ، الباب الثالث من فجر الاسلام والمصادر التى اعتمد عليها

(٢) أبو الفداء ٥٠ ج ١

(٣) E. Broune. Literary Hist. of Persia, I. 167

والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليـــونان الذين جالسوا أنو شروان أنه من تلامذة أفلاطون

وأنشأ انو شروان فى جندى سابور مدرسة للطب والفلسفة ،اشتهرت فى بلاد الفرس كما اشتهرت مدرسة الاسكندرية فى مصر ومدرســـة بيروت فى ســـوريا

فنرى أن آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان ، والعالم المتمدن فى ذلك العهد مدين لليونان بأكثر آدابه كما صـــارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التى نضجت فى أيام العباسيين

ومما يحسن قوله أن آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدى السوريانيين ؛ نقلوها أولا الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السريانى، ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربى فى التمدن الاسلامى .. لكن ذلك لم يتم الا فى الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

أما الدولة الاموية فالهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدى الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية بحفظ الانساب ، وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية فى المملكة الاسلاميـــة بنقل الدواوين من الرومية والفارسية الى اللغة العربية وبعد أن كانت مصر والشام رومية والعراق كلدانيـــة أو نبطية ، اصبحت هذه البلاد بتوالى الاجيال عربية النزعة وتنوســـيت لغاتها الاصلية ، وهى تعد الآن من البلاد العـــربية . واذا نزلها التركى أو الافرنجى أو غيرهما من أى أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربيا

وظل العرب فى أيام بنى أمية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفـــاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم ، وظل كثير من عادات الجاهلية شائعا فى أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار فى الاندية العمومية ، فكان اشراف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها يتناشدون الاشعار ويتحادثون ويتذاكرون أيام الناس . واهـــل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجىء .. كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه فى أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا فى ممالك الارض

٣ ــ أقسام آداب اللغة العربية

فى العصر الاموى

تقسم آداب اللغة فى هذا العصر الى قسمين :

أولا ــ الاداب الحادثة ويدخل تحتها : «١» ما حـدث من العـلوم أو الاداب مما اقتضاه الاسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعـلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسميها العلوم الاسلامية «٢» ما اقتضاه التمدن الاسلامى من العلوم التى نقلت عن اليـونان والفـرس وغيرهم ونسميها الاداب الدخيلة

ثانيا ــ الاداب القديمة وهى ما كان منها موجودا فى عصر الراشـدين ، كاللغة والشعر والخطابة والامثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال انه فى العصر الاموى نضجت الآداب الجاهلية ، وولدت الآداب الاسلامية ، وبدأ النقل من اللغات الاجنبية ، فلننظر فى كل منهـا على حدة

ونبدأ بالعلوم الحادثة فى الاسـلام ثم نعود الى الآداب التى كانت فى الجاهلية لينجلى لنا تأثير تلك فيها

اعمار العلوم

لكل علم من العلوم على اختلاف موضوعاتها أدوار يمر بها كما يمر الحى بأدوار الحياة لأن العلوم من توابع الاحياء فتخضع لنواميس النشوء مثـل خضوعهم · والادوار التى تمر بها العلوم هى :

١ ــ دور التكوين «الولادة»

٢ ــ دور النمو أو النشوء « الصبا »

٣ ــ دور البلوغ « الشباب »

٤ ــ دور النضج « الكهولة »

٥ ــ دور التفرع أو التشعب أو الانحلال « الشيخوخة »

وسترى أن بعض العلوم يتكون فى عصر ، وينمو فى آخـر ، ويبلغ فى آخر ، وينضج فى اخر ، وقد يتخطى دورين أو ثلاثة فى عصر واحد

والعصر الاموى فاتحة عصور التمدن الاسلامى أو الدولة الاسـلامية لأن الاسـلام قبله كان دينـا لا دولة · وفى هـذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقـدم أن العلوم الحادثة فى الاسـلام قسمان كبيران : العلوم الاسلامية ، والعلوم الدخيلة

والعلوم الاسلامية هى العلوم التى أقتضاها الاسلام ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ــ العلوم الشرعية وهى العلوم الدينية الاسلامية

٢ ــ العلوم اللسانية وهى التى اقتضاها الاسلام ضمنا ، فاحتاجوا اليها فى ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث

٣ ــ التاريخ والجغرافيا

العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث ، وأهمها علوم القرآن والحديث والفقه · ولكل منها فروع تولدت بتوالى الاجيال ، وكانت فى العصر الاموى فى دور تكوينها ، وهى يومئذ القراءة «قراءة القرآن» والحديث « ضبط الحديث » والفقه ، وقبل التقدم اليها نمهد بالكلام فى البصرة والكوفة

١ ـ البصرة والكوفة (*)

هما من المدن الاسلامية التى اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام أهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة داخل الاسوار ، وينفرون من الانحصار فى المدن · فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار فى العراق والشام ومصر ، كانوا فى بادىء الرأى اذا ساروا الى غزو أوفتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم ·· فاذا فتحوا بلدا أقاموا فى ضواحيه بخيامهم وأخبيتهم وهو معسكرهم · وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقيمين فى الامصار ألا يقيموا فى مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه ، حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب· كذلك فعل عمرو بن العاص فيالفسطاط، وسعد بن أبى وقاص فى الكوفة والبصرة ، وكانتكلها مضارب لجندالعرب الفاتحين يعبرون عنها بالرباط أو المعسكر ، فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور · ذلك كان شأنهم فى صدر الاسلام ، فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على أنهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدها ، فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب · وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ، وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءه كما كان ، واعتبر ذلك في الكوفة أيضا ·· التماسا لسعة العيش فى البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة ، وهم يختارون أقربها الى البادية بلدهم القديم ·· فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم والعراق ··

(*) انظر فى تخطيط البصرة والكوفة وسكانهما دائرة المعارف الاسلامية ، والمصادر الموجودة فى المادتين ، وتخطيط الكوفة لماسينيون « الترجمة ـ طبع بغداد » والعربية ليوهان فك « الترجمة ـ طبع مصر » ص ١٥ وما بعدها

فأول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون وأهلهم ، ثم اتسعت الفتوح الاسلامية شرقا وغربا ، ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب بأهلهم وخيلهم ..

المربد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم العربية ، فانقسموا فيها قبائل وبطونا : عرب اليمن فى أحد طرفى البلد ، وعرب الحجاز فى الطرف الاخر . وانقسمت المنازل فى كل جانب حسب البطون والافخاذ ، وأقاموا فيها أسواقا أدبية مثل أسواقهم فى الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والمناشدة : اشهرها « المربد » فى البصرة وكان سوقا من أسواقها يعرف بسوق الابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ويدلك على سعته وسعة البصرة أن المربد كان فى زمن ياقوت بالقرن السادس للهجرة بعد انحطاط دولة العرب ، كالبلد المنفرد ، وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك عامرا فتأمل ..

وكان المربد فى الدولة الاموية عكاظ الاسلام، وتألفت فيه حلقات المناشدة والمفاخرة (١) ومجالس العلم والاداب (٢) .. فكان الشعراء يؤمونه ومعهم رواتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة ، وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها حلقة الفرزدق وراعى الابل (٣)

وكان الاشراف يخرجون أيضا الى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك كان يفعل أشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض .. لكن المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ فى الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

وفى عصر صدر الاسلام كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم ، وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة . ثم أفضت الدولة الى بنى أمية ، وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن ابن الزبير فى مكة وأخرج بنى أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز ، وقد علمت رغبة الامويين فى استبقاء الطبائع العربية البدوية ، فنشطوا الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر لاسباب سيأتى تفصيلها ، فوجدوا فى البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل ، وان ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر الرسول وسائر مناسك الحج ..

وكان فى المدينة على عهد معاوية طائفة من ابناء الصحابة يخشى قيامهم للمطالبة بالخلافة ، كما فعل عبد الله بن الزبير فأعماهم معاوية بالعطايا

(١) الاغانى ١٨٢ ج ٢ (٢) الاغانى ٥١ ج ٣ (٣) الاغانى ١٦٩ ج ٢٠

وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم ، فركنـــوا الى التمتع بالدنيـــا من طعام وشراب وسماع .. ينفقون فى ذلك الامـــوال وهى تتـــدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان « سنة ٦٥ هـ » كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ، ونبغ فيهـا طائفـة من المغنين وتكاثر فيها المخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك أن أعداءه هنـــاك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفســـهم وملاذهم ، فجعل همه صرف أذهان أهل الادب والعلم عن بلاد العـرب الى البصرة .. فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم ، وكانت فى أيامهم لا تزال كالبـــادية يقيم العرب حولها فى المضارب قبائل وبطونا .. فأصبحت الشام فى أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شـــاعر أو خطيب فى بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقـــدام فيهمـــا ، وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من أهل الادب الا اليمـــامة وبعض الحجاز ..

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضا أهل المدن المجاورة فى العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة الســياسية بالتجارة أو الصناعة أو غيرهما ، فاجتمع فى تلك البقعة لفيف من أمم شتى مصيرهم الى التعريب .. لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ، ولابد منها لمن أقام فى تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينهـــا الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع ألفاظها ، غـير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظرا لرغبة الامويين فى الاحتفاظ بالبداوة شجعوا آداب الجاهلية على الخصوص ، فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة فى العصر الاموى وبعده ، بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون فى المسجد أو المربد أو غيرهمـا للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، وأهل البصرة أعرق فى اللغة والادب .. يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن اهل الكوفة . أما الشعر فكان فى الكوفة أكثر منـــه فى البصرة .. ووقف المختار فى أثنـاء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة فى القصر الابيض بالكوفة ممـــا يدل على عناية الكوفيين بالشعر ، (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

وبعد أن مهدنا للكلام بوصف البصرة والكوفة ، نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن . وقد ذكرنا كيفيـــة جمعه وتدوينه فى عصر صدر الاسلام ..

---

(١) الخصائص لابن جنى

(٢) المزهر ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ج ٢

٢ ـ قراءة القرآن الكريم

فى العصر الاموى (*)

هى أقدم العلوم الشرعية الاسلامية ، وكان للقراء شأن فى صدر الاسلام عظيم يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزا لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم ان السبب الذى حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة فى قراءته . على أنه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير ، حتى أصبح لاهل كل مصر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئا يثقون بصحة قراءته وتنوقل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة ، ويعدها بعضهم عشرا

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموى وهم :

١ ـ عبد الله بن كثير توفى سنة ١٢٠ هـ فى مكة ، وهو من الموالى أصله من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حيث طرد الحبشة عنها . وكان شيخا كبيرا ابيض الرأس واللحية طويلا جسيما اسمر اشهل العينين يغبر شيبته بالحناء (١)

٢ ـ عاصم بن أبى النجود توفى سنة ١٢٧ هـ فى الكوفة ، وهو مولى بنى جذيمة أخذ القراءة عن أبى عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش (٢)

٣ ـ عبد الله بن عامر اليحصبى من الطبقة الاولى من التابعين ، توفى بدمشق سنة ١١٨ هـ

٤ ـ على بن حمزة أبو الحسن الكسائى الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة ، توفى سنة ١٨٩ هـ

٥ ـ حمزة بن حبيب الزيات ، توفى بحلوان العراق سنة ١٥٦ هـ ، وهو موالى آل عكرمة

٦ ـ أبو عمرو بن العلاء من تميم ، توفى سنة ١٥٥ هـ بالكوفة ، وهو العلم المشهور فى علم القراءة واللغة العربية . وسيأتى ذكره مرارا فى تاريخ آداب اللغة ..

٧ ـ نافع بن أبى نعيم ، توفى سنة ١٦٩ هـ بالمدينة . وهو مولى ، وكان أسود شديد السواد وأصله من اصبهان . ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان فى العصر الاموى صغيرا (٣)

(*) انظر القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامى لجولدتسيهر

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٩

(٣) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

القراءات الشاذة (*)

واشتهر غير هؤلاء كثيرون فى اقطار العالم الاسلامى ، وفيهم من يقرأ قراءات غريبة . وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ .. ذكر فى فهرسته « صفحة ٣٠ » جماعة منهم فى المدينة واخرين فى مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثر قراء الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الآراء فى التفسير والفقه ، والخلفاء يشددون فى مقاصة أولئك الشاذين خوف التفرقة كما كان يفعل رؤساء النصرانية فى القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول ، وخصوصا فى أوائله ، فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لرأى الخليفة . ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها فى القراءة والتفسير والفقه وفى كل شىء ، وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى أواسط الدولة العباسية وفى جملتهم يعقوب العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته واشهد عليه من حضر (١)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها فى المحراب .. ذكرها ابن النديم وابن خلكان ، فعلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ هـ ، فقبض عليه واعتقله اياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته ، فأمر بجلده واستتابه فتاب ، وقال انه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التى يقرأ بها الناس وكتب محضرا بذلك (٢) .

والقراءات السبع التى ذكرنا اصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الائمة أن الجميع على صواب ، فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو أكثر ، وقد تقرأ كل القراءات فى اقليم واحد . (٣) وكانوا يرجعون فى اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم : قرأ يعقوب بن اسحق على سلام ، وقرأ سلام على عاصم ، وقرأ عاصم على أبى عبد الرحمن ، وقرأ أبو عبد الرحمن على على بن أبى طالب ، وقرأ على على الرسول (٤)

(*) أنظر فى القراءات الشاذة مذاهب التفسير الاسلامى ص ٦٢ وما بعدها والتعليقات عليها فى الهوامش . والشواذ : ما رويت بغير طريق التواتر

(١) طبقات الادباء ٣٦١ (٢) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

(٣) المقدسى ٣٩ وفتح الطيب ١٠٤ ج ١ (٤) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

كتب القراءة (*)

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم فى الكتب ، لكنها تنوقلت بالاسناد .. فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي فى بغداد وقرطبة وغيرهما من مدائن ذلك التمدن . ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك . وأشهر ما وصلنا من كتبهم فى هذا الفن :

١ ـ كتاب الايضاح فى الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانبارى المتوفى سنة ٣٢٨ ، منه مجلد ناقص فى دار الكتب المصرية بخط قديم يشبه أن يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة ، ومنه نسخة فى المتحف البريطانى وفى مكتبه كوبريلى بالاستانة

٢ ـ كتاب التيسير فى القراءات السبع لابن الصيرفى من أهل دانية بالاندلس ، توفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية

٣ ـ جامع البيان فى القراءات السبع لابن الصيرفى المذكور

٤ ـ مفردات القراءات السبع لابن الصيرفى المذكور ، أتى فيه على الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعة الذين أخذوا عنه القراءات وبين غيرهم من أصحاب الائمة السبعة ، ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية

٥ ـ حرز الامانى ووجه التهانى فى القراءات السبع ، وهو منظومة لمحمد ابن فيره الشاطبى المتوفى سنة ٥٩٠ هـ وتعرف بمتن الشاطبية ، وقد طبعت فى الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية فى دار الكتب المصرية

٦ ـ المقدمة الجزرية فى علم التجويد منظومة لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، منها عدة نسخ فى دار الكتب المصرية ، وقد طبعت مرارا

٣ ـ التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ، ولان اكثرها قيلت فى أحوال كانت كالقرائن تسهل فهمها .. وأذا أشكل عليهم شيء منها سألوا الرسول فكان يبين لهم المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ، فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم . وعنهم أخذ من جاء بعدهم من التابعين وتابعى التابعين

(*) طبعت بعد ظهور هذا الكتاب سنة ١٩١١ كتب مختلفة فى القراءات ، ومن أهمها كتاب التيسير فى القراءات السبع (طبع سنة ١٩٣٠) وهو الذى نسبه المؤلف الى ابن الصيرفى وشهرته أبو عمرو الدانى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومنها مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه (وقد طبع سنة ١٣٤٥ هـ بدمشق) وكتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى .

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقـــوانين كان القرآن مصدر استنباطها · فزادت العناية بتفسيره وأصـــبح القـــراء والمفسرون مرجع المسلمين فى استخراج تلك الاحكام وهم الفقهاء لاول عهـد الاسلام · وكانوا يتناقلون التفسير شفاها الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد (*) المتوفى سنة ١٠٤ هـ ، ولكننـــا وجدنا فى دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عبـــاس الصحابى المشهور المتوفى سنة ٦٨ هـ وهو ابن عم الرسول . والمتواتر انه اول من فسر القرآن ، ولم نكن نظن ان له تفسيرا مدونا .. ولكن يؤخذ مما ذكر فى مقدمة هذا التفسير أنهنقل بالرواية والاسناد ،ولم يدون فى أيام صاحبه، وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن على بن الحسين . اما تفسير مجاهد المذكور فغير موجود ، ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد (١).

ولم ينضج التفسير الا فى العهد العباسى كما سيأتى

٤ ــ الحديث (**)

لما اشتغل المسلمون بتفهم معانى القرآن ، كان فى جملةما افتقروا اليهفى تفهمها أقوال الرسول ، وهو ما عبروا عنه بالأحاديث النبوية . وأقدم من سمعها وحفظها الصحابة ، فكانوا اذا أشكل عليهم فهـــم آية واختلفوا فى تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة فى الارض وعند كل منهم بعض الاحاديث ، وقد ينفرد بعضهم بأحاديث لم يسمعها سواه ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلا لا يستوفيه الا اذا رحل فى طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والرى وغيرها . وكذلك المقيم فى أحد هذه البلاد ، فانه لا يستطيع استيفاء الحديث مالم يطلبه من البلاد الاخرى ·· وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة فى طلب العلم ·· على أن الارتحال فى طلب العـــلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ، ولكنه كان شائعا من قديم الزمان بالنظـــر الى قلة وسائل المواصلات وأسباب النشر فى تلك العصور ، فكان المؤلف والجغرافى مثلا يرحل فى طلب التاريخ أو الجغرافيا الى أقاصى البلاد ·· كمـــا فعـــل هيرودوتس واسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون فى طلب العلوم غير الحديث أيضا ، وكان النصارى فى العصر الاســـلامى يرحلون الى بلاد الروم لاتقان ديانتهم (٢)

(*) أنظر فى نشأة تدوين التفسير كتاب المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن لجولدتسيهر، باب التفسير المأثور ، وكتاب فجرالاسلام لأحمدامين ، وكلمة تفسير فى دائرة المعـــــــارف الاسلامية

(١) الفهرست ٢٣

(**) أنظر فى الحديث وتدوينه ودخول الوضع فيه فجر الاسلام لاحمد امين ودراسات اسلامية لجولدتسيهر ومادة حديث فى دائرةالمعارف الاسلامية

(٢) طبقات الاطباء ١٧٥ ج ٢

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون فى الخلافة وادعاها غير واحد ، فانصرفت عناية كل حزب من أحزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم .. فكان بعضهم اذا أعوزهم حديث يؤيدون به قولا أو يقيمون به حجة اختلقوا حديثا من عند أنفسهم . وتكاثر ذلك فى أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبى صفرة مثلا يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (١) وهو مع ذلك معدود من النبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة فى الحرب ، وأمثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لاغراض مختلفة ..

فلما هدات الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت ، فاشتغلوا فى التفريق بينها وبين الصحيح .. فألفوا كتبا كثيرة فى الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم فى ذلك ألفاظ اصطلحوا عليها لهذه المراتب (*) ، كقولهم : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والغريب ، وغير ذلك من القابه المتداولة بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة او مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (٢) واشهر المحدثين فى زمن بنى أمية وبعضهم تجاوزه (**) :

١ ــ ابن أبى مليكة : هو عبد الله بن أبى مليكة التيمى المكى ، من كبار تلامذة ابن عباس توفى سنة ١١٩ هـ

٢ ــ الاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو ، محدث الشام وفقيهها ، أخذ عنه كثيرون ، منهم عبد الله بن المبارك وابن زياد وأبو العباس الوليد بن مسلم ، توفى سنة ١٥٩ هـ

٣ ــ الحسن البصرى : واعظ البصرة المشهور ، وفقيهها ، ومحدثها ، ومن اقدم من تكلموا فى مسائل القدر توفى سنة ١١٠ هـ

---

(١) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢

(*) تعنى بذلك كتب خاصة هى كتب علم مصطلح الحديث ، ومن اشهرها مقدمة ابن الصلاح ومختصرها لابن كثير والتقريب للنواوى

(٢) ابن خلدون ٢٦٨ ج ١

(**) وضعنا هنا اربعة من المحدثين المشهورين فى العصر الاموى بدلا من أربعة آخرين مغمورين وضعهم المؤلف فى الطبعات السابقة ومعروف أن أشهر المحدثين فى عصر بنى أمية هم أولا من الصحابة عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وانس بن مالك بن جابر ، ثم خلفهم تابعون موزعون على الامصار لايحصون كثرة ، منهم فى المدينة الفقهاء السبعة الذين سيذكرهم المؤلف فيما بعد ومعهم نافع مولى ابن عمر وابنه سالم والزهرى وفى مكة عطاء وعكرمة وابن دينار وابن جريج ، وفى اليمن طاووس وفى الشام الخولانى وشهر بن جوشب ورجاء بن حيوة ومكحول ، وفى مصر الصابحى وأبو تميم ويزيد بن عبد الله البربى ويزيد بن ابى حبيب ، وفى الكوفة علقمة بن قيس والاسود بن يزيد ومشروق وشريح والشعبى وسعيد بن جبير والنخعى وحماد بن أبى سليمان والاعمش ، وفى البصرة الحسن البصرى وابن سيرين وأبو العالية ومسلم بن يسار وأيوب السختيانى ، وفى خراسان عطاء بن مسلم والضحاك

٤ ــ الشعبى : هو ابو عمرو عامر بن شرحبيل توفى بالكوفة سنة ١٠٤ هـ

وأكثر المحدثين نبغوا فى العصر العباسي الاول ، وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة فى كتاب المعارف (صفحة ١٧٢ ــ ١٧٩)

وليس بين هؤلاء من دون كتابا ، وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس (*) الامام المشهور فى كتاب الموطأ . رتبه على ابواب الفقه وهو مطبوع ومشروح، وسيذكر فى باب الفقه . وذكر بعضهم ان ابن جريج دون الحديث ، لكن لم يصلنا منه شىء

وفى العصر العباسى نضج علم الحديث وضبطت كتبه على أيدى الائمة المحدثين

٥ ــ الفقه (**)

لما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى مايقضــــون به بين رعاياهم فى أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا الى القـــرآن والحـــديث ، فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم .. وذلك طبيعى فى الدول الكبرى ، فاليونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهم دولة كبيرة الا زمنا قصيرا فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . واما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كمـــا اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم ، فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع . لكنه لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرنا على يد يوستنيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٣٣ م ،وهى عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالى الاحقاب من الشعب اللاتينى والصابنى وغيرهما ممن دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهـــد يوستينيان المذكور

(*) المعروف ان تدوين الحديث تأخر الى عصر عمر بن عبد العـــزيز على رأس المائة الثانية . ولكن هذا لم يمنع من تدوين بعض الاحاديث منذ عصر الرســول صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو معروف عن تدوين عبد الله بن عمرو بن العاص . وظل الصــــحابة والتابعون الاولون يكرهون تدوين الاحاديث مقتدين بالرسول الذى كان يخشى أن يشغل المسلمون بشىء عن القرآن الكريم ، ولكن هذا لم يمنع من تدوين أطراف منه عند بعض التابعين ، أنظر فى ذلك تدوين العلم للخطيب البغدادى . حتى اذا كان عصر عمر بن عبد العزيز أخذ المسلمون يدونونه تدوينا عاما ، وكان أول من قام بذلك ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ وتتابع التأليف ، ففى البصرة ألف فيه سعيد بن أبى عروبة والربيع بن صبيح وفى الشـــام الوليد ابن مسلم وفى الرى جرير بن عبد الرحمن وفى خراسان عبد الله بن المبارك وفى واسط بالعراق هشيم بن بشير وفى الكوفة أبو بكر بن أبى شيبة ثم خلف هؤلاء الطبقة الثالثة من التابعين وعلى رأسهم مالك . أنظر المقريزى فى الخطط وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ومقـــدمات شروح البخارى ومسلم وقوت القلوب للمـــكى وفجر الاسلام لاحمد أمين وتمهيـــد لتـــاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرازق

(**) أنظر فى الفقه والفقهاء زمن الرسول والخلفاء وبنى أمية الفصل الثالث من الباب السادس من كتاب فجر الاسلام لاحمد امين ، ومحاضرات فى تاريخ الفقه الاسلامى لاحمد يوسف موسى والعقيدة والشريعة فى الاســـلام لجولدتسيهر ، وتاريخ التشريع الاسلامى لمحمـــــد الخضرى ودائرة المعارف الاسلامية

وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث .ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم ، وهو من أفضل شرائع العالم . وقد أسرعوا فى ذلك مثل سرعتهم فى تأسيس دولتهم ونشر دينهم ..

قلنا ان القرآن أساس الفقه الاسلامى ، وكان المسلمون فى عهد النبى يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاها .. فلم يكن ذلك يحتاج الى نظر أو قياس . فلما توفى رجع الصحابة الى القرآن والسنة ، فأصبح القــراء أول فقهاء المسلمين او حاملى شريعتهم . وكانوا يرجعون اليهم فى الفتيــا والاحكام لقلة الذين يقرأون فى الصدر الاول ، فلما عظمت أمصار الاســلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء ..

الفقهاء

وأول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون ، وأولهم الخلفاء الراشدون ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وسلمان ، وابو الدرداء ، وأبو موسى الاشعرى ، (١) ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين ، واشتهر منهم سبعة : سعيد بن المسيب ، وابو بكر بن عبد الرحمن ، وقاسم ، وعبيد الله ، وعروة ، وسليمان ، وخارجة ، وقد جمعهم بعض العلماء فى هــذين البيتين :

ألا كل من لا يقتــدى بأئمة   فقسمة ضيزى ، عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاســم   سعيد سليمان أبوبكر خارجه (٢)

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء ، (٣) وعنهــم انتقل الفقه والفتيا فى العالم الاسلامى . وفى أوائل الاسلام ، كان الفقــه والقراءة والتفسير والحديث علما واحدا .. ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملا بناموس الارتقاء ، فلما استقل الفقه سموا أصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير فى الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففى أيام بنى أمية كان المرجع فى الفقه والفتيا الى أهل المدينة ، وكان الخلفاء لا يقطعون امرا دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموى آثارا مكتوبة لأن الفقه نضج وتكيف بعد نبوغ الائمة الاربعة فى العصر العباسى

---

(١) الدموى ٥١ ج ١   (٢) ابن خلكان ٩٢ – ١
(٣) أبو الفداء ٢٠٩ ج ١

العلوم اللسانية

فى العصر الاموى

ونريد بها العلوم التى ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون فى العصر الاموى ، ولم يتكون منها فى هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام . وسنتكلم عن كل منها:

١ — النحو

النحو بمعناه الحقيقى طبيعى على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه ، لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق .. اذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره . اما اذا أراد ان يتعلم لسانا غير لسانه ، فدرس قواعد النحو فانه يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضى قرونا عدة وهى تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل أن تدون قواعد النحو وتجعله علما .. فاليونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا فى القرن الخامس قبل الميلاد . واول من بدأ بذلك منهم بروتغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق ٠ م ٠ فتكلم فى المذكر والمؤنث وبعض الاسماء ، ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم فى المترادفات ، ثم جاء أرسطو وغيره وأتموا علم النحو اليونانى وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربى . وكذلك فعل الرومان فى نحو اللغة اللاتينية ، فانهم لم يدونوا قواعده الا فى القرن الاول قبل الميلاد فى زمن بومبيوس .. وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فاليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو فى لسانهم .. فنظم هوميروس الياذته وأوديسته وهو لم يتعلم قواعد النحو ، فلم يضره ذلك شيئا لان اللغة كانت ملكة فيه . والف اسخيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ، ونبغ الفلاسفة امثال اناكسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه المشهور قبل وضع النحو . وكذلك الرومان ، فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وضع النحو العربى وواضعه (*)

وهكذا العرب ، فقد نظموا الشعر والقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لأن ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم .. على أنهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطر اليه اليونان والرومان ، التماسا للدقة فى ضبط معانى القرآن .. فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى النحو . ويغلب على ظننا انهم نسجوا فى تبويبه على منوال السريان ، لأن السريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب فى أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوى الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٤٦٠م (١) ، فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان فى العراق اطلعوا على آدابهم وفى جملتها النحو ، فأعجبهم .. فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك ان العرب بدأوا بوضع النحو وهم فى العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام فى العربية هى نفس أقسامه فى السريانيه

أما استعجال العرب فى تدوين النحو فانه تابع لاستعجالهم فى الفتح ونشر الدين ، لأن الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم ، والاختلاط دعا الى فساد اللغة .. فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو مافى القرآن ، الا من خالطهم من الموالى والمتعربين ، فان هؤلاء كانوا حتى فى أيام الرسول يخطئون فى الاعراب.. وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة الرسول فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال ابو بكر . « لان أقرأ فأسقط أحب الى من ان أقرأ فألحن » (٢) ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق ، فتذمر العمال مما كانوا يسمعونه من اللحن وخصوصا فى قراءة القرآن ، وأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

اما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع أبوالاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وكان من سادات التابعين صحب على بن أبى طالب وشهد معه واقعة صفين ثم اقام فى البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان او اطلع على نحوها فرغب فى النسج على منواله ، فعرض ذلك على والى العراقين يومئذ زياد ابن أبيه فأبى (٣) .. حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه أمرا فسمعه يقول : « اصلح الله الامير توفى أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن ، فبعث الى أبى الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث ابا الاسود على وضع النحو ، لكنهم مجمعون على انه واضعه كما قدمنا . وهو يقول انه تلقى ذلك عن على بن أبى طالب

(*) انظر فى ذلك ضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى .. وكلمة نحو فى دائرة المعارف الاسلامية

(١) شعراء السريان للقرداحى ١٨

(٢) المزهر ١٩٩ ج ٢

(٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الاقل ثابت لابى الاسود ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه فى عرض كلامه عن خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعى الكتب .. فكان فى جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود فلحاف وصكاك وقرطاس مصرى وورق صينى وورق تهامي وجلود أدم وورق خراسانى ، وبينها أربع أوراق . قال: « أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من أبى الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوى وتحته هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه أبو الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة ، فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل ، فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على الرفع والنصب والجر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجىء

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاعاجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن .. فاضطروا الى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالا بذلك . بدأ بعلم النحو أبو الاسود وأتمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا فى العصر العباسى. وسيأتى الكلام عليه هناك

٢ ـ الحركات

ونعنى بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها ، اضطروا الى وضعها فى أوائل الاسلام لضبط الاعراب فى قراءة القرآن . وكان القرآن فى أول الاسلام محفوظا فى صدور القراء ، لا خوف من الاختلاف فى قراءته لكثرة عنايتهم فى تناقله وضبط الفاظه حتى دونوه وكثر أهل الاسلام .. فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا اليه الحركات ، واول من رسمها أبو الاسود الدؤلى المتقدم ذكره .. فانه وضع نقطا تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ، ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطا لتمييز الاسم من الفعل والحرف ، وليس لتمييز الباء من التاء أو الجيم من الحاء . والارجح انه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه فى العراق ، وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها : اسم هى ، أم فعل ، أم حرف .. مثل قولهم «كتب» فيمكن ان تكون اسما جمع كتاب أو فعلا ماضيا معلوما أو مجهولا . وكان عندهم أيضا نقط هى حركات ، وصفها يعقوب الرهاوى قبيل ذلك الزمن ، (٢) وهى عبارة عن نقط كانت ترسم فى حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم الى اليوم

(١) الفهرست ٤٠ (٢) اللمعة الشهية ٢٠

فالظاهر أن أبا الاسود اقتبس هذه الحركات • ويؤيد ذلك أنه لما أراد التنقيط أتوه بكاتب ، فقال له أبو الاسود : « اذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحروف فانقط نقطة فوقه على أعلاه • وان ضممت فانقط نفطة بين يدى الحرف • وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » (١) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط • والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط • وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفا كوفيا منقطا على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة ، وتحته كسرة ، وبين يدى الحرف ضمة ، كما وصفها أبو الاسود

صور الحركات

اما صور الحركات التى وصلت الينا .. نعنى الضمة والفتحة والكسرة فلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذى وضعت فيه ، ولكن الغالب انها وضعت فى القرون الاولى للاسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان لان هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم فى القرن الثامن للميلاد نقطا كما فعل العبرانيون • والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ ، أما فى العربية فهى ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون السنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ فى آشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ، ولم يفطنوا لوضع الحركات الا بعد الميلاد المسيحى . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس فى القراءة النقطة الكبيرة التى استخدمها السريان كما تقدم • والغالب أنها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته ، وهى عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما ، كالامالة والاشمام ونحوهما

أما السريان الغربيون ، فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية ، واخذوا منها خمسة أحرف صوتية هى Y.E.H.O.A. عبروا بها عن الحركات ، كل حرف يجانس الحركة التى يدل عليها فى اليونانية . وقد تم ذلك فى المائة الثامنة للميلاد .. اذ نهض السريان لتحرير الفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها ، وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم ، فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد اهتموا بضبط لسانهم مثل السريان ، فاقتدوا بهم أولا بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت الينا .. لكنهم لم يقتبسوها من أحرف الالسنة الاخرى كما فعل السريان ، بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتدل على الحركات • والحركات العربية لا تقل عددا عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ،

---

(١) الفهرست ٤٠

ولكن الاحرف الصوتية فى العربية ثلاث فقط (الواو والالف واليـــــاء) فستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهى الحركات الرئيسية ، وتركوا سائر الحركات المختلسة كالاشمام والروم والامالة لفطنة القارىء . واذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماما والفتحة تشبه الألف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء . فاما أنها كانت عند أول أستخدامها أقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال ، أو أنهم قلدوا بها حركة الكسر عند السريان الشرقيين ، وهى نقطتان أسفل الحرف فرسمهما العرب معا فجاءتا كالكسرة . أو لعلهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها كالكسرة العربية وهى (˜) وقد قال الامام الرازى : « الحركات أبعاض المصوتات »

المده والشدة والوصلة والهمزة

وفى الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلفظ بالمد أو الوصل أو الادغام، وهى أحدث فى استنباطها من الحركات التى تقدم ذكرها . ولكنها وضعت قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المدة« ˜ » والشدة « ّ » والوصلة « ٙ »وكلها مقتطعة من ألفاظ تؤدى المعنى المراد من وضعها . فالمدة مقطوعة من « مد » والشدة من « شد » والوصلة من « صل » .. وذلك أن الكاتب كان اذا أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذى يريد مده قوله « مد » بصيغة الامر ، وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط ، وفوق الالف المراد وصلها كلمة « صل » . وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما يفعلون حتى اليوم فى علامات ضبط قراءة القرآن ، فيكتبون فوق الكلمة « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهرا يكتبون علامات المد والشد والوصل بصـــــــورها الاصلية ثم اختصروها ، فكانوا يعبرون عن حركة المد أولا بكتابة لفظ « مد » وعن التشديد بلفظ « شد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صــورها بالاستعمال فصارت المد « مد » والشدة « سد » والوصلة «صل» ثم اختصرت فى الكتابة الى ما هى عليه الآن . وقد أطلعنا فى معرض دار الكتب المصرية على كتاب مخطوط فى أوائل القرن الخامس للهجرة ، وفيه هذه العلامات قريبة جدا من الفاظها الاصلية . وهذه صورتها فى ذلك الكتاب «مد» للمدة و «سد» للشدة و «صـ» للوصلة

أما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة «عـ» ، ولعلهم يرمزون عنها بالعين لتقارب لفظيهما ، وكثيرا ما تتبادلان ، أو أنهم رسموا العين مقطعة من لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد

ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع فى آخر الرسالة أو الكتاب . ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي «؟» او نحوها ، والغالب فى اعتقادنا أنها بقية لفظ « صح » التى كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣ ــ الاعجام

كان الخط لما اقتبسه العرب من السريان والانباط خاليا من النقط . ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم · فالاعجام حادث فى العربية وهو قديم فيها. والظاهر أن المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر ، والتبست القراءة عليهم لتكاثر الاعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم .. فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة فى شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء ، فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق فى أيام عبد الملك بن مروان · قال ابن خلكان : « ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض ، فيقال أن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادا وأزواجا وخالف بين اماكنها ، فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام» (١) وفى عبارة ابن خلكان هذه التباس فلا يفهم المراد بها ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف أى اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر ان النقط المذكورة هى من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصرا هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه · ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هى الآن ، وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا فى معرض الخطوط فى دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردى « البابيروس » مؤرخة سنة ٩١ هـ ، وفيها اعجام لكنه قاصر على الصور المتشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على اســـتواء واحد . وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام . وقد تجد خطوطا قديمة منقطة ومحركة وخطوطا حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها فى وقت واحد ، ولكنهم تدرجوا فى ذلك حسب الحاجة فى أزمنة مختلفة . ويتضح ذلك لمن يتأمل فى المخطوطات العربية القديمة ، فانك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الان الا بتوالى الاجيال . وآخر حرف أعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة . وأول من فعل ذلك المرسلون الامريكيون فى بيروت فى أوائل القرن الماضى

٤ ــ التاريخ والجغرافية

فى زمن بنى امية

لم يكن عند عرب الجاهلية من التاريخ الا أخبار متفرقة ليست من التاريخ فى شىء ، فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

لهم الامر ونزعوا الى الجهاد ٠٠ تدرجوا فى وضع التاريخ مثل تدرجهم فى سائر العلوم الاسلامية . وهو قسمان :

١ ـ تاريخ المسلمين وأعمالهم وتراجم رجالهم وهـــذه قد استخرجها العرب من أعمالهم

٢ ـ تاريخ الامم الاخرى ٠٠ وهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بنى أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس فى معرفة أخبـــار مشاهير الامم الاخرى ٠٠

فمعاوية بن أبى سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبـــار فى كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ، فيقصون عليه من أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها فى رعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم ، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرأون عليه ما فى تلك الكتب من سير الملوك وأخبار الحروب ومكايدها وانواع السياسة (١) . والغالب فى اعتقادنا ان تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وفيها أخبار ابطال اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنيبال ، وان الغلمان كانوا يفسرونها له بالعربية .

وسماع أخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان أكثر القواد العظام الراغبين فى العلا من العرب وغير العرب يستتلون أخبار من سبقهم من مشاهير القواد والساسة للعبرة

أما تدوين التاريخ فى اللغة العربية ، فبدأ فى زمن بنى أمية مع رغبـــة المسلمين عن التدوين فى ذلك العصر لاسباب بيناها فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ٠ ولكنهم اختصوا عدم التدوين بالفقه والتفسير ، فـــلم يدونا الا فى القرن الثانى . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس ، فانه مروى عنه سماعا

ويظهر انهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبى قبل تدوين حروبهم وفتوحهم ، اذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ .. انما فعلوه لحاجة الخلفـــــاء الى الاطلاع على احوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شرية (*) الف كتاب الملوك وأخبار الماضين لمعاوية بن أبى سفيان ، ذكره صـاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون ابحاث هذا العلم « علم أخبار الماضين » . وذكر ابن النديم كتبا فى موضوعات مختلفة الفها ابو مخنف الازدى من أصحاب على ، فيها تراجم المشاهير ونحوهم ، وكتابا الفه عوانة ابن الحكم الكلبى فى التاريخ، وآخر فى سيرة معاوية وبنى أمية فى القرن الثانى للهجرة . ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب

---

(١) المسعودى ٥٢ ج ٢

(*) أنظر دائرة المعـــارف الاسلامية فى ترجمة عبيد وكذلك زميله وهب بن منبه ، وهما أقدم المؤرخين العرب ، وقد كتب أبان بن عثمان بن عفان كتابا فى تاريخ الرسول وغزواته ، كما كتب فى ذلك عروة بن الزبير ٠ وانظر مادة تاريخ فى دائرة المعارف الاسلامية ، والفصل الاول من الباب الخامس فى فجر الاسلام لاحمد امين

والتاريخ مما كتب فى زمن بنى أمية (*)

ومن العلوم التاريخية التى ولدت فى العصر الاموى علم الانساب ، وقد علمت ان الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون فى صدر الاسلام لاثبات انسابهم . وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلة الشخص من الدولة أو المنصب فجعلوها علما . وأول من احتاج الى ذلك زيادة بن أبيه الداهية المشهور الذى استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على اعدائه ، فعمل فى نسبه كتابا دفعه الى ابنه . ذكر ذلك ابن النديم ايضا ، ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر أيضا من أقدم النسابين فى الاسلام دغفل والحجر بن الحارث والبكرى ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتبا

وبالاجمال أن التاريخ ولد فى زمن بنى أمية، ولم ينضج الا فى العصر العباسى . وعلى كل حال فان العرب من أسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا، لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون . وأول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) أى بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بموضوعات خاصة ، ولم يدونوا التاريخ العام الا فى زمن هيرودوتس أى بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافية فلفظها يدل على انها دخيلة ، لكن العرب بدأوا بشىء منها قبل النقل كما سيجىء

٥ — العلوم الدخيلة

نريد بالعلوم الداخلية التى نقلها المسلمون الى اللغة العربية من الالسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم . وهذه نقلت فى العصر العباسى كما هو مشهور ، لكن العرب بدأوا بنقلها منذ أيام بنى أميه وان لم يبق من نقلهم شىء الى الآن

خالد بن يزيد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الاكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعا فى الخلافة بعد وفاة اخيه معاوية الثانى ، فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت الخلافة من بيت ابى سفيان الى بيت مروان . فلما يئس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف ذهنه الى اكتساب العلا بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ فى مدرسة الاسكندرية ، فاستقدم جماعة منهم راهب رومى اسمه مريانوس طلب اليه أن يعلمه صناعة الكيمياء .. فلما تعلمها أمر

(*) طبع بعد تاليف هذا الكتاب كتابان من كتب الاخبار والتاريخ فى عصر بنى امية ، وهما . كتاب اخبار عبيد بن شرية ، وكتاب التيجان فى ملوك حمير لوهب بن منبه وهما مطبوعان فى حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ

(١) Lit. Anc. 359, 232

بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (١) . وهذا أول نقل فى الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغبا فى علم النجوم أيضا ، وأنفق الاموال فى طلبه واستحضار آلاته . ولعلهم ترجموا له شيئا منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شىء من منقولات خالد المذكورة ، ولكنه كان شـديد الولع بالعلوم الطبيعية وخصوصا الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطى فى ترجمة ابن السنبدى أنه شاهد فى خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس ، كتب عليها « حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (٢)

واشتغل بنقل العلم فى هذا العصر بعض أهل الشام ، نقلوا بعض كتب الطب . وممن وصلنا خبرهم من النقلة طبيب كان معاصرا لمروان بن الحكم اسمه ماسرجويه ، سريانى الجنس يهودى المذهب كان يقيم فى البصرة . وظهر فى أيامه كتاب فى الطب هوكناش (حاوى) من أفضل الكنانيش ، ألفه القس أهرون بن أعين فى اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربيـة . فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب فى خزائن الكتب فى الشام .. فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فاستخار الله فى ذلك أربعين يوما ثم اخرجه الى الناس وبثه فى أيديهم . ويدلك ذلك على التردد الذى استولى على الخليفة فى اخراج هذا الكتاب ، مع أنه من كتب الطب لا الفلسفة

وذكر ابن النديم أن سالما كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو الى الاسكندرية . وعلى كل حال لم يبق شىء من منقولات هذا العصر

---

(١) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤
(٢) أخبار الحكماء لابن القفطى ٤٤٠

الآداب الجاهلية

في العصر الأموي

نريد بالآداب الجاهلية الآداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تطورت عندهم ، وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء ، وننظر في كل منها على حدة

١ ـ اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض ادابهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، تتبعهم فيما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير • وقد تتبدل أحوال الامة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى اثار ذلك في ألفاظهاوتراكيبها، وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية ، فاقتضىذلك طبعا أن يحدث فيها ألفاظ جديدة أو تتنوع بعض ألفاظها للتعبير عنالمعاني الجديدة ..

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم : النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جدا ولها فروع واشتقاقات •• حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره • أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر صدر الاسلام ، فليقس عليها

ودخل اللغة في هذا العصر كثير من المصطلحات الادارية كالخلافة والوزارة والحجابة والامامة وغيرها من مصطلحات الجند : كالمسترزقة والمتطوعة والعلوفة والعسكر ، وضروب الحرب وأبواب الهجوم : كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة ، وصنوف الاسلحة : كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها •• ناهيك بمصطلحات الدواوين على اجمالها كقولهم : الثغور والعواصم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضياع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالي والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخرائط والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جدا

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة فى اللغة ، لكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدةاقتضاها ذلك التغيير(١)

٢ ـ الشعر فى العصر الاموى

لم يكن للشعر العربى تأثير فى النفوس ومنـــزلة فى الدولة فى عصر من عصور العرب مثل ماكان له فى العصر الاموى ولا غرابة فى ذلك بعدماعلمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين • ولا بأس من ذكـــر الاسباب التى بعثت على ازدهار الشـــعر فى هذا العصر ومنزلته فى الدولة وتأثيره فى النفوس بايجاز ، ثم نأتى على مميزاته

اسباب رواجه

١ ـ انقسام القبائل بالعصبية • اقتضت سياســـة بنى أمية استعداء القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية • وأول من فعل ذلك معاوية فى الخلاف بينه وبين على وأبنائه • ثم كان انقسام القبـــائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بنى أمية ، ونشبت الحرب فى مرج راهط • وقد تقدمت الاشارة الى ذلك • وأخيرا قام طلاب الخلافة من غير العلويين فى زمن يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وهم الحسين بن على وآل الزبير والازارقة وسعيد بن الاشدق وغيرهم كمـــا تقدم • ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره ، والامويون يستعينـــون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم •• يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير فى نفوس عشيرته لأنه لسان حالها • فازداد الشعراء بذلك نفوذا وتقربا من الخلفاء أو الامراء • وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلا على رضى قبيلته عن سياسته لانه لسان حالها • والقبيـــلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراما لها

٢ ـ سخاء بنى أمية بالاموال : واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلا عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفاً من قطع العطـــاء عنهم • والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين • وكان المسلمون فى صدر الاسلام كلهم جندا ، ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المـــال على شروط مذكورة فى الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب الرعية ، ويجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه • فاذا كان القابض عليه حكيما يعرف كيف يعطى ولمن يعطى ، أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بنى أمية ، وقدوتهم معاوية بن أبى سـفيان أكبر دهاة العرب •• فقد جعل تصرفه فى العطاء وسيلة لاكتساب قلوب

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا تاريخ اللغة العربية « الطبعة الثانية » صفحة ٢٤ومابعدها
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى «الطبعة الثانية» صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين حتى أشياع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأخر به أن يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب في بيت المال مثل سائر المسلمين ، فلم يكن الشعراء يرون بدا من استرضاء بني أمية خوفا من قطع أعطيتهم فضلا عما يرجونه من الجوائز اذا أحسنوا او ضاءهم ..

٣ ــ رغبة بني أمية في الشعر : كان لبني أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شاعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه : قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الاقامة الا أبيات عمرو بن الاطنابة » .

أبتْ لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمدَ بالثمن الرَّبيحِ
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامةَ البطل المُشيحِ
وقولى كلما جشأتْ وجاشت مكانَك تُحْمَدى أو تَستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمى بعدُ عن عَرَضٍ صحيحِ(١)

ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه ببيت شعر له غنته فيه جميلة المغنية وهو قوله :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذى أقرتْ له بالملك كَهْلا وأمْردا

فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده ، وأنفذ له حللا سنية وأدناه وقربه . وقال له يوما : « لو لم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وإنى لأستحييكم إذ يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا » (٢)

وقد راسل عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذاك بمثله (٣) وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحس مثلهم . فالحجاج وهو أشدهم وطأة ، جيء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما أحسنت بالعفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته » فقال له : « وكيف .. ويلك ؟ » قال : « لان الله تعالى يقول : (فاذا لقيتم الذين

---

(١) العمدة ١٠ ج ١ ، والمشيح : الجاد في الامر ، وكلما جشأت وجاشت أى كلما اضطربت نفسى من خوف أو جزع

(٢) الاغانى ٥٧ ج ٨ (٣) الاغانى ٦٨ ج ١٣

كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل » ثم قال : « أو أمنن » فقال الحجاج : « ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف ، وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم ، وكثيرا ما كانوا يجمعون طائفة منهم فى مجلس ويقترحون عليهم ان يصفوا شيئا ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (١) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين آيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك ، اذ جمع اليه الفرزدق وجريرا وكثيرا وابن الرقاع ، وقال لهم : « أنشدونا من فخركم شيئا حسنا .. ففعلوا فى حديث طويل » (٢)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير ، فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور .. اذ بعث برسالة عاجلة من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حمادا الراوية على البريد ، فقضى حماد اثنتى عشرة ليلة فى الطريق وهو خائف من تلك الدعوة العاجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قائله »
فهدأ روعه وقال : « وما هو ؟ » فقال :

فدعوْا بالصَّبوح يوماً فجاءتْ قينـــة فى يمينهـــا إبريقْ

فقال حماد : « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وأنشده اياها
وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو أديب بارع بعثوا فى استقدامه مما يطول بنا ذكره (٣)

وكان من الخلفاء شعراء ، كالوليد بن يزيد ، فقد كان شاعرا بليغا ، وسيأتى خبر ذلك . وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التى مطلعها :

نالتْ على يدها ما لم تنـله يدى نَقشاً على مِعصمٍ أوهتْ بهِ جَلَدى

وربما كانت لغيره ، لكنه كان من أصحاب الشاعرية

وكان لبعض خلفائهم الدهاة شغف بالادب على الاجمال ، ونخص منهم ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشاما . حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة ، وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصا عبد الملك . والادب لا ينمو ويورق ويثمر الا فى ظل محبيه من الملوك أو الامراء ، واذا تدبرت النهضات التى مر بها الادب فى أثناء التمدن الاسلامى رأيت لكل نهضة أميرا أو ملكا أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك فيما يأتى من هذا الكتاب

---

(١) الاغانى ٨٠ ج ٩ (٢) الاغانى ٢٢ ج ١٩
(٣) الاغانى ٤٣ ج٧

فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس فى مجتمعاتهم ومنتدياتهم فى الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام • وكان الرائج من شعراء الجاهلية فى عصرهم امرأ القيس وزهيرا أو النابغة يفضلونهم على سواهم ، ويفضلون جريرا والفرزدق والاخطل على سائر الشعراء المسلمين فى أيامهم • لكنهم كانوا يتناقشون فى أى هؤلاء أشعر وكثيرا ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم • وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج ، اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) • وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ ـ الحركة الادبية فى البصرة والكوفة : قد علمت ما كان من حال هذين البلدين فى العصر الاموى ، وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتمدنة • وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم • وفيهما ولد النحو وغيره من الاداب اللسانية ، فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم • فكان ذلك من جملة البواعث على ازدهار الشعر فى العصر الاموى

على أن الشرق كله كان يومئذ فى نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان، فقد نبغ فيها الشعراء والادباء فى القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه ، فحدثت فيه تلك النهضة

مميزات الشعر فى العصر الاموى

الانسان صنيعة الاقليم ، فتتغير أطواره وأحواله بتغير البيئة المحيطة به • ويظهر أثر ذلك فى نتاج قريحته أو فكرته • وقد رأيت أن العرب اختلفت أحوالهم فى العصر الاموى عما كانت عليه فى زمن الجاهلية أو فى زمن صدر الاسلام فظهر أثر ذلك فى ثمار قرائحهم وخصوصا الشعر • واليك أهم مميزاته فى ذلك العصر :

١ ـ خلوه من وحشى الكلام : ان قرب العصر الاموى من الجاهلية ورغبة الامويين فى البداوة وتقليدهم عرب الجاهلية فى ادابهم وأشعارهم ، كل ذلك أبقى للشعر الاموى بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة . لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث ، فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشى • فهو من حيث البلاغة أحسن فى هذا العصر مما فى سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ ـ كثرة التشبيب (*) : كان الشاعر الجاهلى يقول الابيات تغزلا فى حبيبته ، يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق ، ولا

---

(١) المزهر ٢٤٠ ج ٢ (٢) Lit. Comp. 107

(*) أنظر فى كثرة التشبيب والغزل بهذا العصر الجزءين الاول والثانى من كتابنا « الشعر الغنائى فى الامصار الاسلامية » •• وهما خاصان بالمدينة ومكة وحديث الاربعاء لطه حسين ج أول

يشبب فى غير حبيبته أو خطيبته ، وقد يسميها بغير اسمها • والغالب أن يكنى عنها باحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبه فيمنعوه من التزوج بها ، لانهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى أن أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواه بعد موته (١) . ويندر فى الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته. واذا فعل فلداع فوق العادة ، كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) • وقد رأيت الشعراء العشاق فى الجاهلية يعدون على الاصابع ، فأصبحوا فى العصر الاموى أضعاف ذلك ، وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله ..

وذلك طبيعي فى الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة ، وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا •• فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوار فى كل معركة من المعارك • وكانت السبايا فى صدر الاسلام كثيرات ، وأكثرهن من الروم والفرس • والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمونهن فى حاجات المنزل ، ويستبقون الجميلات منهن للتسرى . فتحركت القلوب وتنبهت القرائح للموضوعات الغزلية ، وصار الشعراء يشببون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا على حرمة الادب ، فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا جلده (٣)

فلما أفضت الدولة الى بنى أمية ــ وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق ، وكثر الاختلاط بالاعاجم ، وأخذ العرب بأسباب الحضارة ، وذهبت هيبة العفة من نفوسهم ، وانقضت شدة الخلفاء الراشدين فى المحافظة عليها ــ هان عليهم التشبيب ، فأكثروا منه ولا سيما فى المدينة لان أهلها أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك • فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم ، فكثر اللهو فى المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجرأ الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم

امام أهل النسيب

على أن امام أهل النسيب والغزل فى الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصرا لعبد الملك بن مروان • وهو الذى وطأ النسيب للشعراء ، فأكثر منه وتفنن فيه •• لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة وهو فى عرف أهل الادب « أمام المحبين » (٤) فاستحسن الناس تشبيبه لانه طبيعى صادر عن شعور صادق ، فأخذوا يقلدونه فيه •• فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمى ، واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين

---

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢
(٢) العمدة ١٢٢ ج ١
(٣) الاغانى ٩٨ ج ٤
(٤) الاغانى ٨٠ ج ٧

كلبلى ودعد وهند وشببوا بهن تقليدا . وبعد أن كانت بثينة مثلا معشوقة جميل بن معمر ، صارت عروسا للشعر يباح التغزل بها لمن أراد • وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبته ولا حرج عليه ، وأراد الشـعراء تحديه والتغزل بجميلات النساء وهن فى الغالب بحوزة الامراء أو الخلفـاء .. فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن ، فلم يكن يجرؤ على المجـاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع له • ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش ، نظرا لما كان للقرشى من المنزلة الرفيعة والهيبة فى العصر الاموى • ولان القرشـيين أقرب الى الحضارة لنزولهم فى مكة ، واليها يحج الناس من أقطار العالم ومعهم أجمل النساء

شعراء قريش والتشبيب

وأول من تجرأ على التشبيب منهم ابن أبى عتيق ، وهو ابن حفيـد أبى بكر الصديق • ويقولون انه كان طاهرا عفيفا يشبب عن غير ريبة ، ثم عمر بن أبى ربيعة من قريش ، والعرجى وهو من قريش أيضا ، وغيرهم ، وكلهم من شعراء العصر الاموى • فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب ، وصاروا يعتقدون أن الشعر لا يحسن الا به لما فيه من عطف القلوب • فيبدأ الشاعر الحضرى بذكر الحبيب والصـدود والهجران ، كما يبدأ البدوى بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم يأت اخر عصر بنى أمية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحا أو فخرا الا صدره بأبيات فى الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح • ذكروا شـاعرا أتى نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسـان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيبا وعشرة أبيات مديحا ، فقال له نصر : « والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شـغلته عن مديحى بنسيبك » (١) • ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصا بالشعر العربى ، فان فى شعر اليونان شيئا من ذلك (٢)

على أن شعراء العرب كثيرا ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنهـا أو زوجها (٣) وقد يكون التشبيب بالبنات وسيلة لزواجهن كما فعل نصيب مولى عبد العزيز بن مروان ، وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبنا وطلبت اليه أن يشبب بها ، فقال : « ما اسمك ؟ » قالت : « هند » قال : « وما اسم هذا الجبل ؟ » قالت : « قنا » (٤) فأنشأ يقول :

أحب قَنَاً من حُبِّ هندٍ ولم أكن أبالى أقُرْباً زاده الله أم بعـدا

ألا إن بالقيعان من بَطْنِ ذى قنـا لنا حاجةً مالت إليـه بنـا عمدا

أرونى قنـا أنظـرْ إليـه فإننى أحبُّ قنا إنى رأيت به هنـدا

---

(١) العمدة ٩٩ ج ٢
(٢) جويدى فى المشرق ٤٢٧ سنة ١٠
(٣) الاغانى ١٥٤ ج ١
(٤) قنا : جبل لبنى فزارة

وشاعت هذه الابيات وخطبت هذه الجارية من أجلها (١)

الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يغضبون لنسائهم اذا شبب بهن أحد لغلبة طبائع البدو عليهم ، وينقمون على المشبب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن أبى ربيعة عصيانا لله (٢)

وقد يكبر على الخليفة أن يظهر غضبه على الشاعر اذا شبب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال ، كذلك كان يفعل معاوية (٣) وهو أوسع الناس صدرا . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٤) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسع صدره ذلك الكظم ، فأخذ يتوعد الشعراء اذا شببوا . وبلغه أن وضاح اليمن شبب بامرأته فقتله فيما يقال (٥) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن أبى ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء أو يعملون بأوامرهم فى ذلك ، فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبب ببعض نسائها (٦)

ولكن المرأة كان يسرها أن يشبب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ، ولكن يسرها ما فى التشبيب من الاعجاب بجمالها (والغوانى يغرهن الثناء) سواء فى ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا أن زوجة الوليد بن عبد الملك هى التى اقترحت على وضاح اليمن أن يشبب بها .. واقترحت أم محمد بنت مروان بن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبى ربيعة أن يشهرها بشعره ، وبعثت اليه ألف دينار .. فأبى أن يؤجر على التشبيب ، فابتاع بالجائزة حللا وطيبا وأهداه اليها فردته . فقال فيها أبياتا مطلعها :

أيها الراكبُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضى من تِهامةَ الأوْطارا (٧)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ فى العصر الاموى

٣ ــ المهاجاة بين الشعراء : كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما فى قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته فى العصر الاموى وأجاد الشعراء فيه . ولبعضهم مهاجاة ونقائض تدخل فى كتاب ضخم

الهجاء السياسى

وقد راج الهجاء فى العصر الاموى لاحتياج ولاة الامر اليه بسبب الانقسام الذى قام بين الاحزاب المختلفة ، وهو الهجاء السياسى . وكان أكثر الشعراء

---

(١) الاغانى ١٤٨ ج ١٣ (٢) الاغانى ٣٦ ج ٦ (٣) الاغانى ١٤٨ ج ١٣
(٤) الاغانى ٢٦ ج ٦ (٥) الاغانى ٣٦ ج ٦ (٦) الاغانى ٤٨ ج ٤
(٧) الاغانى ٦٦ ج ١

يأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة ، وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بألسنتهم على أعدائهم ، لتأثير الهجاء فى نفوس العرب لشدة احساسها ونخوة أهلها

وقد بدأت المهاجاة فى الاسلام بين شعراء النبى وأعدائه القرشيين • ثم صارت بين قريش واليمن • وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك • وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه ، كل طائفة تنتصر لاصحابها • ولما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه ، وقال : « فى ذلك شتم الحى بالميت وتجديد للضغائن » (١)

فلما أفضى الامر الى معاوية ، اقتضت سياسته ومصلحته أن يجدد تلك الضغائن .. فجعل يغرى الشعراء على الطعن فى الانصار لانهم أصحاب على ابن أبى طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طى الخفاء . ومن الذين أغراهم على ذلك الطعن الاخطل (*) الشاعر التغلبى المشهور •• فعظم ذلك على الانصار خصوصا لانه نصرانى ، واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم ، وهو يومئذ النعمان بن بشير ، ودخل على معاوية وانشده قصيدة فى الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوىَ إلا تُعطنا الحقَّ تعترفْ لِحىَ الأزد مشدوداً عليها العمائم

أيشتمنا عَبْدُ الأراقم خلة وماذا الذى تجرى عليك الأراقم

فما لىَ ثأرٌ دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم

ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأنسابهم ، وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وإنى لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلالم

أصانع فيها عبد شمسٍ وإننى لتلك التى فى النفس منى أكاتم

فما أنت والأمر الذى لست أهله ولكنْ ولى الحق والأمرِ هاشمُ

فلما سمع معاوية تهديده أظهر أن الاخطل فعل ذلك من عند نفسه ، وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل ، لو لم يستجر الاخطل بيزيد ابن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للأخطل ، فجعله عبد الملك بن مروان شاعر الدولة • وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار وقريش الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى أمية ، وانتشر ذلك فى أطراف المملكة الاسلامية • وكان سديف الشاعر

---

(١) الاغانى ٥ ج ٤

(*) الصحيح أن الذى أغرى الاخطل بهجاء الانصار يزيد لا معاوية أبوه • أنظر ترجمة النعمان ابن بشير فى الاغانى وديوان الاخطل (طبعة بيروت)

(٢) الاغانى ١٢٦ ج ١٤

يخرج فى جماعة من موالى بنى هاشم فى مكة ، وشبيب يخرج فى جماعة من موالى بنى أمية ، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف ، وكان يقال لهم السديفية والشبيبية ، وكان أهل مكة منقسمين بينهما فى العصبية

الهجاء الادبى

على أن التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة ، ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال . وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان المقدرة على الهجاء ، ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما .. كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطبة العذرى وتنافسا فى أيهما أفضل أبا وحسبا (١)

وأشهر ضروب المهاجاة فى العصر الاموى المهاجاة بن جرير والفرزدق ، وبين جرير والاخطل (*) وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادىء فى ذلك كله هو جرير ، وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخطل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم فى مجالسهم وموضوع مناقشاتهم فى أى الشاعرين أفضل . وانقسم الناس فى ذلك حزبين : نسب احدهما الى جرير فسمى جريريا ، والاخر الى الفرزدق فسمى فرزدقيا . وكثيرا ما احتدم الجدال بين الادباء فى المجالس حتى آل الى الخصام . وسيأتى تفصيل ذلك فى الكلام عن شعراء بنى أمية . وقد يكون الباعث على الهجاء تخويف المهجو ليسترضى الهاجى بالمال أو غيره ، كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسى ، فاشتهرت مهاجاة بشار بن برد وحماد (٢) ، ومهاجاة أبى العتاهية ووالبة (٣) .. على أن اشتغال الناس بالمناقشة فى الشعراء وتفاضلهم طبيعى فى كل عصر ، وليس هو خاصا بالعرب .. فقد كان اليونان أيضا يفعلون ذلك (٤)

٤ — نبوغ الموالى فى الشعر : قد رأيت انه لم ينقل الشعر فى الجاهلية من الموالى الا عبد بنى الحسحاس . وأما فى الاسلام فانتظم فى عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب ، (٥) وفيهم الفرس والروم وممن دخل فى حوزة العرب فى أثناء الفتح ثم أسلموا . وأكثرهم من موالى بنى أسد وقريش .. وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقيد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيرا من المعانى الشعرية نقلا عن لغاتهم الاصلية

٥ — الشعر السياسى أو المديح للاستجداء : قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح ، لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم .. وانما كانوا

---

(١) الاغانى ١١٢ ج ١٩

(*) انظر فى هذه المهاجاة وسابقتها وما تطورتا اليه من نقائص كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » الفصل الثالث

(٢) الاغانى ٧٤ — ٨٦ ج ١٣ (٣) الاغانى ١٥٠ ج ١٦ (٤) نكلسن ٢٠٤

(٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

يمدحون شكرا لصنيع . وأما فى العصر الاموى ، فأصبح الغرض الاول من المدح التماس العطاء ، وقد جرهم الى ذلك استدرار الخلفاء للمدح ببـذل الاموال للاسباب التى قدمناها

فأصبح الاستجداء عادة مألوفة ، ونبغت طائفة كبيرة من المداحين ، وكانوا يتذبذبون فى مدحهم تبعا لما يرجونه من العطاء أو يخافونه من النقـمة . ولذلك كان أكثر مديحهم فى الامويين أصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح أحدهم بنى هاشم أو آل الزبير أو غيرهم من أعـداء الامـويين . ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا من غضبهم لأن الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا شعراء الشيعة ينظمون المدائح فى الامويـين . ومن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية أو ابن الزبير وبنى أمية

٦ ـ وصف الخمر : لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا فى العصر العباسى، لكنهم بدأوا بذلك فى العصر الاموى على اثر انغمـاس الامويين فى القصف واللهو فى أواخر الدولة ، وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليع السكير . وقد ذكر الخمر فى الجاهلية عدى بن زيد والاعشى، ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجة بقوله :

وتظل تَنْتَحفنـا بهـا تَرْوِيَّةٌ إبريقهـا برقاعه مَلْثـومُ
فإذا تعـاورتِ الأكفُّ زجاجهـا نَفحتْ فشَمَّ رياحَها المزكوم (١)

ثم أجاد فى وصفها الوليد بن يزيد (*) بقصيدة قال منها :

من قهـوةٍ زانهـا تقادمُهـا فهى عجـوزٌ تعلو على الحِقَبِ
أشهَى إلى الشَّرْب يوم جَلوتها من الفتـاة الـكريمة النسب
فقـد تجلتْ ورقَّ جـوهرها حتى تبـدَّتْ فى منظـر عَجبِ
فهى بغـير المـزاج من شَررٍ وهى لدى المزج سـائلُ الذهب
كأنهـا فى زجاجهـا قَبَسٌ تذكو ضِـياء فى عَيْن مُرْتقب

وله فى وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء فى أشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما أبو نواس ، فانه سلخ معانى الوليد كلها وجعلها فى شعره . (٢) وأخذ أبو نواس أيضا من الحسين بن الضحاك ، (٣) وكان معاصرا له وأخذ من والبة وكان أستاذه

---

(١) الاغانى ٨٤ ج ٨
(*) انظر فى الوليد بن يزيد وخمرياته ، الفصل الرابع من كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » وقد جمع جبرييلى ديوانه ونشره فى المجمع العلمى العربى بدمشق
(٢) الاغانى ١١٠ ج ٦ (٣) ١٧٠ ج ٦

شعراء العصر الأموى

تكاثر الشعراء فى العصر الاموى للاسباب التى قدمناها ، فزاد عددهم فى أثنائه ـــ وهى تسعون سنة ـــ على شعراء الجاهلية الذين نبغوا فى أثناء قرنين وبعض القرن . فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعرا على اختلاف القبائل والبطون ، وزاد عدد شعراء العصر الاموى على ذلك .. نعنى الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا أخبارهم .. وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم الا أبيات أو قصائد ذكرت فى كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب ، أو ضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار أكثر الجاهليين ..

١ ـــ شعراء العصر الاموى بالنظر الى قبائلهم

اذا نظرنا الى شعراء العصر الاموى من حيث قبائلهم وأنسابهم ، رأينا أكثر شعراء العرب من قيس ، ثم قريش ، فاليمن ، فتميم ، فربيعة ، فمضر ، فقضاعة . وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذه الناحية اختلافا كبيرا ، وان اتفقوا معهم فى أن الاكثرية من قيس .. فشعراء قريش كانوا فى الجاهلية عشرة ، فصاروا فى العصر الاموى ٢٣ ، وسبب ذلك بديهى لان القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . وبعكس ذلك شعراء ربيعة ، فقد كانوا فى الجاهلية ٢٠ فصاروا فى العصر الاموى ١١ ، والسبب طبيعى أيضا لان ربيعة كان لها الشأن الاكبر فى الجاهلية اذ قامت باستقلال الحجازيين من سلطان اليمن ، وكثرت حروبهم وأيامهم

وأعتبر ذلك فى القحطانية أو شعراء اليمن ، فقد كانوا فى الجاهلية ٢٢ فصاروا فى العصر الاموى ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . وأما تميم فعدد شعرائها فى العصرين واحد لان حالها لم تختلف فيهما . أما اياد فلم ينبغ منهم فى ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم فى هذا العصر الاموى شاعر وكانوا فى الجاهلية ٤ على أن طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت فى هذا العصر ، لم يكن منها فى الجاهلية الا واحد نعنى الموالى أو العبيد ، فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعرا . وهذا جدول (*) فى المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بنى أمية من حيث أنسابهم على وجه التقريب :

(*) هذا الجدول وما تضمنه من تعداد ونسب تقريبى

اسم القبيلة	شعراؤها فى الجاهلية	شعراؤها فى العصر الاموى
قيس	٢٧	٢٦
ربيعة	٢٠	١١
تميم	١٢	١٣
مضر (غير قيس وقريش وتميم)	١٦	٩
قريش	١٠	٢٣
القحطانية (اليمن)	٢٢	١٦
قضاعة	٤	٨
أياد	٢	..
اليهود	٤	..
الموالى	١	٢١

٢ ـ شعراء العصر الاموى بالنظر الى أغراضهم

واذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم ، رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافا كبيرا .. فقد كانت الاكثرية فى ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين ، وكان عددهم بضعة وأربعين شاعرا ، فصاروا فى العصر الاموى قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة والذهاب بعض الاريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة فى الشعر الاموى بكثرة العشاق واهل الغزل ، وكانوا فى الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين وأهل الخلاعة عددهم ٦ ، ولم يكن منهم فى الجاهلية الا القليل

على أن الاكثرية فى العصر الاموى لطبقة من الشعراء سميناهم « شعراء السياسة » لاشتغالهم بالدفاع عن الاحزاب التى قام النزاع بينها على السيادة فى ذلك العصر ، واكثرهم طبعا بجانب الامويين لانهم أقوى الاحزاب . ويليهم الخوارج ، والعلويين ، وغيرهم

ويقسم العصر الاموى بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الاول : منذ بدء الدولة الاموية (سنة ٤١هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ، ومعظمه فى زمن معاوية . ويجوز أن نسميه « دور معاوية » . وشعراء هذا الدور لايتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين ، وكانت الدولة الاموية فى أيامهم لم ترسخ قدمها بعد .. فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه ، وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصارا للانصار أو العلويين

الدور الثانى : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور : مروان وابنه عبد الملك ، فالوليد ، فسليمان ، فعمر بن عبدالعزيز . ولكن معظمه فى زمن عبد الملك بن مروان ، بحيث يصح أن ينسب اليه .. فيقال « دور عبد

الملك » . وفى أيامه اختلفت الاحزاب ، وتعدد طلاب الخلافة ، ونشبت الحروب ، وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب أو تفريقها . وأكثر شعراء العصر الاموى نبغوا فى هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة ، وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ هـ) . وفيه تضخمت الدولة وركن اهلها الى الترف والقصف . ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المتيم صاحب حبابة وابنه الوليد بن يزيد الخليع المفتون ، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا فى هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول ، وأكثرهم من عشراء السوء واهل الرخاء والترف

٣ ــ الدور الاول من الشعر فى العصر الاموى

من سنة ٤١ ــ ٦٤ هـ

هو أقرب سائر الادوار الى الجاهلية ، وقد نشأ شعراؤه فى عصر الراشدين ، وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل . وكانوا لا يرون حقا لمعاوية فى الخلافة ، بل يعتقدون أنه أخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى أهله ، بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل على أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ، ولذلك كانت لهم جرأة عليه . وأهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم أهل المدينة شيعة على ، والمهاجرون هم قريش من أهل مكة شيعة معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون فى الانصار ، ويندر أن يجرؤ أحد منهم على ذلك احتراما للامام علي . فكان أكثر الشعراء فى هذا الدور اما على الحياد خوفا من معاوية او ينصرون العلويين عليه ، وبعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . أكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة ، أما مع الامويين أو عليهم أو على الحياد. وأهم الذين كانوا مع الامويين ابن ارطأة المحاربى كان سيد قومه ، والحارث بن بدر من يربوع ، والمتوكل الليثى من كنانة ، والوليد بن عقبة من قريش

والذين كانوا ضد الامويين ، أشهرهم النعمان بن بشير الانصارى ، وابن مفرغ من حمير ، وابو الاسود الدؤلى واضع علم النحو . وممن كان على الحياد القتال الكلابى ، وسيأتى ذكرهم

ولا نعنى بقسمة العصر الاموى الى أدوار ، ان شعراء الدور الأول لم يدركوا الدور الثانى وان شعراء الثانى لم يدركوا الاول .. فان أكثرهم عاصروا الدولة الأموية فى معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها .. ولكننا نعنى بشعراء دور معين ، الذين نبغوا فى هذا الدور ونظموا فيه

١ ــ انصار على

١ ــ النعمان بن بشير الانصارى
توفى سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج من أهل يثرب، لكنه ساير معاوية فكان معه فى موقعة صفين.. ولم يكن مع معاوية فى تلك الموقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه ، وكان يراعى جانبه . وكثيرا ما قبل توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى «حمص» ، فلما أفضت الخلافة الى مروان دعا لابن الزبير وخالف مروان بعد قتل الضحاك .. فلم يجبه أهل حمص الى ذلك ، فهرب منهم فتبعوه وأدركوه وقتلوه . ومع مسايرته بنى أمية ، فانه كان شديد التعصب للانصار . ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل فى الطعن عليهم ، رد عليه كما تقدم. والنعمان ابن بشير من العريقين فى الشعر خلفا عن سلف ، فان جده وأباه وعمه واولاده وأحفاده كلهم شعراء (١)

ومن أحفاده شبيب بن زيد بن النعمان ، كان يرى فساد أمر بنى أمية على أيام الوليد بن يزيد ، فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المُزْجى مطيته   لقيتَ حيث توجهتَ الثَّنَا الحسنا
أبلغْ أميةَ أعلاها وأسفلها   قولا ينفر عن تَوَّامها الوسنَا
إن الخلافة أمرٌ كان يُعْظمه   خيارُ أولكم قِدْماً وأولنا
فقد بَقَرْتم بأيديكم بطونكمْ   وقد وُعظتم فما أحسنتم الأذنا (*)
لما سفكتم بأيديكم دماءَكُم   بغياً وغَشَّيتمْ أبوابكم درَنا

وترى أخبار النعمان بن بشير فى الاغانى ١١٩ ج ١٤ ، والعقد الفريد ١١٢ ج ٣ ، وفى سيرة ابن هشام ، وابن خلكان ، وابن الاثير ، وغيرها

٢ ــ ابن مفرغ الحميرى
توفى سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وكان شاعرا غزلا محسنا . وكان قلبه مع على ، لكنه ساير الامويين لانه من حلفائهم . وكان مقربا من آل زياد بن أبيه . صحب عباد بن زياد والى سجستان ، فلم يحسن صحبته فهجاه سرا وكان يهزأ بلحيته ــ وكانت كبيرة ــ فقال فيها :

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤
(*) بقر : شقق ، يشير الى قتل الوليد بيد أبناء أعمامه ، والاذن هنا كناية عن الاستمتاع

ألا ليت اللِّحَى كانت حشيشاً فنَعْلفها خُيولَ المسلمينا

فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسه ، فهرب الى العراق وأخذ يطعن فى آل زياد ويهجوهم لان أباهم زياد بن أبيه مجهول النسب ، وانما استلحقه معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور فى تاريخ الاسلام(١) فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة ، فقبض على بن مفرغ واستأذن معاويه فى قتله ، فنهاه عن ذلك لانه خليفة ، ولكنه اذن بتعذيبه فعذبه تعذيبا شديدا (٢)

ومن قول ابن مفرغ فى زياد وابنه ، وفيه اشارة الى ضعف أنسابهم :

ألا أبلغْ معاويةَ بن صَخْرٍ مُغلغلةً عن الرجل اليمانى
أتغضب ان يقال أبوك عَفٌ وترضى أن يقال أبوك زانى
فأشهد ان رِحْمك من زيادٍ كرِحْم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا وصَخْرٌ من سُمَيَّة غير دان

وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ونجد أشعاره وأخباره متفرقة فى الاغانى ٥١ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٢٠٩ ، وابن خلكان ٢٨٩ ، وسيرة ابن هشام ، وفى تاريخ ابن الاثير (*)

٣ — أبو الاسود الدؤلى

توفى سنة ٦٩ هـ

اسمه ظالم بن سفيان ، وهو من الدئل بطن من كنانة ، معدود فى التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين ، وهو واضع علم النحو . وكان من أكثر الناس تعلقا بعلى ، وعنه أخذ علم النحو كما تقدم . أما من حيث الشعر ، فقد كان من نصراء الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل أكثر أمثاله . وكان معاوية لا يتعمد أذاه ولكنه كان يضايقه ، ولم يرو له طعن فى بنى أمية . وأكثر شعره فى الحكم والاداب . ومن حكمه والفخر قوله :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النصْفَ واغضب
وقاربْ بذى جهلٍ وباعد بعالم جلوبٍ عليك الحق من كل مَجْلب
فان حَدِبوا فاقعسْ وإن هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدبِ
ولا تَدْعُنى للجور واصبر على التى بها كنت أقضى للبعيد على أبى
فإنى امرؤٌ أخشى إلهى وأتّقى مَعارى وقد جرَّبت ما لم تجرِّب

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ١٨ ج ٤ (الطبعة الثالثة)
(٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج٢
(*) أنظر أيضا الاشتقاق ٣٠٩ والخزانة ج ٢ ص ٢١٠ والبيان والتبيين (أنظر الفهرس)

ومن قوله :

وأحبب إذا أحببت حبّــاً مقارباً فإنك لا تدرى متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقــارباً فإنك لا تدرى متى أنت راجـع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخنا فإنك راءٍ ما عملتَ وســامع

وعاش أبو الاسود فقيرا ، وكان متهما بالبخل . وكان يقيم بجوار البصرة . وتجد ترجمته فى الاغانى ١٠٥ ج ١١ ، وفى ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٥٧ ، والمستطرف ١٣٩ ج ١ ، والعقـد الفـريد ٢٥٧ ج ٣ ، والدميرى ٣١٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤ ، وفى المجـلة الشرقية الالمـانية مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤ (*)

٢ ــ انصار معاوية

١ ــ مسكين الدارمى

توفى سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم ، وكان شاعرا شريفا من سادات قومه ، وعمر الى أواخر الدور الثانى من العصر الاموى . لكننا وضعناه هنا لغلبة شعره فى معاوية على سواه . وله معه شأن فى تاريخ العطاء أيام معاوية ، وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحاربوا معه وينحرفوا عن على .. فجاء مسكين وطلب من معاوية أن يفرض له العطاء فأبى ، فقال أبياتا يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهى :

أخاكَ أخاكَ إن من لا أخا له كســاعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاح
وإن ابن عَمّ المرء فاعلمْ جناحَه وهل ينهض البــازى بغير جنــاح

فلم يجبه معاوية يومئذ ، لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد أخذهم الغرور وزادت دالتهم على الدولة ، فعمد معاوية الى استرضاء القيسيين ففرض لاربعة آلاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم ، وغيرهم من مضر . وصار يغزى اليمنيين فى البحر والقيسيين فى البر ، وفرض طبعا لمسكين وقربه حتى استعان بشعره فى مبايعة ابنه يزيد

وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد أن يغضب المسلمون لان توارث الملك لم يكن معروفا فى الاسلام . فأحب أن يجس نبض الرأى

(*) انظر ترجمته أيضا فى كتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة وابن سعد ، وكتب تراجم النحاة مثل طبقات الزبيدى وانباه الرواة وبغية الوعاة ، وكتب الشيعة مثل روضات الجنات ص ٣٤١ وكتب التاريخ مثل الطبرى وابن الاثير وتاريخ ابن عساكر وشذرات الذهب وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٤٥ ومعجم الشعراء ١٥١ والمعارف ١٩٢ وخزانة الادب ج١ ص ١٣٦ والانساب للسمعانى وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص١٠ ومعجم الادباء لياقوت طبع القاهرة ج ١٢ الى غير ذلك من كتب الادب والتاريخ والتراجم

العام قبل اعلان فكره ، كما يفعل بعض دهاة السياسة فى هذه الايام ، اذ يوعزون الى الصحف التى تدافع عن آرائهم أن تذكر عزمهم على العمل الفلانى ، وينظرون الى مايكون من وقعة عند الناس ، ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطرا . فأوعز معاوية الى مسكين أن يقول أبياتا فى معنى المبايعة ليزيد ، وينشدها اياه فى مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف .. ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعرى ما يقول ابنُ عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيدُ (*)

بنى خلفاء الله مهلا فإنما يُبَوِّئها الرحمن حيث يريد

إذا المنبر الغربىُّ خلاه ربُّه فإن أمير المؤمنين يزيد

ومعنى القصيدة انه يقترح عليه أن يولىٰ يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده ، قال له معاوية : « ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحاضرين الا بالموافقة ، فأغدق عليه معاويةالعطاء . ولما مات زياد بن أبيه ، رثاه مسكين بقوله :

رأيت زيادة الإسلام ولّت جهازا حين ودّعنا زياد

وكان الفرزدق منحرفا عن زياد فعارضه فأجابه مسكين ثم تكافأ . وترى أخبار مسكين فى الاغانى ٦٨ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٤٧ ، وخزانة الأدب ٤٦٧ ج ١ (**)

سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور ، فنكتفى بالاشارة الى أماكن تراجمهم ليطالعها من شاء :

١ ــ ابن ارطاة . ترجمته فى الاغانى ٧٩ ج ٢
٢ ــ المتوكل الليثى (توفى سنة ٦٠) . ترجمته فى الأغانى ٣٩ ج ١١
٣ ــ الوليد بن عقبة (توفى سنة ٧٠) . ترجمته فى الاغانى ١٧٥ ج ٤
٤ ــ القتال الكلابى (توفى سنة ٦٤) . ترجمته فى الاغانى ١٥٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٤٣

٤ ــ الدور الثانى من الشعر فى العصر الاموى

من سنة ٦٤ هـ ــ ١٠١ هـ

فى هذا الدور نبغ معظم شعراء بنى أمية وأبلغهم ، وعددهم يناهز مائة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم ، وأول تلك الفئات شعراء السياسة ، وعددهم نحو ٤٠ شاعرا ، وأهمهم وأكثرهم عددا أنصار بنى

(*) ابن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص : من أشراف بنى أمية ومقدميهم
(**) أنظر معجم الادباء ج ١١ واللآلىء ١٨٦ وأمالى المرتضى (طبعة الحلبى) ج١ ص ٤٧٠

أمية وهم نحو العشرين ، وثمانية من أنصار آل المهلب ، والباقون من أنصار سائر الاحزاب . على أن شعراء السياسة أكثر من ذلك ، اذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لأحد الاحزاب التى كانت شائعة يومئذ .. لكن جماعة منهم دخلوا فى الطبقات الاخرى لتغلب بعض تلك الاغراض على خواطرهم . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعرا ، والباقون من شعراء الأدب الذين لا يعرف لهم غرض خاص ، غير الشعراء السكيرين والمغنـــــين

ويقدم النقاد ستة من شعراء العصر الاموى ، يعدونهم فى مقدمة الشعراء الامويين من سائر الطبقات . وهم : الاخطل ، وجرير ، والفرزدق ، والراعى ، وأبو النجم العجلى ، والاحوص (*) .. يسمونهم الفحول ، وأكثرهم من شعراء السياسة ، ويقدمون الثلاثة الاول على سائرهم ، فهم أشعر شعراء بنى أمية على الاطلاق .. نعنى جريرا ، والفرزدق ، والاخطل . واختلف الناس فيمن هو أشعرهم ، فالذين يقدمون جريرا يقولون انه أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا . والذين يقدمون الاخطل يقولون انه أكثرهم قصائد طوالا جيادا ، ليس فيها سقط ، ولا فحش ، وأكثرهم تهذيبا لشعره . وقد تقدمهم الاخطل فى الزمن ، ثم نبغ جرير والفرزدق ، فدخل الاخطل بينهما وهو شيخ طاعن فى السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريرا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والاخطل بالنابغة . ولم يجتمع أديبان من أدباء ذلك العصر الا جرى بينهما البحث فى أى الشاعرين أشعر : جرير أو الفرزدق ، فيحتدم الجدال وينفض المجلس ، وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

(*) أصاب المؤلف فى الثلاثة الاولين ، أما من تلاهم فيتقدمهم عمر بن أبى ربيعة وذو الرمة والكميت والوليد بن يزيد ورؤبة ، وقد أفردنا لكل منهم دراسة تصور شعره وفنه فى كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى »

فحول الشعراء

١ ـ الاخطل

توفى سنة ٩٥ هـ

يكنى ابا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وهو نصرانى مثل اكثر تلك القبيلة . والاخطل لقب غلب عليه لسبب اختلفوا فيه . وظهرت الشاعرية فى الاخطل منذ حداثته ، وكان يقيم فى الحيرة ، فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله ، فغلبه الاخطل وأفحمه فصار هو المقدم فى شعرائها . وكان ينتخب شعره فينظم تسعين بيتا ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل ، فقال : « وما تسألوننى عن رجل حبب شعره الى النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعرا تستحى العذراء من سماعه

وكان السبب فى تقربه الى بنى أمية أن معاوية أراد أن يهجو الانصار (*) لأسباب تقدم بيانها ، فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل المشار اليه أن يهجوهم وكان مسلما فأبى ، وقال : « أدلك على غلام منا نصرانى لا يبالى أن يهجوهم كأن لسانه لسان ثور ؟ » قال : « من هو ؟ » قال : «الاخطل» فدعاه معاوية وأمره بهجائهم ، فقال : « على أن تمنعنى » قال : « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله (**) :

وإذا نسبت ابنَ الفُرَيْعة خِلْتَهُ	كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإلهُ من اليهود عِصابةً	بالجِزْع بين صُلَيْصِلٍ وصرار
قومٌ إذا هدر العصيرُ رأيتهم	حمراً عيونهمو من المُسْطار
خَلُّوا المكارم لستمُ من أهلها	وخُذوا مساحيَكم بني النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم	أولادُ كل مقبَّحٍ أكّار
ذهبتْ قريشٌ بالمكارم والعلا	واللؤمُ تحت عمائم الأنصار

(*) لبس معاوية هو الذى أراد ذلك كما تقدم وانما هو ابنه يزيد

(**) الغريب فى هذه الابيات : الجزع : منعطف الوادى ، صليصل : موضع بطريق المدينة ، صرار : بئر على ثلاثة أميال من المدينة ، المسطار : الخمر الصارعة لشاربها ، المساحى : جمع مسحاة وهى الفأس . يقول انهم زراع لا رجال حرب وشجاعة ، الاكار : الحارث والزارع للارض

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها فى كلامنا عن مميزات شعر العصر الاموى

ثم أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان ، وكان ناقما على قبائل قيس لانهم نصروا أعداءه كماتقدم، فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب أحزابهم . وعلم أن الاخطل شاعر تغلب له يد فى نصرة الامويين على الانصار فقربه وأكرمه . وكان عبد الملك بصيرا بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب لما يقوله حتى سماه « شاعر بنى أمية » وبعث بمولى ينادى على رءوس الملأ « هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرما بالخمر ، وحملته الدالة على عبد الملك أن يطلب منه أن يسقيه خمرا ، (١) فغضب عليه وقال : « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى لقى خمارا شرب عنده وعاد فجادت قريحته ، فدخل على عبد الملك ومدحه بقصيدة مطلعها :

خفَّ القَطِين فراحوا منك وابتكروا
وأزعجتْهم نَوًى فى صَرْفها غِيَرُ (*)

وقال له عبد الملك : « الا تسلم فنفرض لك فى الفىء ونعطيك عشرة آلاف » فقال : « وكيف الخمر ؟ » قال : « وما تصنع بها وان أولها لمر وان آخرها لسكر » فقال : « أما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وتركه على نصرانيته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان يجىء وعليه جبة خز ، وفى عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمرا ، حتى يدخل على عبد الملك بغير اذن

وكان لشعره تأثير فى نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الادلة على ذلك ان عبد الملك لما أنزل زفر بن الحارث الكلابى عن قرقيسيا ، استقدمه اليه وأقعده على سريره فعاتبه بعضهم على تقدير رجل كان فى الامس من ألد اعدائه وسيفه يقطر من دماء قومه فلم ينفع العتاب .. فبلغ ذلك الاخطل وهو يشرب ، فمضى حتى دخل على عبد الملك وأنشد :

وكأسٍ مثل عَيْن الدِّيك صرْفٍ   تُنَسِّى الشاربين لها العقولا
إذا شرب الفتى منها ثلاثاً   بغير الماء حاول أن يَطُولا
مشى قرشيَّةً (٢) لا شكَّ فيها   وأرخى من مآزرِه الفضولا

فقال له عبد الملك : « ما أخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطة فى رأسك » قال : « أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس :

---

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٧

(*) خف القطين : ارتحل السكان ، نوى : نية ، صرف : تصرف وتحول ، غير : أحداث

(٢) مشى قرشية : مشية فيها خيلاء القرشيين

وقد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمَنِ الثرى
وتَبقى حزازاتُ النفـــوسِ كمـا هيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير ، وقال : « أذهب الله حزازات تلك الصدور »

ومن قوله فى النسيب :

من الخَفِرات البِيض أما وِشـــاحُها
فيَجْرى وأما القَلْب (١) منها فلايجرى

تمـوت وتحيـا بالضـجيع وتلتوى
بمطَّـرد المَتْنَيْنِ مُنبَتِرِ الخصرِ

ومن قوله فى المديح :

نفسى فـداءُ أمـير المؤمنين إذا أبدى النواجذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ
الخـائض الغمرَ والميمـون طائره خليفةُ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

ومن قوله فى الهجـاء :

وكنت إذا لقيتَ عبيـد تيْمٍ وتَيْماً قلت أيهـمُ العبيـدُ
لئيمُ العـالمين يسـود تيمـا وسَيِّدهم وإن كرهوا مَسـودُ

أما دخوله فى الهجاء بين جرير والفرزدق فسببه انه كان مرة عند بشر بن مروان أخى الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة ان يغرى بين الشعراء ، فقال للأخطل : « احكم بين الفرزدق وجرير » فقال : « أعفنى أيها الامير » قال : « احكم بينهما » فقـال : « الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يغرف من بحر » وبلغ ذلك جريرا فلم يعجبه ، وهجـاه بقـوله :

ياذا الغبـاوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومةُ النَّشْـوان

فرد عليه الاخطل ثم رد عليه جرير مما يطول ذكره (٢) . وكان الاخطل أشهب اللحية له ضفيرتان ، ومن أحاسن شعره قوله فى وصف السكران :

صريعُ مُدامٍ يرفع الشَّرْبُ رأسه ليحيا وقد ماتتْ عظـامٌ ومفصلُ
نهـاديه أحيـاناً وحينـاً نجـره وما كاد إلا بالحشـاشة يعقـل
إذا رفعوا صدراً تَحامل صـدره وآخرُ ممـا نال منهـا مُخَبَّلُ

---

(١) القليب : السواد
(٢) الاغانى ١٨٦ ج ٧

وهو من أصحاب الملحمات وله ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سـلمى بأحفـار وأقفرتْ من سليمى د مِنْنَةَ الدار

وتفنن الاخطل فى النظم من حيث الوزن تفننا قلدوه فيه بعد أجيال ، وذلك قوله : (*)

ولقد علمت إذا الرياحُ تناوحتْ هوج الرئالِ تكبهن شمالا

أنا نعجّلُ بالعبيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الأبطالا

ولو قال :

ولقـد علمت إذا الريا ح تناوحت هـوج الرئال

لكان شعرا ، واذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضا شعرا من روى آخـر (**)

وللأخطل ديوان مطبوع فى بيروت للمرة الاولى بعناية الاب صالحانى عن نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ فى نيف وخمسمائة صفحة . وللأب المذكور طبعة فوتوغرافية عن نسخة وجدوها فى بغداد . وللدكتور غريفينى طبعة بالحجر عن نسخة وجدت فى اليمن . وعثروا فى مكتبة بيازيد بالآستانة على نسخة خطية من كتاب نقائض جرير والاخطل (١)

وله أخبار متفرقة فى الاغانى ١٦٩ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و ١٤٨ و ١٥٤ ج ١٣ والجمهرة ١٧٠ وفى الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣ ج ٣ وخزانة الادب ٢٢٠ ج ١ ، وللمستشرق دى برسفال مقالة عنه وعن جرير والفرزدق فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٩٤ ، وكتب عنه الاب لامنس مقالة فى المجلة الاسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤ (***)

٢ ــ جرير

توفى سنة ١١١ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفى من كليب بن يربوع (تميم) نشأ فى البادية أيام معاوية ، وهو واسع الخيال قوى الشاعرية مع ميل الى الهجاء . وكان يفد الى الشام مع من يفد على الخلفاء للاستجداء بالمديح ، فعرفه أحدهم

(*) تناوح الرياح : تقابلها واضطرابها ، الرئال : أولاد النعام ، وتكب أولاد النعام شمالا كناية عن أنها ريح باردة شديدة ، العبيط : الطرى من اللحم ، يقول انهم كرماء وشجعان

(**) يشير الى ما حدث عند الحريرى وأضرابه فى العصر العباسى ثم العصور التالية من بناء الشعراء لقصائدهم على وزن معين تستطيع معه أن تحذف من أبياتها كلمتين أو نحوهما، فتتحول القصيدة الى وزن آخر وروى آخر . ولكن الاخطل لم يستعمل ذلك عامدا ، انما جاء عفوا فى البيتين المذكورين

(١) راجع وصفها فى المشرق ٦٧ مجلد ٨

(***) انظر طبقات الشعراء لابن سلام والفصل الثالث من كتاب التطور والتجديد فى الشعر الاموى ، ومادة الاخطل فى دائرة المعارف الاسلامية ، ونالينو فى تاريخ الاداب العربية

الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعـــل يختلف اليه وهو شاب ، فاستلطف يزيد نظمه ، واتفق ان يزيد أراد أن يعاتب أباه بشـــعر فاقتبس ابياتا من قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه ، وفيها قوله :

بأيٍّ سنانٍ تطعن القوم بعــد ما نَزَعتَ سِناناً من قَناتك ماضيا

فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما صـارت الخلافة الى يزيد وفد عليه جرير ، فاستؤذن له مع الشـعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين يقول لا يصل الينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير : « قولوا له أنا القائل (وذكر الابيات) . » فأمر بادخاله ، فلما أنشـده القصيدة قال يزيد : « لقد فارق ابى الدنيا وما يحسب الا انى قائلها » وأمر له بجـــائزة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود عليه لعلمه بغضب عَبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحـون آل الزبير أعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراق على يد بعض عماله . فأعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته ، فأحب أن يقدمه الى الخليفة وعلم ان عبد الملك سينكر ذلك ، فأنفذ معه ابنه محمدا فاستقبله عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلا : « ماذا عسى أن تقول فينا بعد قولك فى الحجـاج عاملنـا :

من سَدَّ مُطَّلَعَ النفاق عليكمُ أم مَنْ يصولُ كصوْلة الحَجّاج

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب فى وجه عبد الملك . فتوسط محمد بن الحجاج فى الرضا ، واستأذن جرير فى الانشاد ، وأنشد القصيدة التى يقول منهـا :

ألستم خيرَ مَنْ ركبَ المطـــايا وأنْدَى العـالمين بُطونَ راحِ

فتبسمَ عبد الملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء (١) .. وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكســوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقا فى العطاء وفد عليه بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفى جرير سنة ١١٠ بعد الفرزدق ببضعة أشهر ، ودفن فى اليمامة حيث قبر الاعشى (٢) وكان يغن فى لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كأن فيه نونا

---

(١) الرعاء : الرعاة ، واللقحة : الناقة الحلوب
(٢) الاغانى ٤٦ ج ١٩

مهاجاة جرير والفرزدق (*)

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه ، وكان الناس يخافون لسانه . والسبب فى اشتهاره بالهجاء ان رجلا اسمه غسان بن ذهيل من عشيرة سليط هجاه بأبيات منها :

لعمرى لئن كانت بَجيلةُ زانها
جريرٌ(**) لقدأخزَى كُلَيْباً جريرها

يريد أن جريرا أخزى كليبا وهو البطن الذى هو منه .. فأجابه جرير بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام ، منها قوله :

ألا ليت شعرى عن سَليطٍ ألم تجد
سَليطٌ سوى غَسَّانَ جاراً يجيرها

فقد ضمَّنوا الأحسابَ صاحب سوْأةٍ
يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها

فاستنصر غسان رجلا اسمه البعيث ، فنصره وهجا جريرا وقال فيه :

كليبٌ لئامُ الناس قد تعلمونه وأنت إذا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لئيمُها

فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد جريرا فانتصر للبعيث ، فاحتدم الهجاء بينهما ... وانقسم الأدباء فى الانتصار لهما الى حزبين كما تقدم . وبلغ من احد المشغوفين بالفرزدق انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (١) وقد جمعت مناقضاتهما فى كتاب يعرف بنقائض جرير والفرزدق طبع فى ليدن فى جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخطل لسبب ذكرناه فى ترجمة الاخطل ، وهاجاه أيضا عمر بن لجأ التيمى وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سبرة العنبرى لأنه اعان عليه ابن لجأ . ثم هاجى راعى الابل وهو من الفحول، لانه فضل الفرزدق عليه وله فى هجائه حديث طويل ، والراعى من بنى نمير فهجا جريرا بأبيات منها :

رأيت الجَحْشَ جَحْشَ بنى كُلَيْبٍ
تَيَمَّمَ حَوْضَ دِجْلَةَ ثم هابا

(*) انظر فى هذه المهاجاة ومهاجاة جرير مع الاخطل كتاب التطور والتجديد فى الشعر الاموى ومقدمة Bevan لنقائض جرير والفرزدق .

(**) جرير هنا : هو جرير بن عبد الله البجلى أحد أجلاء الصحابة وأشراف الكوفة

(١) الاغانى ٦٧ ج ٧

فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقيــه فى المربد ــ نادى الادباء والشعراء بالبصرة ــ على بغلة ، وبجانبه ابنه جندل على مهر . فاقترب منه جرير وحياه وقال : « يا أبا جندل ان قولك يســتمع وانك تفضــل الفرزدق على تفضيلا قبيحا،وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم، وهو ابن‌عمى. ويكفيك من ذاك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل منى ولا منه لائمة » . فلم‌يجبه الراعى ، ولكنه لحق ابنه ورفع الابن عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب أباه قائلا : « لا أراك واقفا على هذا الكلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو خيرا »

فرفست البغلة جريرا ، فوقعت قلنسوته عن رأسه . فانصرف مغضبا حتى اذا صلى العشاء بمنزله فى علية (غرفة) له قال : « ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لى » فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر ، وقد نظم ٨٠ بيتــا ختمهــا بقــــــوله :

فغُضَّ الطَّرفَ إنك من نمــــير فلا كعــباً بلغتَ ولا كــلابا

ثم جاء المربد وأنشد هذه القصيدة فى مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعى ، فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارىء قوة الهجاء اذا لم يعلم أن كعبا وكلابا ونميرا ثلاثة أبطن من عامر بن صعصعة من قيس . فجرير فضــل كعبا وكلابا على نمير مع انهما أخواه . ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئــذ الا قال : « لا يفلح النميرى بعد ذلك أبدا » ومن هذه القصيدة أبيات من أبلغ ما يكون ، كقوله :

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ النـاس كلَّهمُ غِضابا

وهو أحسن بيت فى الفخر ، وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس ابن يزيد الكندى ، وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضه بقوله :

ألا رغمتْ أنوفُ بنى تميــم فُسَــاةِ التمر إن كانوا غضــابا

لقد غضــبتْ عليك بنو تميمٍ فما نَكَأتْ بِغَضْــبتها ذُبابا

لو اطَّلع الغــرابُ على تميــم وما فيهــا من السَّوْءات شابا

فاغتنم جرير سقطة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافيــة أولهــــــا :

إذا جهل الشقىُّ ولم يقدِّر لبعض الأمر أوشك أن يُصابا

وممن هاجاهم جرير أيضا جفنة الهزانى ، والمرار بن منقذ ، وحــكيم بن معية ، والاشهب بن رميــلة ، وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبــل ان يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم وبينهما ألوف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجاة فى الاغانى ج ٧ ، وفى كتاب نقائض جرير والفرزدق ، وفى الشعر والشعراء

وأحسن أقوال جرير فى النسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثم لا يُحْيِين قتلانا

ومن أحسن شعره قوله يرثى ابنه :

قالوا نصيبَك من أجرٍ فقلت لهم ... كيف العزاءُ وقد فارقت أشبالى
فارقتنى حين كَفَّ الدهرُ من بصرى ... وحين صرتُ كعظم الرِّمَّةِ البالى

ومن قوله يرثى امرأته :

لولا الحياءُ لعادنى استعبارُ ... ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزَارُ
ولَهَتْ قلبى إذ علتنى كَبرةٌ ... وذوو التمائم من بنيكِ صغار
لايلبث الأحباب أن يتفرقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهار
صلَّى الملائكة الذين تُخُيِّروا ... والطيبون عليك والأبرار

وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

حَيِّ الغداة برامة الأطلالا ... رَسْماً تقادم عَهْدُه فأحالا

وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ، ومنها أيضا قوله فى هجاء تيم :

مِنَ الأصلاب ينزل لؤمُ تَيْمٍ ... وفى الأرحام يُخْلَقُ والمَشِيمِ

وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء ، وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة . ونظرا لاشتغال الناس بهما أهمل ذكر من عاصرهما من الشعراء

ولجرير ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد طبع فى القاهرة سنة ١٨٩٥ وفى غيرها . وترى أخباره فى الاغانى ٣٨ و ١٧٢ ج ٧ و ٢ ج ١٠ و ٤٦ ج ٩ ، والجمهرة ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٢٨٣ ، وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ ، وابن خلكان ١٠٢ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ ، والعقد الفريد ١١٤ ج ١ (*)

٣ ـ الفرزدق

توفى سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة ، وكان جده صعصعة وجيها يعرف بمحيى الموءودات ، وأبوه غالب كان رئيسا فى قومه

(*) وانظر نقائض جرير والاخطل نشر الاب صالحانى ونقائض جرير والفرزدق بشرح أبى عبيدة نشر بيفان ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، ومادة جرير فى دائرة المعارف الاسلامية .

وله مناقب مشهورة . ولد الفرزدق في البصرة وأقام في باديتها مع أبيه ، وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام .. فجاء به أبوه الى على بن أبى طالب بعد وقعة الجمل ، وأخبره أنه شاعر فقال : « علمه القرآن » كما تقدم . فلم ينظم شعرا حتى حفظ القرآن ، ولم يكد ينبغ حتى قامت المهاجاة بينه وبين جرير . ولا شك أنها نفعتهما لان الانتقاد يشحذ القريحة ، والضغط والمقاومة يظهران القوى الكامنة . وانما نأتى بمثال من ذلك .. نظم الفرزدق قصيدة وهو فى المدينة قال فيها (*) :

همـا دَلَّيـانى من ثمـانينَ قامةً
كما انقضَّ بازٍ أقْتَمُ الرِّيش كاسِرُه

فلما استوَت رجـلاى فى الأرض قالتا
أحيٌّ فيُرجَى أم قتيـل نُحـاذِره

فقلت ارفعـا الأمراس لا يشـعروا بنا
وأفلتُّ فى أعجـازِ ليـلٍ أبادره

أحاذر بَوَّابيْنِ قـد وُكِّـلا بنـا
وأسْـوَدَ من ساجٍ تصر مسـامره

فلما بلغت هذه الابيات جريرا نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدتْ أمُّ الفـرزدق فاجراً ... فجاءتْ بوَزْوَازٍ قصيرِ القوادم
يوصِّـل حَبْليه إذا جَنَّ ليـله ... ليرقى إلى جاراته بالسـلالم
تدلَّيْتَ تزنى من ثمـانين قامة ... وقَصَّرْت عن باع العُلا والمكارم
هو الرِّجسُ يا أهلَ المدينة فاحذروا ... مَداخلَ رجْسٍ بالخبيثات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنـكمُ ... طَهـوراً لمـا بين المصلَّى وواقم

فلما وقف الفرزدق على هـذه القصيدة جاوبه بقصـيدة طويلة يقول فى جملتها :

وإن حراماً أن أسبَّ مُقاعِسـا ... بآبائىَ الشُّمِّ الكرام الخَضارِم
ولكن نَصْفاً لو سببتُ وسَبَّنى ... بنو عبد شمس من منـاف وهاشم

(*) الغريب فى هذه الابيات والاخرى التى تليها ، أقتم : أسود ، كاسره ، يريد كاسر الجناحين للسقوط على الارض ، الامراس : الاسباب والحبال ، أسود من ساج : يريد بابا من خشب الساج ، تصر : تصوت وتصيح ، الوزواز : القصير خفيف الحلم والجسم ، المصلى وواقم : موضعان بالمدينة ، الخضارم : جمع خضرم وهو البحر ، والجواد : المعطاء ، مقاعس ، عشيرة من تميم ، النصف : العدل ، أعند : أخالف وأخطىء ، وكليب : قبيلة جرير ، ودارم : قبيلة الفرزدق

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ... وأعتد أن أهجو كليباً بدارم

وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه الى مروان بن الحكم — وهو يومئذ والى المدينة — وطلبوا اليه أن يحده ، فأمر بنفيه فغضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة .

وكان الفرزدق يتشيع لعلى وأهله (*) . والتقى فى أواخر أيامه بهشام ابن عبد الملك فى الحج ، ورأى هشام هناك على بن الحسين فى غمار الناس فقال : « من هذا الشاب الذى تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينيه تتراءى فيها عذارى الحى وجوهها ؟ » فقالوا : « هذا على بن الحسين » فنظم الفرزدق قصيدة فى مدح على المذكور مطلعها :

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأته ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحَرَمُ

وبلغ هشاما خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة ، فغضب وحبسه هناك فقال :

أتحسبنى بين المدينة والتى ... إليها قلوبُ الناس يهوى منيبها
يقلّب رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ ... وعيناً له حولاءَ بادٍ عيوبُها

فلما بلغ ذلك هشاما أمر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بنى أمية (**) لانه كان يتشيع لعلى كما رأيت وقد هجا بعضهم ، ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصا آل المهلب والحجاج خوفا منهم .

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب وألفاظهم حتى قالوا : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . وكان له على الحجاج دالة . وكان من أقرب شعراء ذلك العصر الى الثبات فى الرأى ، فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجاء يزيد المذكور فأبى الفرزدق وقال : « امتدحت بنى المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها احد ، وانما يقبح بمثلى أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفنى أمير المؤمنين » فأعفاه (١) .

ومن أقوال الفرزدق التى تجرى مجرى الامثال قوله :

(*) الصحيح ان الفرزدق لم يكن متشيعا لعلى وآله ، أما القصيدة التى ساقها المؤلف والتى يقال انه مدح بها على بن الحسين زين العابدين فليست له . أنظر فى ذلك ترجمة الحزين الكنانى فى الجزء الرابع عشر من الاغانى

(**) الحق أن الفرزدق كان من مداحهم ، ولكن منذ سليمان بن عبد الملك ، أما من قبله من الخلفاء فلم يصدهم بمديح . وفى ذلك يقول من قصيدة لسليمان :

وما كنت عن نفسى لارحل طائعا ... الى الشام حتى كنت انت المؤمرا

وانظر كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » ص ١٢٠

(١) الاغانى ٤٣ ج ٤

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبنى كان أباها نَهْشَلٌ ومجاشع (١)

***

وكنا إذا الجبّار صَعَّرَ خدّه ضربناه حتى تستقيمَ الأخادعُ

***

وكنتَ كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أحالَ على الدم

***

أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةً وتخالنا جِنّاً إذا ما نجهل

***

فإن تَنْجُ منى تنج من ذى عظيمةٍ وإلا فانى لا إخالك ناجيا

***

ترى الناسَ ماسرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمته :

عَزَفْت بأعشاشٍ (*) وما كدت نعزف

وأنكرتَ من حَدْراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع فى جملة الدواوين الخمسة (النابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ وطبع على حدة فى باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنسية للمسيو بوشر عن نسخة خطية صورت من مكتبة أياصوفيا فى الآستانة . وطبعت تتمتها فى مونيخ سنة ١٩٠١ ، وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيبه مشروحة . ومنه نسخ خطية أيضا فى أكسفورد وليدن وغوطا وبرلين ولندن . وله طبعات أخرى

وترى أخباره فى الاغانى ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٩ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ ، وفى الشعر والشعراء ٤٨ و٢٨٩ و٣٠٦ و٣١٤ ، وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ ، والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ ، والجمهرة ١٦٣ وخزانة الادب ١٠٥ ج ١ والدميرى ٩ ج ١ (**)

---

(١) نهشل ومجاشع من آباء الفرزدق ، وكليب : عشيرة جرير

(*) عزفت : انصرفت نفسك ، وأعشاش : موضع

(**) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الادباء لياقوت ، ونالينو فى تاريخ الاداب العربية والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، ودائرة المعارف الاسلامية

٤ ـ الراعي
توفى سنة ٩٠ هـ

هو عبيد بن حصين النميري من قبيلة نمير التى هجاها جرير فى بيته المشهور ، وقد تقدم سبب نظمه . وسمى الراعى لكثرة وصفه الابل وجودة نعته اياها . وهو شاعر فحل ، وكان مقدما مفضلا على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق .. فاستكفه جرير ، فأبى أن يكف ، فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه . ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير ، وهو السبب فى هجاء جرير له . ومما سبق اليه من المعانى وقد أخذت عنه : (*)

كأنَّ العيونَ المُرْسِلات عَشيَّةً   شآبيبَ دمعٍ لم تجد متردَّدا
مَزايد خَرْقاء اليدين مسيفةٍ   أخبَّ بهن المخلفان وأحْفدا

ومن شعره فى النساء قوله :

تحدَّثهن المضمراتُ وفوقنا   ظلال خدورٍ والمطىُّ جوانح
يناجيننا بالطَّرْف دون حديثنا   ويقضين حاجاتٍ وهنَّ موازح

وقوله :

طاف الخيال بأصحابى فقلت لهم   أأمُّ شَذْرةَ زارتنا أم الغولُ
لا مرحباً بابنة الأقيان إذ طرقتْ   كأن محجرها بالقار مكحول
سودٌ معاصمُها جُعْدٌ معاقصُها   قد مَسَّها من عَقيد القار تفصيلُ

وهو معدود من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمته :

مابالُ دفّك بالفراش مذيلا (**)   أقَذًى بعينك أم أردتَ رحيلا

وتجد أخباره فى الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ، وخزانة الادب ٥٠٤ ج ١ ، والجمهرة ١٧٢ (***)

(*) الغريب فى هذه الابيات والتى تليها من شعر الراعى : شآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والدمع ، مزايد : جمع مزادة ،وهى قربة الماء ، وخرقاء اليدين : لاتحسن ماتصنع ، مسيفة : من أسافت اذا خرزت فانخرمت خرزتان ، والمخلف : من يحمل الماء الى القوم والبعير ، والحفد والاحفاد : ضربان من السير السريع ، المضمرات : الخفيات المحجبات المعاقص : الضفائر ، وعقد القار : ما انعقد منه

(**) دفك : جنبك ، مذيلا : قلقا

(***) وانظر الاشتقاق ١٧٩ والمؤتلف ١٢٢ والنقائض فى مواضع متفرقة ، والحماسة لابى تمام ، وطبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزبانى

٥ ــ أبو النجم الراجز

توفى سنة ١٣٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بنى عجل من بكر وائل ، من رجاز الاسلام الفحول المقدمين ، وفى الطبقة الاولى منهم . وكان أبلغ من العجاج فى النعت ، ولم يكن الشعراء يعتدون بالرجاز حتى نبغ العجاج ورؤبة وأبو النجم هذا . وقد عاصر العجاج وجرت بينهما مراجزة . وذلك أن العجاج خرج محتفلا عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون فأنشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجبر » وذكر فيها ربيعة وهجاهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم وهو فى بيته ، فقال له : « أنت جالس وهذا العجاج يهجونا بالمربد وقد اجتمع عليه الناس » قال : « صف لى حاله وزيه الذى هو فيه » فوصفه له فقال : « ابغنى جملا طحانا قد أكثر عليه من الهناء (*) » فجاء بالجمل اليه فأخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالاخرى ، وركب الجمل ودفع خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال : « اخلع خطامه » فخلعه فأنشد : « تذكر القلب وجهلا ما ذكر »

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله : « شيطانه أنثى وشيطانى ذكر » تعلق الناس بهذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو غيره من الشعراء المعاصرين . وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك ، وسأل الشعراء مرة أن يصفوا ابلا ترد وتصدر ، فقال أبو النجم أرجوزته التى مطلعها : « الحمد لله الوهوب المجزل » وهى من أفخر نظمه حتى أتى الى شطر يصف به الشمس ، فقال : « فهى فى الافق كعين ... » وأراد أن يقول : « الاحول » فتذكر أن هشاما أحول . فلم يتم البيت وأتم الارجوزة ، فغضب عليه هشام وأمر بوجأ عنقه ونفيه . فتوسط له وجوه القوم فعفا عنه ، ولكنه عاش مرذولا يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاما أرق ، طلب اعرابيا يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروى الشعر . فخرج الخادم فلقى أبا النجم فى المسجد بلباس رث ، فأخذه الى هشام فلما عرفه سأله عن حاله فقال : « انى أتغذى عند هذا وأتعشى عند هذا » فقال : « وما عندك من الولد ؟ » قال : « ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين » فسأله عما أوصاهما عند الزفاف فقال : « قلت للاولى واسمها برة :

أوصيتُ من برة قلباً حُرّا بالكلب خيراً والحماة شرّا

لا تسأمى ضرباً لها وجرّا حتى ترَى حُلْوَ الحياة مرّا

وإن كستْك ذهباً ودرّا والحىَ عمّيهم بشرٍ طرّا »

(*) الهناء : قطران تطلى به الابل

فضحك هشام وقال : « فما قلت للاخرى ؟ » قال : « قلت :

سُبيّ الحماةَ وابْهَتِي عليها   وإن دنتْ فازدلفي إليها
وأوجعي بالفِهْرْ (١) ركبتيها   ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهرة النشْذْرَ لها عليها   لا تخبري الدهر به ابنتيها »

فضحك هشام وأجازه • وكان قوى البديهة ، ومن شعره أرجوزة وصف بها فهود عبد الملك ، ومنها :

فهي ضَوَارٍ من مُضَرَّيات   تريك آماقاً مخطَّطات
سواداً على الأشداق سائلات   تَلْوى بأذنابٍ موقَّفات

وترى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة١٣١٢هـ، وديوان العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع في فينا سنة ١٨٩٦ ، وديوان رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وسنعود اليه

وأخبار أبي النجم في الاغاني ٧٧ جزء ٩ ، والشعر والشعراء ٣٨١ ، وخزانة الادب ٤٩ جزء ١ (*)

٦ ـ الاحوص

وهو من الفحول ، لكننا نظرا لغلبة التشبيب عليه سنترجمه مع المشببين

---

(١) الفهر : الحجر

(*) وانظر طبقات الشعراء لابي سلام والموشح للمرزباني ، والطرائف الادبية للراجكوتي، وشرح شواهد المغنى للسيوطي ص ١٨٥ ، وكتاب الحيوان للجاحظ (الفهرس) وشرح التبريزي على الحماسة (الفهرس)

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموي

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على أنفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت ، فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو أديبا ، كثر الشعراء في أيامه وتقربوا اليه بمدحه والطعن على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم .. على أن أكثر شعراء السياسة من أنصار بني أمية ، وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول . وأشهر من بقي منهم بضعة عشر شاعرا أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلا على الشعراء وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجمهم ، وقد جمعنا أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ ـ انصار بني أمية

١ ـ أبو العباس الاعمى

اسمه السائب بن فروخ مولى بني الدئل ، فهو عربي بالولاء وليس بالنسب ، وأصله من أذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالي الذين تكاثروا في الاسلام بمن أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم . وكان يقيم في مكة ، وله أشعار كثيرة في مدح بني أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يحرضهم على حربه :

أبني أمية لا أرى لكم شبهاً إذا ما التفّت الشّيَعُ
سعةً وأحلاما اذا نزعت أهلُ الحلوم فضرّها النّزَع (*)
أبني أمية غير أنكم والناس فيما أطمعوا طمعوا
أطمعتم فيكم عدوكمُ فسما بهم في ذاكمُ الطمع

(*) النزع : التخاصم

فلو انـــكم كنتم كقـــومكمو مثل الذى كانوا لكم رجعـــوا
عمــــا كرهتـــــم أو لردَّهُمُ حذرُ العقـــوبة ، انها تَزَعُ

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه ، فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا الى بنى امية ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ ، رثاه بأبيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا فى بعض السنين ، دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقام الشعراء والخطباء فتكلموا . ودخل أبو العباس الاعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعبا فاستعفاه وقال : « انما رثيته لانه كان صديقى وقد علمت أن هواى أموى » قال : « صدقت ولكن انشدنى قولك فيه » فأنشده :

رحم الله مصـــعباً فلقـــد ما ت كريماً ورام أمراً جَسيما

فقال عبد الملك : « اجل لقد مات كريما :

ولكنه رامَ التى لا يرومهـــــا من الناس إلا كلُّ حُرٍ معمَّمِ »

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتتبع شيعة بنى أمية فينفيهم عن المدينة ومكة ، فبلغه ان أبا العباس الاعمى يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وانه ضرير فعفا عنه ، ونفاه الى الطائف ، فهجاه وهجا سائر بنى أسد (عشيرة آل الزبير) بأبيات منها قوله :

بنى أســدٍ لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمَّقــوا
متى تُسْألوا فضلا تضنوا وتبخلوا ونيرانكم فى الشرِّ فيهـــا تحرق
إذا استبقتْ يوماً قريشٌ خرجتمُ بنى أسد سُكَّتًا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ماقريشٌ للأضاميم أصفقوا (*)
وما ذاك إلا أنَّ للؤم طابعـــــا يلوح عليكم وَسْمُهُ ليس يَخْلُق

وهاجى عمر بن أبى ربيعة ، ثم بلغه أن عمر يرامى جارية له ببنـــادق الغالية فقال لقائده : « أوقفنى على باب بنى مخزوم فاذا مر ابن أبى ربيعة ضع يدى عليه » ففعل ، فقبض على حجزته وقال :

ألا من يشــــترى جاراً نؤوماً بجــارٍ لا ينـــام ولا يُنيم
ويلبس بالنهـــــار ثيــابَ ناسٍ وشطرَ الليــل شيطانٌ رَجيمُ

وأخباره فى الاغانى ٥٩ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٣٦٦ (**)

(*) الاضاميم : الجماعات ، أصفقوا : تصرفوا فى التجارة
(**) وانظر نكت الهميان وتهذيب التهذيب والبيان والتبيين للجاحظ (الفهرس)

٢ ـ أعشى ربيعة

توفى سنة ٨٥ هـ

أسمه عبد الله بن خارجة من شيبان (ربيعة) كان يقيم فى الكوفة وهو مروانى المذهب يتعصب لبنى أمية تعصبا شديدا . ومن قوله فى آل مروان قصيدة انشدها لعبد الملك بن مروان منها :

وما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى بمهتضَمٍ حقّى ولا قارع سِنّى
ولا مُسْلم مولاى عند جنايةٍ ولا خائف مولاى من شَر ما أجنى
وإن فؤاداً بين جنبىّ عالم بما أبصرتْ عينى وماسمعتْ أذْنى
وفضّلنى فى الشعر واللبّ أننى أقول على علمٍ وأعرف من أعْنى
فأصبحت إذ فضّلتُ مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك : « من يلومنى على هذا ؟ » وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعه ألف جريب ، وقال له : « امض الى زيد الكاتب يكتب لك بها » وأجرى له

ودخل مرة على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ، فقال له : « يا أمير المؤمنين مالى أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم وتهم بالاقدام وتجنح الى الاحجام ، انفذ لنصرتك وأمض رايك وتوجه الى عدوك . فجدك مقبل وجده مدبر ، وأصحابه له ماقتون ونحن لك محبون ، وكلمتهم مفترفة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تؤتى من ضعف جنان ولا قلة أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ولا يحرضك عليه غاش ، وقد قلت فى ذلك أبياتا » فقال : « هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح » فقال :

آل الزبير من الخلافة كالتى عَجِلَ النّتاجُ بحملها فأحالها
أو كالضِّعاف من الحمولة حُمّلتْ مالا تُطيق فضيَّعتْ أحْمالها
قوموا إليهم لا تناموا عنهُم كم للغواة أطلتمو إمهالها
ان الخلافة فيكمو لا فيهمُ ما زلتمُ أركانها وثمالها
أمسوا على الخيرات قُفْلا مُغْلقاً فانهض بيُمْنك فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : « صدقت يا أبا عبد الله ان أبا خبيب لقفل دون كل خير ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل » وأمر له بصلة سنية . وأخباره فى الاغانى ١٦٠ ج ١٦ (*)

(*) وانظر خزانة الادب ج ١ ص ٣٤٥ و ج ٢ ص ١٠٠ والمؤتلف ١٢ وديوان الحماسة لابى تمام ، وشرح التبريزى عليه ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٨٦ (طبعة لجنة التاليف) وقد نشر جاير ديوانه بذيل الاعشى الكبير

٣ ـ نابغة بنى شيبان

هو أيضا من ربيعة كالاعشى واسمه عبد الله بن المخارق ، وكان بدويا يقيم فى البادية ويفد على خلفاء بنى أمية فى الشام فيمدحهم ويجزلون عطاءه . وكان نصرانيا ، وفى شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما . وقد مدح عبد الملك ، ودخل عليه يوما ، وقد عزم على عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد ، وكان المجلس حافلا بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته ، فدخل النابغة وأنشده قصيدة لعل عبد الملك أوعز اليه أن يفعل ليجس الرأى العام كما فعل معاوية قبله . ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهـــدا وصـــادقٌ قسمى   بربِّ عبدٍ تُجِنُّهُ الكُرُحُ (*)
يظل يتلو الانجيـل يدرسـه   من خشـية الله قلبـه طَفِحُ
لابنـك أولى بملك والده   ونجمُ مَنْ قد عصاك مُطَّرَحُ
داود عَــدْلٌ فاحـكم بسيرته   ثم ابنُ حَرْبٍ فإنهم نصحوا
وهم خيـارٌ فاعمـل بسنتهم   واحْيَ بخير واكْدَحْ كما كَدَحوا

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم فى ذلك باقرار ولا دفع ، فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز . وأدرك النابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه ، وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر ببنى شيبان . وأخباره فى الاغانى ١٥١ ج ٦ ، وله ديوان خطى فى دار الكتب المصرية (**)

٤ ـ عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة ، حى من قضاعة ، كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا خاصا بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى . وكان منزله فى دمشق ، فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد المذكور ، ولم يجسر جرير على هجائه خوفا من الوليد لانه هدده بالاذى اذا فعل . ومن شعره فى وصف ظبيـة قوله : (***)

كالظبية البِـكْر الفريدة تَرْتعى   من أرضـها قَفَّاتهـا وعِهـادها
خضبتْ لها عُقَدُ البراق جَبِينَها   من عَرْكها عَلَجانها وعَرادها

(*) الكرح : بيوت الرهبان بالكوفة
(**) طبعت دار الكتب المصرية هذا الديوان
(***) الغريب فى هذه الابيات : القفات : نوع من شجر البادية ، والعهاد بالكسر : الامطار المتوالية ، العقد : أصول الشجر ، البراق : الارض الغليظة الصلبة ، العلجـان : شجر ، العراد ، حمض ، أراد جمع رائد بالكسر : الاتراب ، الاعن : ولد الظبية ، الروق : القرن الابرة : الطرف الحاد

كالزَّيْن فى وجه العَروس تبدلت بعد الحياء فلاعبتْ أرآدها
نزجى أغَن كأنَّ إبرة رَوْقه قلمٌ أصاب من الدواة مِدادها

وفى هذه القصيدة يذكر شعره وعلمه وحنكته :

ولقد أصبت من المعيشة لذةً ولقيت من شَظف الخطوب شدادها
وعلمت حتى لست أسأل عالما عن علم واحدةٍ لكى أزدادها
صَلَّى المليكُ على امرىء ودَّعْتُه وأتمَّ نعمته عليه وزادها

ومن قوله فى مدح عمر بن الوليد وفيه حكم :

وإذا نظرت إلى أميرى زادنى ضناً به نظرى الى الأمراءِ
تسمو العيون إليه حين يرونه كالبدر فَرَّج دُهْمة الظلماء
والأصل ينبت فرْعُه متأثّلا والكفُّ ليس بنانها بسواء

وأخباره فى الاغانى ١٧٩ ج ٨ ، والشعر والشعراء ٣٩١ (*)

٥ ــ أبو صخر الهذلى

واسمه عبد الله بن سلم من هذيل وكان متعصبا لآل مروان ، مدح عبدالملك وأخاه عبد العزيز وهجا ابن الزبير فحبسه ابن الزبير حتى مات . وله نسيب فى امرأة من قضاعة أحبها وتزوجها سواه . وتجد أخباره فى الاغانى ٩٤ ج ٢١ ، وخزانة الادب ٥٥٥ ج ١

وهناك طائفة من أنصار بنى أمية أضطروا الى مدح آل الزبير لقيامهم بين أظهرهم ، ولان أكثرهم كانوا يمدحون بعض امراء بنى أمية لا خلفاءهم . ولو كانوا من شعراء الخلفاء ، ربما كانوا أثبت منهم فى مدحهم

٦ ــ عبد الله بن الزبير الاسدى

هو غير ابن الزبير القائم بالدعوة فى الحجاز . وهو شاعر هجاء يرهب شره، نشأ فى الكوفة وأقام فيها وكان متشيعا لبنى أمية ومن ذوى الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم . ومازال كذلك حتى غلب مصعب بن الزبير على الكوفة فأتى به سرا ، فمن عليه ووصله وأحسن اليه فمدحه وأكثر ، وانقطع اليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب سنة ٧١ . ثم عمى عبد الله بن الزبير بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك . وأكثر مدائحه فى بشر بن مروان الاموى ، ومن قوله يمدحه :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام وفهرس البيان والتبيين وأمالى المرتضى اذ ذكر فى مواضع متفرقة ، وله ثلاث قصائد فى الطرائف الادبية طبع لجنة التأليف

كأن بنى أمية حول بشرٍ نجوم وسطها قمر منيرُ
هو الفرع المقدّم من قريش اذا أخذت مآخذها الأمور
لقد عمّت نوافله فأضحى غنياً من نوافله الفقير
جَبَرْتَ مهيضنا وعدلت فينا فعاش البائس الكَلّ (١) الفقير
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريشٌ لنا والواكف الجَوْن المطير

ومن مديحه فى أسماء بن خارجة قوله :

تراه إذا ما جئته متهلّلاً كأنك معطيه الذى أنت نائلُه
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

ومن هجائه قصيدة يهاجى بها عبد الرحمن بن أم الحكم مطلعها :

أبى الليل بالمرّان أن يتصرما كأنى أسوم العين نوماً محرّما

واخباره فى الاغانى ٣٢ جزء ١٣ (**)

٧ ــ ابو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة ، من بنى أمية ، وكان يقيم فى المدينة وهواه مع بنى أمية . فلما تمكن إبن الزبير من الحجاز ، نفاه مع من نفاه من بنى أمية الى الشام ، فلما طال مقامه فيها قال :

ألا ليت شعرى هل تغيّر بعدنا قُباءٌ وهل زال العَقيقُ وحاضرُهُ
وهل برحتْ بطحاء قبرِ محمد أراهطُ غرٌّ من قريشٍ تُباكره
لهم منتهى حُبّى وصَفْوُ مودتى ومحض الهوى منى وللناس سائره

واكثر من ذكر المدينة والحجاز فى شعره وشوقه الى الوطن ، فلم يعجب ذلك عبد الملك وتنقصه لرغبته فى الحجاز عن الشام . وبلغ ذلك ابا قطيفة فقال :

وأنبئتُ أن ابن العملّس (***) عابنى ومن ذا من الناس البرىءُ المسلّم
مَن أنتمْ من أنتم خبّرونا من أنتم فقد جعلتْ أشياء تبدو وتُكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال : « ما ظننت أنا نجهل . والله لولا رعايتى لحرمته لالحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط »

(*) الكل : العالة
(**) وانظر الخزانة ج ١ ص ٣٢٥ ، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠ وديوان الحماسة لابى تمام والبيان والتبيين وأمالى المرتضى (الفهارس)
(***) العملس : الدليل

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة فى سبيل حبه المدينة ، فبعث اليه ان يعود الى بلده وهو آمن . فانكفأ الى المدينة فلم يصل اليها حتى مات .

وتجد أخباره فى الاغانى ٧ جزء ١

سائر انصار بنى اميه

وهناك طائفة من انصار بنى أمية ، وفيهم من مدح الامراء دون الخلفاء أو مدح الاثنين . وربما اضطر بعضهم لمدح آل الزبير للاسباب التى تقدمت، ولو رأينا ذكر تراجمهم لطال بنا القول ، فنكتفى بالاشارة الى المصادر التى يمكن الرجوع اليها لمن أراد الاطلاع على أخبارهم ، وليس لأحد منهم ديوان معروف وهم :

٨ ــ أميه بن أبى عائذ الهذلى : مدح عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان . ترجمته فى الاغانى ١١٥ جزء ٢٠ ، وخزانة الادب ٤٢١ جزء ١

٩ ــ جبهاء الاشجعى : شاعر بدوى ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم . ترجمته فى الاغانى ١٤٦ جزء ١٦

١٠ ــ الحكم بن عبدل الاسدى : كان أعرج أحدب شاعرا هجاء خبيث اللسان مدح بعض آل مروان . ترجمته فى الاغانى ١٤٩ جزء ٢ وفوات الوفيات ١٤٥ جزء ١

١١ ــ شبيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدويا لم يحضر آلا وافدا أو منتجعا . ترجمته فى الاغانى ٩٣ ج ١١

١٢ ــ عبد الله بن حجش : من الصعاليك كان يعجب ببنى أمية . الاغانى ١١٨ ج ١٧

١٣ ــ العجير السلولى : هو شاعر مقل عاصر الملك وسليمان وهشاما . ترجمته فى الاغانى ١٥٢ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٩٩ ج ٢

١٤ ــ عويف الفزارى : من قيس كان يقيم فى الكوفة وبيته من البيوتات الفاخرة فى العرب . ترجمته فى الاغانى ١٠٥ ج ١٧ ، وخزانة الادب ٨٧ ج ٣

١٥ ــ الفضل بن العباس : من قريش عاصر الوليد بن عبد الملك . ترجمته فى الاغانى ٢ ج ١٥

١٦ ــ موسى شهوات : مولى قريش وأصله من أذربيجان . ترجمته فى الاغانى ١١٨ ج ٣ ، والشعر والشعراء ٣٦٦

انصار آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوتات الاسلام من الازد ، اشتهروا بالكرم فى أيام بنى أمية مثل اشتهار آل برمك فى الدولة العباسية ، ونكبوا بمثل نكبتهم ، وهم ينتسبون الى كبيرهم المهلب بن أبى صفرة . عمل المهلب لبنى أمية وحارب عنهم الازارقة ، وآخر ماتولى من الاعمال بلاد خراسان ، تولاها من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفى سنة

٨٣ هـ ، وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريما التماسا لحسن الاحدوثة ، ومن أقواله : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لاحببت أن تكون لى اذن أسمع بها ما يقال فى غدا اذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابناؤه على خطواته فكثر الشعراء الذين مدحوهم . وأشهر أولاده : يزيد بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع مأثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء المدوحين توفى سنة ١٠٠هـ ، وحبيب بن المهلب وغيرهم . أما الشعراء الذين مدحهم فهاك أشهرهم :

١ — زياد الاعجم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من موالى عبد القيس من بنى عامر بن الحارث ، وكان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعرا جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعاجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح بخاصة المغيرة بن المهلب ، وله فيه قصيدة يرثيه بها تزيد على خمسين بيتا مطلعها :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائح
ان المروءة والسماحة ضمنتا قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح (*)

ومن لطيف أخباره مع حبيب بن المهلب ، انه جاء مرة الى المهلب فى اصبهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياما . وبينما هو جالس فى عشية مع حبيب المذكور فى دار له وفيها حمامة تسجع ، قال زياد يخاطب الحمامة :

تغنى أنت فى ذممى وعهدى وذمة والدى أن لم تطارى
وبيتك فاصلحيه ولا تخافى على صفر مزغبة صغار
فإنك كلما غنيت صوتا ذكرت أحبتى وذكرت دارى
فإما يقتلوك طلبت ثأرا له نبأ لأنك فى جوارى

فقال حبيب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها ؟ » قال : « أرمى جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعدين عليك الامير » فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها ، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وانشده الشعر فقال المهلب : « على بأبى بسطام » فأتى بحبيب فقال له : « اعط أبا أمامة دية جارته ألف دينار » فقال : « أطال الله بقاء الامير انما كنت ألعب » قال : « اعطه كما آمرك » فأعطاه

(*) كوم الهجان : النوق السمينة ، والطرف : الفرس

وهم الفرزدق أن يهاجي عبد القيس موالي زياد ، فبعث اليه زياد : « لا تعجل حتى أهدى اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول :

وما ترك الهاجون لى إن هجوته مُصِحاً أراه فى أديم الفرزدقِ
ولا تركوا عظما يُرَى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرِّق
سأكسر ما أبقوه لى من عظامه وأنكت مُخَّ الساقِ منه وانتقى
وإنا وما تهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يُلْقَ فى البحر يغرق

فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد » ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه · ومن قوله يخاطب يزيد ابن المهلب :

وهل لك فى حاجتى حاجة أم أنت لها تارك طارحُ
أمتها لك الخير أم أحيها كما يفعل الرجل الصالح
إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا رائحُ

ومن خبيث هجائه قوله يهجو الاشاقر :

قُبَيِّلَةٌ خيرها شرها وأصدقها الكاذب الآثمُ
وضيفهمُ وسط أبياتهم وإن لم يكن صائما صائمُ

ومن مأثور حكمه قوله :

وكائنْ ترى من صامتٍ لكمعجبٍ زيادته أو نقصه فى التكلمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم تبقَ الا صورةُ اللحم والدم

وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ ، والشعر والشعراء ٢٥٧ ، وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (*)

٢ ـ ثابت قطنة

هو مولى بنى أسد بن الحارث ، واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس شجاع · كان فى صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته فضلا عن شاعريته·ومن لطيف خبره أن يزيد ولاه عملا فى خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام

(*) وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ومعجم المرزبانى ١٣٣ ، والجزء الثالث من أمالى القالى ، والحماسة ، والبيان والتبيين ، وأمالى المرتضى ، وأمالى اليزيدى ١ ـ ٧ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة المهلب بن أبى صفرة ، والمؤتلف للآمدى ص١٣١ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وفهرس تاريخ الطبرى

الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسرا أو بعد عى بيانا ، وأنتم الى أمير فعال منكم الى أمير قوال

وان لم أكن فيكم خطيبا فإننى بسيفى إذا جَدَّ الوَغَى لخطيبُ »

وجالس ثابت قوما من الشراة وقوما من المرجئة ، وكانوا يجتمعون فيتجادلون فى خراسان فمال الى قول المرجئة ، ونظم هذا المذهب قصيدة وصفه فيها ، من جملتها قوله :

يا هندُ فاستمعى لى إن سيرتنا أن نعبد الله لم نشركْ به أحدا
نُرْجِى الأمور اذا كانت مشبَّهة ونصدق القول فيمن جارَ أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهمُ والمشركون استووا فى دينهم قِددا
ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا سفكُ الدماء طريقا واحدا جدَدا

ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ، ولما قتل يزيد قال ثابت يرثيه :

كل القبائل تابعوك على الذى تدعو اليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حَمِيَ الوغَى وجعلتهم نَصْبَ الأسنة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك وبعضُ قتلٍ عارُ

ومن فخرياته قوله :

تعففتُ عن شتم العشيرة إننى وجدت أبى قد كفَّ عن شتمها قبلى
حليما إذا ما الحلم كان مروءةً وأجهل أحيانا إنْ التمسوا جهلى

وأخباره فى الاغانى ٤٩ ج ١٣ ، والشعر والشعراء ٤٠٠ ، وخزانة الادب ١٨٥ ج ٤ (*)

٣ ــ حمزة بن بيض

توفى سنة ١١٦ هـ

هو حنفى من بكر وائل (ربيعة) من أهل الكوفة ، خليع ماجن من فحول طبقته . وكان منقطعا لآل المهلب وولده ثم آل أبان بن الوليد وبلال ابن أبى بردة ، واكتسب بالسفر الى هؤلاء مالا كثيرا . ذكروا أنه اكتسب

---

(١) الاغانى ٥٤ ج ١٣
(*) وانظر فهرس تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الاثير (طبعة ليدن) ٤ ص ١٣٠ ، ومروج الذهب للمسعودى (طبعة باريس) ج ٥ ص ٤٥٥

نحو مليون درهم ، فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقــدم ·
ومن قوله يخاطب مخلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت :

أتينـاكَ في حاجـةٍ فاقضـها وقلْ مرحبـاً ، يجب المرحَبُ
ولا تتكلْنــا الى معشــرٍ متى يعـدوا عِدَةً يكـذبوا
فإنك في الفـرع من أسرةٍ لهـم خضـعَ الشرقُ والمغـرب
وفي أدبٍ منهـمُ ما نشـأتَ ونعم لعمـرك ما أدّبـوا

فأمر له بمائة ألف درهم · ولما سجن يزيد بن المهلب ، دخل عليه حمزة وأنشده أبياتا مطلعها :

أغْلق دون السماح والجود والنَّجْدة بابٌ حـديدُه أشِبُ (١)

فدفع اليه يزيد فص ياقوت باعه بثلاثين ألف درهم

ولحمزة أخبار طويلة حسنة أكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلد · وله في عبد الملك وابنه سليمان أقوال وأخبـار تجدها في الاغاني ١٥ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ١٤٧ ج ١ (*)

٤ ـ كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشاقر قبيلة من الازد ، شـاعر فارس خطيب معدود في الشجعان من أصـحاب المهلب ، وله ذكر في حروبه للازارقة . وكان الفرزدق شديد الاعجاب به ، يعده رابع الثلاثة الفحـول (الفرزدق وجرير والاخطل) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع الازارقة ، فأنشده قصيدة مطلعها :

ياحفص إني عداني عنـكمُ السفرُ وقد سهرتُ فآذى عينيَ السـهرُ

ثم وصف المعركة الى أن قال :

عَبَّوا كمينهمُ بالسَّفْحِ إذ نزلوا بكازرونَ فما عَزّوا ولا نَصروا
باتت كتائبنا تَرْدِي مسوَّمةً حول المهـلب حتى نَوَّرَ القمرُ
هناك ولَّوا جراحاً بعـدما هربوا وحال دونهم الأنهـار والجدُرُ
تأبى علينا حزازاتُ النفوس كما نبقي عليهم ولا يُبقون إن قـدروا

---

(١) أشب : مشتبك
(*) وانظر المؤتلف ص ١٠٠ وفهارس البيان والتبيين والكامل وأمالي المرتضى والحيوان للجاحظ ومعجم الادباء (طبع مصر) ج ١٠ ص ٢٨٠

وهجاه زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس ، فقال كعب يهجو عبد القيس :

إنى وإن كنت فَرْعَ الأزد قد علموا أخزَى إذا قيل عبد القيس أخوالى

فيهم أبو مالك بالمجد شرّفنى ودَنَّس العبدُ عبدُ القيس سربالى

فرد عليه زياد يهجو الاشاقر اللجاج فشكاه الى المهلب . فاستقدم زيادا وعاتبه وصالحهما . . وأخبار كعب كثيرة تراها فى الاغانى ٥٦ ج١٣(*)

٥ ــ بيهس الجرمى

هو بيهس بن صهيب ، من جرم (قضاعة) شاعر فارس شجاع ، كان يبدو بنواحى الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ، ويحضر معهم فى أجناد الشام. وقد صحب المهلب بن ابى صفرة فى حربه للازارقة ، وكانت له مواقف مشهورة . أول ما هاج شاعريته أنه هوى امرأة من قومه اسمها صفراء . وكان يتحدث اليها ويكتم وجده لها ولا يخطبها لابيها لانه كان صعلوكا لا مال له وكان ينتظر أن يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثا وشعرا . . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحى مرة فهجرته . وعرض له سفر فخرج اليه وقد زوجها أبوها رجلا من بني أسد فذكرها فى قصيدة ، ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها ، فقال يرثيها بقصيدة عبر بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين ، من ذلك قوله :

هل بالديار التى بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمع صوت المُدلج السّارى

تلك المنازلُ من صفراءَ ليس بها نارٌ تضيء ولا أصوات سُمّار

عَفَتْ معارفها هوجاً مغيِّرةً يَسفى عليها تراب الأبطح الهارى

حتى تنكَّرتْ منها كل معرفة إلا الرماد نخيلا بين أحجار

طال الوقوف بها والعين يسبقنى فوق الرداء بَوادى دمعها الجارى

أن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ألهو لديهم ولا صفراءُ فى الدار

وله قصيدة فى مدح محمد بن مروان لانه أجاره من تهمة كانت عليه، منها:

وإن محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب

فيجبر صِبْيتى ويحوط جارى ويؤمن بعدها أبدا صحابى

هو الفرع الذى بُنيت عليه بيوتُ الأطيبين ذوى الحجاب

وتجد أخباره فى الاغانى ١٦١ ج ١٠ و ١٠٧ ج ١٩

(*) وانظر معجم المرزبانى ٣٤٦ وفهارس الطبرى وابن الاثير والبيان والتبيين

وممن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

٦ ـ العديل بن الفرخ من ربيعة : ترجمته فى الاغانى ١١ ج ٢٠ وفى الشعر والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢

٧ ـ المغيرة بن حبناء من تميم : ترجمته فى الاغانى ١٦٢ ج ١١ وخزانة الادب ٦٠١ ج ٣

٨ ـ يزيد بن الحكم من ثقيف : ترجمته فى الاغانى ١٠٠ ج ١١

أنصار العلويين أو الهاشميين

كان أنصار العلويين من الشعراء كثيرين ، لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفا من الامويين وهم أهل السيادة ، وربما مدحهم أحدهم سرا ثم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميت بن زيد وغيره . وهاك أشهر أنصار العلويين :

١ ـ الكميت بن زيد
المتوفى سنة ١٢٦ هـ

هو الكميت بن زيد الاسدى شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها ، المتعصبين على القحطانية القارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والايام المفاخرين بها . وكان مشهورا بالتشيع لبنى هاشم ، وقصائده فيهم تسمى الهاشميات . وهى من جيد شعره وكانت أول منظوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بنى هاشمٍ رهطُ النبىِّ فإننى بهم ولهم أرضى مِراراً وأغضب
خفضتُ لهم منى جَناحىْ مودةٍ الى كَنَفٍ عِطْفاه أهلٌ ومرْحبُ
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء مِجَنًّا على أنى أذم وأغضب
وأُرمَى وأرمِى بالعداوة أهلها وانى لأوذى فيهمُ وأؤنَّب

فقال له الفرزدق : « يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى »

ويقال فى سبب توسعه بعلم لغة العرب واخبارهم انه كان له جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية .. فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الأيام يُقْضَى عجيبها بطول ولا الأحداث تَفْنَى خطوبها

وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن . وأراد خالد القسرى أن يشى به

الى بنى امية . فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدها ليهديها الى هشام بن عبد الملك ، وكتب اليه بأخبار الكميت وأنفذ قصيدته التى يقول فيها :

فيارب هل إلا بك النصر يُبْتَغَى ويارب هل إلا عليك المعوَّلُ

وهى طويلة يرثى بها زيد بن على (الهاشمى) ويمدح بنى هاشم فأكبرها هشام ، فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده .. فنبهه الى ذلك بعض أصدقائه ، ففر وقضى زمانا مختفيا ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام ومدحه بقصيدة انشده اياها مطلعها :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غيرُ صاغر

الى ان قال :

فالآن صرت إلى أميَّة والأمور الى مصائر
يا ابن العقائل للعقائل والجحاجحة الأخاير
من عبد شمسٍ والأكابر من أمية فالأكابر
إن الخلافة والإلاف برغم ذى حَسَدٍ وَواغِرْ
دلَفَا من الشرف التليد إليك بالرِّفْدِ المُوافر

وانشده غيرها وغيرها فأجاره . ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الأيام يَقْضى عجيبها لطول ولا الأحداثُ تفنى خطوبها
ولا عبرة الأيام بعرف بعضَها ببعضٍ من الأقوام إلا لبيبُها
ولم أرَ قولَ المرء الا كَنبله له وبه محرومها ومصيبها

وتوفى سنة ١٢٦ وله ستون سنة، وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتا . والهاشميات مطبوعة بمصر وفى ليدن سنة ١٩٠٤ ، ولها شرح منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وللكميت ترجمة مطولة فى الاغانى ١١٣ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٣٦٨ ، وخزانة الادب ٦٩ جزء ١ ، والجمهرة ١٨٧ (*)

٢ ـ أيمن بن خريم الاسدى

هو من بنى اسد ، كان شديد التشيع لعلى وقد مدح بنى هاشم ومن قوله فيهم :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ومعجم المرزبانى ٣٤٧ والمؤتلف ١٧٠ ، والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة وديوان الحماسة ، وأمالى المرتضى ، ومروج الذهب للمسعودى ج ٦ ص ٣٦ ، وفهرس الطبرى ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة كميت ، وتاريخ الاداب العربية لناللينو والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، وحماسة البحترى رقم ٣٧٧ من طبعة بيروت

نهـــــاركم مكابدة" وصوم" وليــلكم صــلاة" واقتـــــراء
أأجعلكم وأقــواماً ســــواء وبينــكم وبينهم الهـــواء
وهم أرض" لأرجــلكم وأنتم لرؤوســهم وأعينهم ســماء

على انه اضطر الى مسايرة بنى امية ومدح عبد الملك . وله فى وصف النســاء قصيدة بديعة تجدها مع سائر أخبـــاره فى الاغانى ٥ جزء ٢١ ؛ والشعر والشعراء ٣٤٥ (*)

أنصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك فى أنصــــــار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير ، فان شعراءهم لم يكونوا يستطيعون الظهور ويندر ظهور أحدهم . وهاك أشهرهم :

١ ــ الطرماح بن حكيم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من طى ، من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، نشأ فى الشام وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشراة والازارقة وكان معاصرا للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين . وسئل الكميت مرة : « لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد فهو شامى قحطانى وأنت كوفى نزارى شيعى ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ » فقال : « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرماح والكميت رغبة فى الغريب يدخلانه فى أشـــــعارهما . ومن قول الطرماح يمدح نفسه :

إذا قُبضت نفسُ الطرمّاح أخلَقت عُرى المجد واسترخى عنانُ القصائد

ومن قوله فى الفخر :

وما أنا بالراضى بما غَيْرُهُ الرِّضَى ولا المظهر الشكوى ببعض الأماكنِ
ولا أعرف النُّعمَى علىَّ ولم تكن وأعرف فَصْلَ المنطق المتغابن

وله قصائد كثيرة فى هجاء بنى تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم : (**)

(*) وانظر المسعودى فى التنبيه والاشراف ص ٢٥٣ حيث عده عثمانيا ، وربما كان ممن اختلفوا الى الفريقين الشيعى والاموى ، فكان شيعيا مرة وأمويا عثمانيا مرة

(**) الغريب فى هذه الابيات : القطا : طائر صحراوى من طير الجزيرة . الحرقوص دويبة صغيرة . المسك : الجلد . ويزقق : يسلخ ويتخذ زقا للخمر . أكنت : استظلت

تميم" بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة يكر على صفى تميم لولت
ولو أن حرقوصاً بزقّق مسكه اذا نهلت منه تميم وعلت
ولو جمعت يوما تميم جموعها على ذرة معقولة لاسنقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لأكنت

وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمته :

قل في شط نهروان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض

ومن قوله ويدل على مذهبه فى الشراة :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له إن لم أفز فوزة تنجى من النار
والنار لم ينج من روعاتها أحد الا المنيب بقلب المخلص الشارى
أو الذى سبقت من قبل مولده له السعادة من خلاقها البارى

وكان الاصمعى يستجيد قوله فى صفة الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد

وللطرماح ديوان طبع فى انجلترا باشراف لجنة تذكار جيب مع ديوان الطفيل ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw، وأخباره فى الاغانى ١٥٦ جزء ١٠ ، والشعر والشعراء ٣٧١ ، وخزانة الادب ٤١٨ جزء ٣ ، والجمهرة ١٩٠ (*)

٢ ـ عمران بن حطان

توفى سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل ، شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم المقدمين فى مذاهبهم . وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه .وهو مغال فى التعصب على علي ، يؤيد ذلك قوله فى مدح ابن ملجم قاتل علي :

لله در المرادى الذى سفكت كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
أمسى عشية غشاه بضربته مما جناه من الآثام عريانا

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وحماسة أبى تمام ، وحماسة ابن الشجرى ، والاشتقاق ٢٣٤ ، والمؤتلف ١٤٨ ، والعينى ج ٢ ص ٢٧٦ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، المعارف الاسلامية ، ومقدمة كرنكاو لديوانه

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لانها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به الى رأيهم ، وكان الحجاج يلح فى طلب عمران بن حطان . وبلغه أن غزالة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب اليه عمران :

أسدٌ علىَّ وفى الحروب نعامة   رَبداءُ تجفل من صفير الصافر (*)
هلا برزت الى غزالة فى الوغى   بل كان قلبك فى جناحىْ طائر
صدعتْ غزالةُ قلبه بفوارسٍ   تركتْ مدابره كأمس الدابرِ

ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان فى عصره حتى كان لايقول أحد من الشعراء شعرا الا نسب اليه لشهرته ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمه انه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المادحُ العبادَ ليُعطَى   إن لله ما بأيدى العبادِ
فاسألِ الله ما طلبت إليهم   وارْجُ فضلَ المقَسِّم العوّادِ
لا تقلْ فى الجواد ما ليس فيه   وتسمِّ البخيل باسم الجوادِ

وكان عمران يفتخر بأنه لم يكذب فى شعره ، ومن ذلك قوله يخاطب امرأته جمرة :

يا جمر إنى على ما كان من خُلُقى   مُثْنٍ بخلات صدقٍ كلها فيكِ
الله يعلم أنى لم أقل كذباً   فيما علمتُ وأنى لا أزكّيكِ

وأخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ١٦ وخزانة الادب ٤٣٦ ج ٢ (**)

٣ ــ عبد الله بن الحجاج الذبيانى

توفى سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الاقرع . شاعر فاتك شجاع من معدودى فرسان مضر ذوى البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفى ثم هرب ، فلحق بعبد الله بن الزبير فكان معه الى أن قتل . ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه فى حديث طويل . وعاش الى زمن الوليد بن عبد الملك ووشى به فحبسه ، فقال وهو فى الحبس قصيدة من جملتها :

(*) ربداء : غبراء ، تجفل : تخاف فتسرع فى الجرى

(**) وانظر الاصابة لابن حجر ، وتاريخ ابن عساكر ، وأمالى المرتضى ، وديوان المعانى ج١ ص ٣١٥ والمؤتلف رقم ٢٤٥

فإن يَعْرِضْ أبو العباس عنى ويركبْ بيعروضاً عن عَروض(*)
ويجعل عُرْفَه يوماً لغيرى ويُبْغِضْنى فإنى من بغيض
فإنى ذو غنى وكريمُ قومٍ وفى الأكفاء ذو وجه عريضِ

واخباره فى الاغانى ٢٥ ج ١٢

٤ ــ اسماعيل بن يسار النسائى

توفى سنة ١١٠ هـ

هو مولى بنى تيم (من قريش) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر لعبد الملك بن مروان وفد اليه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ، ولكنهم كانوا يضمرون الكره لهم . ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد وفد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجبه ساعة ثم أذن له فدخل يبكى فقال له الغمر : « مالك يا أبا فائد تبكى ؟ » فقال : « وكيف لا أبكى وأنا على مروانيتى ومروانية أبى احجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكى . فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : « أخبرنى ويلك يا اسماعيل أى مروانية كانت لك أو لابيك » قال : « بغضنا اياهم ، امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا اله الا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمرا طويلا وكان شعوبيا يفخر على العرب بالعجم ، ومن قوله :

إنما سُمِّىَ النوارس بالفُر س مضاهاةَ رفعةِ الأنسابِ
فاتركى الفخر يا أمامَ علينا واتركى الجَوْرَ وانطقى بالصواب
واسألى إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا فى سالف الأحقاب
إذ نُرَبِّى بناتنا وتدسّو ن سَفاهاً بناتكم فى التراب

ومن اقواله فى الغزل من قصيدة :

حتى دخلتُ البيت فاستذرفتْ من شَفَق عيناكِ لى تَسْجُمُ
ثم انجلى الحزن ورَوْعاته وغُيِّبَ الكاشح والمُبْرِمُ
فبتُّ فيما شئت من نعمةٍ يَمْنَحُنيها نحرُها والفم
حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاءُ والمِرزم

(*) العروض : الجهة . بغيض : قبيلة . المبرم : الثقيل . المرزم : نجم مع الشعريين

خرجتُ والوطء خفيٌّ كمـــا ينســاب من مكمنه الأرْقَمْ

واخباره فى الاغانى ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بنى أمية

ومن أنصار أعداء بنى أمية غير من تقدم جمـاعة تكتفى بذكر مصـادر تراجمهم وهم :

٥ — أبو وجزة السعدى من هوازن توفى سنة ١٣٠ مدح آل الزبير . أخباره فى الاغانى ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢

٦ — أبو حزابة من أنصار ابن الاشعث . أخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ١٩

٧ — أبو كلدة اليشكرى ، من بكر ، من أنصار ابن الاشعث سكن الكوفة وقتله الحجاج . أخباره فى الاغانى ١١٠ ج ١٠

شعراء الغزل

في العصر الاموى

قلنا فى كلامنا عن التشبيب أن امام التشبيب فى هذا العصر جميل بن معمر امام المحبين ، وكان يشبب بحبيبته عن شعور حقيقى بالحب .. فقلده الشعراء فى ذلك وان لم يكونوا محبين . على أن أكثرهم ابتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشببين بضعة وعشرين شاعرا منهم خمسة من قريش هم : عمر بن أبى ربيعة ، والعرجى ، والحارث بن خالد ، وأبو دهبل ، وابن قيس الرقيات ، وعروة بن أذينة ، وامامهم عمر بن أبى ربيعة . وهو اول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجىء ، فنبدا بجميل ثم نذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

١ — جميل بن معمر

توفى سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر ، من عذرة ، وكان شاعرا فصيحا مقدما جامعا للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ، ولذلك عرف بجميل بثينة . وكانا يقيمان فى وادى القرى وكان اول عهده بها وهى صغيرة . ومن اوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودةَ بيننا بوادى بَغيضٍ يا بُثينُ سبابُ
وقلتُ لها قولا فجاءتْ بمثله لكل كلام يابثينُ جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة ، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره . واتفق مرة أن توبة بن الحمير صاحب ليلى من بنى عذرة ، فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر .. فثارت الغيرة فى قلب جميل ، فقال لتوبة : « من أنت ؟ » قال : « أنا توبة بن الحمير » قال : « هل لك فى الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك » . فأعطته بثينة ملاءة حمراء فأتزر بها ثم صارعه ، فصرعه جميل . ثم قال : « هل لك فى النضال ؟ » قال : « نعم » فناضله فنضله جميل . ثم قال : « هل لك فى السباق ؟ » قال : « نعم » فسابقه فسبقه جميل . فقال توبة : « ياهذا انما تفعل

ذلك بريح هـذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا الوادي » فهبط فصرعه توبة وبضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ماعند جميل ، ولما رأت مناضلته عنها زادت شغفا به . ولكنهما لم يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل يخلو من الرقباء ، لكنهم لم يستطيعوا رميه ، وأخبـاره معهـا كثيرة لايسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سرا عن أهلها فألحوا بالشكوى منه الى العامل ، ففر الى اليمن حتى عزل العامل .. وانتجع أهل بثينة الشام فرحل جميل اليهم ، فترصدوه وشكوه الى عشيرته ، فعنفه أهله وهددوه . فانقطع عنها . وأخيرا لجأ الى مصر ، وعاملهـا عبد العزيز بن مروان ، فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض ما بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وإنى لأرضى من بثينةَ بالذى لو ابصره الواشي لقرَّتْ بلابله
بلا وبأن لا أستطيعَ وبالمنى وبالأمل المرجوِّ قد خاب آمله
وبالنظرة العَجْلَى وبالحول تنقضى أواخـره لا نلتقى وأوائله

ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليلى :

وما زلتمُ يا بَثْنَ حتى لو أننى من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا
إذا خَدِرتْ رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيبٍ كنت أنتِ دعائيا
وما زادنى النأىُ المفرّق بعدكم سُلُوًّا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون الا صبابة ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتةً وفى النفس حاجاتٌ إليك كما هيا

ومن بديع قوله فى النسيب :

لها فى سواد القلب بالحب مَيْعَةٌ هى الموت أو كادت على الموت تُشرِفُ
وما ذكرتك النفسُ يا بثن مرةً من الدهر الا كادت النفس تتلفُ
وما استطرفتْ نفسى حديثاً لخلةٍ أسرُّ به الا حديثك أطرفُ

وأكثر شعره فيها وله أبيات فى الفخر بليغة منها :

يُحِبُّ الغوانى البيضُ ظلَّ لوائنا إذا ما أتانا الصارخُ المتلهّفُ
نسير أمام الناس والناسُ خلفنا فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكنا إذا ما معشرٌ نصبوا لنا ومرت جوارى طَيْرهم وتعيّفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها إذا الناس طَفّفوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهورا فى أيام ابن خلكان ، ولم نقف على خبره . ولكن منه أشعارا مجموعة فى كتاب منه نسخة خطية فى مكتبة برلين

ونرى ترجمة جميل فى الاغانى ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٣٤ و ١٤٢ ج ٢ . وابن خلكان ١١٥ ج ١ ، وخزانة الادب ١٩١ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٦٠ . وفى الهلال ٢٤٢ سنة ٦ (*)

شعراء قريش الغزليين

١ ـ عمر بن أبى ربيعة

توفى سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم عليها فى كل شىء الا الشعر ، حتى ظهر عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها به

وقصر عمر المذكور شعره على وصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال فى أوائله ، والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجرؤ ابن أبى ربيعة على ذلك الا لمنزلته فى قريش ، ومع ذلك فقد عدوا شعره ضررا على الاداب ، فقد قال ابن جريج : «مادخل العواتق فى حجالهن شىء أضر عليهن من شعر ابن أبى ربيعة » وقال هشام ابن عروة : « لا ترووا فتيانكم شعر عمر بن أبى ربيعة لئلا يتورطوا فى الزنا تورطا » (١) وكان أخوه الحارث يمنعه من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشبب بحبيبته ، أما عمر فكان يشبب بكل جميلة وإن لم يكن بينه وبينها مودة . وصار له فى التشبيب طريقة عرفت باسمه حاكاها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيبه قال : « هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » . وكانوا لذلك يعدونه أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقيم بمكة ، فاذا آن الحج إعتمر فى ذى القعدة ، ولبس الحلل الفاخرة ، وركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والديباج ، وأسبل لمته ، ولقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات الى مر ، ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشبب بشهيرات النساء اللواتى يقدمن الى مكة وهن فى مشاعر الحج ، أو ينظر اليهن وهن فى الطواف فيرى منهن مالا يراه فى الخارج فيصفهن .. فتعرض لاشهر نساء العرب وأجملهن ، وفيهن جماعة من كبريات القوم ، وفى جملتهن

(*) وانظر المؤتلف ٧٢ ، ١٦٨ واللالىء ٢٩ ، وديوان الحماسة ، والموشح للمرزبانى ، والبيان والتبيين ، وآمالى القالى ، وامالى المرتضى ، وكتب الادب المختلفة ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، وحديث الاربعاء لطه حسين ج أول ، ودائرة المعارف الاسلامية .

(١) الاغانى ٣٥ ج ١

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ، ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفاً من أبيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث اليه يتوعده اذا ذكرها ، فلما عادت من الحج قال فيها :

كِدْتُ يومَ الرحيل أقْضِي حياتي ليتني متُّ قبلَ يوم الرحيلِ
لا أطيق الكلام من شدة الخوف ودمعي يسيلُ كلَّ مَسيلِ
ذرَفتْ عينُها وفاضت عيوني وكلانا يُلْفَى بلبٍّ أصيل

وممن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل ، وكان قد رآها تطوف فعلمت أنه لايبرح أن يشبب فيها ، فبعثت اليه مع جاريتها تقول : « اتق الله ولا تقل هجرا » فأجابها : « اقرئيها السلام وقولى لها ابن عمك لايقول الا حسنا » وقال أبياتا منها :

لعائشةَ ابنة التَّيْمي عندي حِمى فى القلب ، لا يُرْعَى حماها
يذكرني ابنةَ التيميِّ ظبيٌ يرودُ بروضةٍ سهلٍ رباها
فقلت له وكاد يُرَاعُ قلبى فلم أرَ قطُّ كاليوم اشتباها
سوى حَمشٍ بساقك مستبينٍ وأنَّ شَوَاكَ لم يشبه شواها (*)
وأنك عاطلٌ عارٍ وليست بعارية ولا عُطْلٍ يداها

وشبب أيضا بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :

ودِّع لُبابةَ قبل أن نترحَّلا واسأل فإنَّ قلالَهُ أن تسألا (**)

وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

أسُكَينُ ما ماءُ الفُراتِ وطيبُه منى على ظمأٍ وحبِّ شراب
بألذَّ منك وان نأيتِ وقلما ترعى النساءُ أمانة الغُيَّاب

وشبب بالثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث ، وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفى ذلك يقول عمر :

أيُّها المُنكحُ الثريَّا سُهَيْلا عَمْرَكَ الله كيف يجتمعان
هى شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ وسهيلٌ إذا استقل يماني

وشبب أيضا برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات وغيرها ، وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يغنونها . ومما يستحسن من شعره قوله فى نحول البدن :

(*) الحمش : دقة الساقين ، الشوى : الاطراف
(**) القلال : القليل

رات رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر (*)
قليلا على ظهر المطيه شخصه حلا ما نبى عنه الرداء المحبر

واخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٤٨ ، وابن خلكان ٣٧٨ ج ١ ، والدميرى ٣٢٦ ج ١ ، والعقد الفريد ١٣٢ ج ٣ (**)

وله ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٨٩٣ ، وفى مصر سنة ١٣١١ ، ومنه مختار خطيتان فى دار الكتب المصرية

٢ ــ العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة ، كان من شعراء قريش وقد اشتهر بالغزل وتشبه بعمر بن أبى ربيعة . وكان مشغوفا باللهو والصيد قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة فى أهله . وكان أشعر ازرق العينين جميل الوجه ، وقد شبب بجيداء أم محمد بن هشام المخزومى ليفضح ابنها لا لمحبة بينهما . فأخذه محمد وضربه وحبسه حتى مات فى السجن

وكان يشبب أيضا بالنساء الشهيرات بالجمال نحو ما كان يفعل ابن أبى ربيعة ، لكنه كان مقلدا فلم يبلغ مبلغه . وكان يقلده فى البذخ فيستسقى على ابله فى شملتين ، ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار . ومما قاله فى حبسه : (***)

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحرى
أجرر فى الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتى فى آل عمرو

واخباره كثيرة منشورة فى الاغانى ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٧ ، والشعر والشعراء ٣٦٥ (****)

(*) يضحى : يسير فى الضحى ، يخصر : يبرد لسيره بالليل

(**) وانظر دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، وحديث الاربعاء لطه حسين ج اول والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، والشعر الغنائى فى الامصار الاسلامية ، الجزء الخاص بمكة

(***) الغريب فى الابيات : سداد الثغر : مايسد به من خيل ورجال وعدة حرب ، الجوامع : ج جامعة وهى الغل ، مظلمتى ، وصبرى : حبسى ، الوسيط فى القوم : ذو المجد الرفيع ، وآل عمرو بن عثمان بن عفان يريد عمرو

(****) وانظر اللآلىء ٤٢٢ ، وديوان الحماسة لأبى تمام ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، وحديث الاربعاء لطه حسين ج اول

٣ ـ الحارث بن خالد المخزومى

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبى ربيعة ، وقد اتبع مذهبه فى الغزل لا يتجاوزه الى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر فى قريش ، وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعا من حزب ابن الزبير الا الحارث ، فكان منحازا لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبى ربيعة ، ويشبب بمن يستحسنهن من النساء وهن فى الطواف

ومن قوله فى عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها الى العراق :

ظَعنَ الأميرُ بأحسن الخَلْقِ وغدا بلُبِّك مطلع الشرقِ
فى البيت ذى الحسب الرفيع ومِن أهل التقى والبرِّ والصِّدْقِ
فظَلِلتُ كالمقهور مُهْجَتُه هذا الجنونُ وليس بالعشق
أترُجَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ
ما صبَّحتْ أحداً برؤيتها الا غدا بكواكب الطَّلْقِ (*)

وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ ج ٣ ، وخزانة الادب ٢١٧ ج ١ ..

٤ ـ أبو دهبل الجمحى

اسمه وهب بن زمعة من أشراف بنى جمح من قريش ، وكان رجلا جميلا له جمة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفا قال الشعر فى آخر خلافة على بن أبى طالب ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة ، وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار .. فكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها وكانت هى أيضا تحبه . فغارت امرأة منها ، فبعثت اليها عجوزا داهية وشت به حتى احتجبت عنه ، فقال :

وبتُّ كئيبا ما أنام كأنما خِلالَ ضلوعى جمرةٌ تتوهَّجُ
فطوراً أمنِّى النفسَ من عَمرةَ المنى وطورا اذا ما لَجَّ بى الحزنُ أنشجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن الى أن يوصل الحبلُ أحوجُ

(*) كواكب الطلق : كواكب السعد والنحس

وقد شبب فى غيرها من شهيرات النساء منهن عاتكة بنت معاويه بن أبى سفيان ٠٠ وقد جاءت للحج فنزلت بذى طوى من مكة ، وقد اشتد الحر فأمرت جواريها فرفعن الستر فمر أبو دهبل فرآها وهى لا تعلم ، فلما رأته ينظر اليها غضبت وشتمته وأمرت بارخاء الستر ٠ فقال أبو دهبل فى ذلك :

انى دعانى الحَيْنُ فاقتادنى حتى رأيتَ الظَّبْىَ بالباب
يا حُسْنه اذ سبَّنى مدبرا مُستتراً عنى بِجلبْاب
سبحان من وقَّفها حسرةً صُبَّت على القلب بأوصاب
يذود عنها ان تطلبتها أبٌ لها ليس بوهَّاب
أحلَّها قصرا منيع الذُّرَا يُحمىَ بأبوابٍ وحُجَّاب

وأنشد أبو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت وغنى بها المغنون ، فبلغت عاتكة فبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما ٠ فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام ٠ فلما دخلت دمشق (جيرون) انقطعت عن لقائه فى دمشق ، فنظم فى ذلك قصيدة مطلعها :

طال ليلى وبِتُّ كالمحزون وملِلتُ الثَّواء فى جَيْرون

وبلغ معاوية تشبيبه بابنته ، فأحب أن يمنعه بأسلوب من أساليبه الناعمة ٠٠ فدعاه اليه وأخبره أنه اطلع على ما قاله ٠ فأراد أبو دهبل أن يتنصل ويزعم أنها قيلت عن لسانه ، فأكد له معاويه أنها له ٠ ولكنه قال : « لا خوف عليك من جهتى ولكننى أخاف عليك من يزيد ، فان له سورة الشباب وأنفه الملوك » فخاف أبو دهبل وخرج الى مكة هاربا ٠ لكنه عاد الى مكاتبة عاتكة ، وبلغ ذلك معاوية فحج ٠ ولما انقضت أيام الحج دعا أبا دهبل فى جملة الشعراء والاشراف وأجازه ، وسأله عن أحب بنات عمه اليه ، فقال : فلانة ، فقال : « قد زوجتك اياها وأصدقتها ألفى دينار ، وأمرت لك بألف دينار » فلما قبضها طلب العفو عما مضى ولم يتزوج الفتاة ، فسر معاوية من ذلك ٠ وأكثر شعره غير الغزل فى عبد الله بن عبد الرحمن الازرق والى اليمن

ولأبى دهبل أخبار طويلة ذكرها صاحب الاغانى ١٥٤ ج ٦ ، وله اشعار فى الشعر والشعراء ٣٨٩ (*)

٥ ــ ابن قيس الرقيات

توفى سنه ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس ، من قريش ، وكان ممن انحاز الى ابن الزبير ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطعن فى

(*) وانظر الاشتقاق ٨١ ، والمؤتلف ١١٧ ، والحماسة لابى تمام (الفهرس)

بني أمية ، ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمنه ، فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغـــرّ الذى أبـوه أبو الـ عاصى عليـه الوقار والحُجُـبُ
يَعتدل التـاجُ فوق مَفْـرِقهِ على جبيـنٍ كأنه الذهـبُ

فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب :

انما مصـعبٌ شـهاب من اللّـ ه تجلّتْ عن وجهـه الظلمـاءُ
ملـكُه ملكُ عزّةٍ ليس فيـه جَبَروتٌ منـه ولا كـبرياءُ

أما الامان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا »

أما تغزله فقد كان فى امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة ، وله فى أخرى اسمها رقية غزل كثير • على أن غزله أقل من غزل سائر من تقدم من الشعراء القرشيين ، ولكن طائفة من شعره يغنونها • ومن شعره فى رقية ويغنى به :

رُقَىَّ بعيشـكم لا تهجرينـا وَمنّينـا المُنَى ثم امْطُلينـا
عِدينـا فى غـد ما شئتِ إنـا نحبُّ وان مَطَلْتِ الواعـدينا
فاما تنجـزى عِـدتى وامـا نعيش بمـا نؤمـل منك حينـا

وله فيها أيضا :

وترى فى البيـت صـورتَها مثـلَ مافى البِيعـةِ السُرُجُ
خبّرونى هـل على رجـلٍ عاشـقٍ فى قبلةٍ حَـرَجُ

وترى أخباره فى الاغانى ١٥٥ ج ٤ ، وفى الشعر والشعراء ٣٤٣ ، وخزانة الادب ٢٦٧ ج ٣ (*) وله ديوان طبع فى فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة ألمانية • وقد شرحه السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، وفى دار الكتب المصرية نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزليين

لا يكاد يخلو شاعر من أبيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ، ولكن المراد بشعراء الغزل الذين أكثروا من قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليك الباقين :

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابى سلام ، واللالىء ٢٩٤ ، والاشتقاق ٧١ ، وشـواهد المغنى ٢١١ ، وحديث الاربعاء لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، والشعر الغنائى فى الامصار الاسلامية ، الجزء الخاص بمكة

١ ـ مجنون ليلى

هو قيس بن الملوح ، ويقال ابن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلى نسبة الى ليلى التى كان يتعشقها وهو مشهور . ولكن بعض اهل النقد من علماء الشعر يرون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بنى أمية كان يحب ابنة عم له يكره أن يظهر ما بينه وبينها .. فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التى يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيرا مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره .. فقصته اذا من قبيل الشعر التمثيلى الذى يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهى تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلا قليلا وزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنترة التى تمثل الشجاعة والعشق

وعلى كل حال ، فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل اشعار المحبين كما هى على طبيعتها . وديوان مجنون ليلى شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

وانى لينسينى لقاؤك كلما ... لقيتك يوما أن أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

وقوله :

فوالله ثم الله انى لدائب ... أفكر ما ذنبى اليها وأعجب
ووالله ما أدرى علام قتلتنى ... وأى أمورى فيك ياليل أركب
أأقطع حبل الوصل ، والموت دونه ... أم اشرب رنقا منكم ليس يشرب
أم اهرب حتى لاأرى لى مجاورا ... أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما يا ليل ما ترتضينه ... فانى لمظلوم وانى لمعتب

وأخبار المجنون فى الاغانى ١٦٧ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٥٥ ، وخزانة الادب ١٧٠ ج ٢ (*) ، وله ديوان مطبوع فى القاهرة ١٣٠٠ هـ وفى بيروت سنة ١٨٨٢ م ، ثم طبع مرارا . ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وفى مكاتب : تونس ، وبرلين ، وباريس ، واياصوفيا ، وغيرها

٢ ـ كثير عزة

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن ، من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التى كان يشبب بها . وكان يدخل على الملك وينشده ، وكان شيعيا

(*) انظر المؤتلف ١٨٨ ، ومعجم المرزبانى ٤٧٦ ، واللآلىء ٣٥٠ ، وحديث الاربعاء لطه حسين ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو

شديد التعصب لال أبي طالب • وكان عبد الملك يعرف ذلك فيـــه فلا ينكره ، فاذا أراد أن يصدقه في شيء حلفه بعلي • وكان له صديق اسمه خندف الاسدي شديد التشيع مثله ، وبلغ من جرأة خندف هذا أنه وقف مرة في الموسم والناس مزدحمون وقال : « أيها الناس انكم على غير حق ، وقد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الائمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ، ودفن خندف بقنونا فقال اذ ذاك كثير يرثيه :

أصادرةٌ حُجَّاج كعبٍ ومـــالك على كل عَجلى ضامر البطن محنقِ
بمرثيـــةٍ فيهـــا ثناءٌ محـــــبرٍ لأزهرَ من أولاد مُرَّة مُعْـــرق

والقصيدة طويلة •• أما معشوقته عزة فهي بنت جميل بن وقاص من ضمرة ؛ وكانت من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن . ويقال انه لم ير لهـا وجها الا انه استهام بها قلبه لما ذكر له عنها • وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفســـك » فقـــال : « انى لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر في عام الجلاء .. فتبعهم على راحلته فزجروه، فأبى الا أن يلحقهم ، فتربص له بعضهم في الطريق وقبضوا عليـــه وجعلوه في جيفة حمار وربطوها عليه ، فمر به صديقـــــه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده • وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا • وأكثـــر أشعاره في عزة هذه . ومن ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلى ما لهـــا اذ لقيتهـــــا غداة الشَّنا فيها عليـــك وجـــومُ
فقلتُ له ان المـــــودةَ بيننـــــا على غير فحشٍ والصفاءُ قـــديم
وانى وان أعرضتُ عنهـــا تجـــلدا على العهـــد فيمـــا بيننـــــا لمقيم
وان زمانا فرَّقَ الدهـــر بيننـــــا وبينكُم في صَرْفه لمَشُـــــوم

وقوله وبه يغنى :

وكنت اذا ما جئتُ أجْللنْ مجلسي وأظهرن منى هَيْبَةً لا تجهُّمــــا
يحاذرْنَ منى غَيْرةً قد عرفتهـــا قديما فمـــا يضحكن الا تبســـما

ومن أحاسن شعره قوله :

أغاضِرَ لو شهدتِ غداة بِنْتُمْ حُنوَّ العـــائدات على وســـادى
أويتِ لوامقٍ لم تَشْكُميه (*) نوافـــذهُ تلذَّعُ بالزِّنـــادِ

ومن قوله في الحكم :

(*) تشكم : تعطى .

ومن لا يغمِّض عينه عن صديقه وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرةٍ يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب

ويختار من قوله :

وأجمع هجرانا لأسماء ان دنت بها الدار لا من زهدةٍ فى وصالها
فان شحطت يوما بكيت وان دنت تذللت واستكثرتها باعتزالها

ومن منتخبات قوله فى عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلىّ هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّتِ

وقوله وفيه افراط :

ومشى الىّ بعيب عزّة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها
ولو انّ عزة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفّقٍ لقضى لها

واخباره كثيرة تجدها فى الاغانى ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ ، والشعر والشعراء ٣١٦ ، وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ ، والعقد الفريد ١١٥ و ٢٠٣ ج ١ ، وخزانة الادب ٣٨١ ج ٢ (*) وله ديوان شرحه أبو عبد الله الرشيدى منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٣ ـ ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان ، من ذبيان ، وكان أحمر سبطا عظيم الخلق طويلا طويل اللحية ، وكان لباسه عطرا . وذكروا أنه أشعر غطفان فى الجاهلية والاسلام ، وكان خيرا لقومه من النابغة .. لم يمدح غير قريش وقيس . وكان النابغة يمدح اليمن (القحطانية) ومما يؤثر من قوله فى الشعر وقد قيل له مرة : « لو أصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير من السقط » فقال : « انما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض فطالع وواقع وعاصد وقاصد (**)

وعاصر ابن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه ، وأدرك أول الدولة العباسية فمدح المنصور وجعفر بن سليمان .. فهو من أهل الدور الثالث ، وانما **ذكرناه هنا لانه من الشعراء الغزليين ، وأحب امرأة من بنى مرة اسمها أم** جحدر . وكان يختلف اليها فعلم أبوها وغضب وأقسم أن لا يزوجها رجلا من قومه ، فزوجها رجلا من الشام . فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

(*) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤتلف ١٦٩ ، والاشتقاق ٢٨٠ ، ومعجم المرزبانى والموشح ، واللآلى ٦١ ، وحديث الاربعاء لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وقد طبع ديوانه فى الجزائر بعناية هنرى بريس ، وهو فى جزءين

(**) الجفير : جعبة السهام ، والعاصد : الذى لايصيب الهدف

خليليّ من أبناء عُذْرةَ بَلّغا رسائلَ منا لا تزيدكما وِقْرا
ألِمَّا على تَيْماءَ نسألْ يهودها فان لدى تَيماءَ من ركبها خُبْرا
وبالغمْر قد جازت وجاز مَطِيُّها عليه فسَلْ من ذلك نيّان فالغمرا
ويا ليت شعرى هل يحلنّ أهلُها وأهلُك روضاتٍ ببطن اللوَى خضرا

ولابن ميادة مواقفات مع الحكم القضرى ، وأراجيز طوال ومفاخرات مع عقال بن هاشم ، ذكر صاحب الاغانى بعضها وهى منتقيات . وله فى مدح الوليد قصيدة مطلعها :

يا أطيبَ الناس ريقا بعد هَجْعتها وأملحَ الناس عينا حين تَنْتقب

ولما مات الوليد رثاه . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور

وأخبار ابن ميادة كثيرة فى الاغانى ٨٨ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨٤ (*)

٤ ـ الاحوص

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من أهل المدينة ، وكان مثل سائر شبان يثرب فى تلك الايام ميالا الى اللهو . وكان قليل المروءة والدين مع ميل الى هجاء الناس ، وقد جعله ابن سلام فى طبقة ابن قيس الرقيات ونصيب وجميل . ولكن أهل الحجاز يفضلونه عليهم ، وهو أسمح طبعا وأسهل كلاما وأصح معنى منهم . ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ، وبه ألفاظ ليست لواحد منهم . وكان متهتكا فبلغ سليمان بن عبد الملك عنه أقوال فنفاه . ويقال فى سبب ذلك أن سكينة بنت الحسين فخرت يوما بالرسول ، ففاخرها الاحوص بقصيدته التى يقول فيها : « ليس جهل أتيته ببديع » فبلغ ذلك سليمان فنفاه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيبه بأم جعفر وهى امرأة من الانصار ، وتوعده أخوها وهدده فلم يكف عن التشبيب .. فاستعدى عليه والى المدينة وهو يومئذ عمر بن عبد العزيز ، فربط الاحوص وأخاها بحبل ودفع اليهما سوطين وقال : « تجالدا » فغلب أخوها ، ومن شعره فيها :

أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها وقلبى الى البيت الذى لا أزور
وماكنت زوارا ولكنّ ذا الهوى اذا لم يَزُرْ لابد أن سيزور
أزور على أن لست أنفكّ كلما أتيت عدوا بالبنان يشير

ومن شعره الجيد قوله :

(*) وانظر المؤتلف ١٧٤ ، والاشتقاق ١٧٥ ، واللالىء ٣٠٦ ، والخزانة ج أول ص ٧٦

الا لا تلمـــه اليـــوم أن يتبلدا   فقد غلب المحزون أن يتجـــلدا
وما العيش الا ما تلذ وتشـــتهى   وان لام فيه ذو الشنان وفنّـــدا
بكيت الصبا جهدا فمن شاء لامنى   ومن شاء واسى فى البـكاء وأسعدا
وانى وان عيرت فى طلب الصـــبا   لأعلم أنى لست فى الحب أوحـــدا

وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشتغلا عن الخلافة بجاريته حبابة ، فلامه عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقطع عن زيارتها ٠٠ فأرادت أن تسترجعه فلاقته وهو خارج الى المسجد بعودها وغنته بيت الاحوص : « وما العيش الا ما تلذ وتشتهى » الخ ، فضرب يزيد بخيزرانته الارض ، وقال صدقت وعاد الى حالته معها

ومن غزله قوله :

فما هو الا أن أراها فجـــاءة   فأبهت حتى ما أكـــاد أجيب

وقـــوله :

ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا   سريرة حب يوم تبلى السرائر

وترى ترجمة الاحوص وأقواله فى الاغانى ٤٥ ج ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧ ج ١ ، وفى الشعر والشعراء ٣٢٩ ، والعقد الفريد ١١٥ ج ١ ، وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ ، وفى سائر كتب الادب (*) • وله قصيدة محفوظة فى مكتبة برلين

٥ ـ قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة ، وكان رضيع الحسين بن على لان أم قيس أرضعت الحسين ٠ كان منزل قومه فى ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة • واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية ، وهى التى جعلته ينظم الشعر فانه رآها مرة واستسقاها فســـقته ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ٠٠ فلمـــا رآها وقعت فى نفسه فعشقها وجعل ينطق بالشعر • وشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله ، فطلب الى أبيه أن يخطبها له فأبى لانه كان غنيا فأراد له احدى بنات عمه • فشكا الى أمه فلم تسعفه ، فأتى الحسين بن على فتوسط له فزوجوه لان اشارته لا ترد ٠٠ فاقامت زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا

ثم دخلت الحماة بين الابن وزوجته • وذلك أن قيسا كان أبر الناس بأمه ، فألهته لبنى عنها فغضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام ٠٠ فلما مضى على

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤتلف ٤٧ ، واللالىء ٧٣ ، وحديث الاربعاء لطه حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو : والشعر والشعراء فى الامصار الاسلامية ، الجزء الخاص بالمدينة

الزواج زمن ولم تلد لبنى لقيس ولدا ، خاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المال الى الكلالة ، فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا » وألحت عليه فاستمهلها ، وسأل ابنه فى ذلك فأبى أن يتزوج غيرها ، فعرض عليه أن يتسرى فأبى ، فقال : « طلقها » . فلم يرض ، فألح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت ابدا حتى يطلق لبنى . فكان يخرج فيقف فى حر الشمس ويجىء أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ، ويصلى هو بحر الشمس حتى يفىء الفىء فينصرف ، ويدخل قيس الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكى وتبكى معه وتقول له : « يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ماكنت لأطيع أحدا فيك أبدا » . فيقال انه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ، ولم يلبث أن استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكى كالطفل .. ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله ، فلما رأى قيس هودجها وعلم أنها مسافرة بعد ليلة سقط مغشيا عليه وهو يقول :

وانى لمُفْنٍ دمعَ عينىَ بالبكا حِذار الذى قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلةٍ فراقُ حبيب لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك الا أن ما حانَ حائن

ولما غاب هودجها أكب على أثر خف بعيرها يقبله ، ورجع يقبل موقع مجلسها وأثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحببتُ أرضكمُ ولكن أقبِّل اثرَ من وَطِىء الترابا
لقد لاقيت من كَلَفى بلُبْنى بلاءً ما أسيغ به الشرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى عَيِيت فما أطيقُ له جوابا

ثم زوجوها رجلا من غطفان ، وعاود قيس زيارتها ، فشكوه الى معاوية فأهدر دمه ، فقال فى ذلك :

فان يحجبوها أويَحُلْ دونَ وصْلها مقالةُ واشٍ أو وعيدُ أمير
فلن يمنعوا عينىَّ من دائم البكا ولن يُذهبوا ما قد أجَنَّ ضميرى

وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ ، وفى الشعر والشعراء ٣٩٩ (*) ، وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال وغيرها فى برلين

٦ - المخبل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه ، وقد رآها مرة فعشقها ، ولقيها فشكا اليها حبه فوعدته ، فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه ، وكان منزله فى

(*) وانظر المؤتلف ١٢٠ ، واللالىء ٣٨٩ ، ٧١٠ ، وأمالى القالى فى مواضع متفرقة

الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار . ومن ذلك قصيدة مطلعها :

خليليّ قد قِسْتُ الأمور ورمتها بنفسي وبالفتيان كلَّ زمان
فلم أختَفِ سوءا للصديق ولم أجد خليلاً ولا ذا البثِّ يستويان

الى أن قال يصف غرامه :

بثلينا بهجرانٍ ولم أرَ مثلنا من الناس انسانين يهتجران
أشدَّ مصافاةً وأبعد من قِلىً وأعْصَى لواشٍ حين يكتنفيان
فوالله ما أدري أكلُّ ذوي الهوى على ما بنا أم نحن مبتليان

وهي طويلة ، ومنها :

أحقًا عباد الله أن لست ماشيا بمرْحابَ حتى يُحشرَ الثقلان

وتجد اخباره في الاغاني ٢٠،٩ ج ٢١ ، وهو غير المخبل السعدي الذي تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من الشعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا بعد انقضاء الدور الثاني ، وقد أتينا على تراجمهم هنا كما أتينا على اخرين قد يعدون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع في مكان واحد

٧ — ذو الرمة

توفي سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ويعد من الشعراء المتيمين وصاحبته مية بنت مقاتل المنقري .. وكانت جميلة وكان هو دميما أسود وسمعت تشبيبه بها ولم تره ثم رأته ، فقالت : « واسوأتاه » فغضب ، وقال يهجوها :

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ وتحت الثياب العارُ لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمُه وان كان لونُ الماء أبيض صافيا
فوا ضيعة الشعر الذي لجَّ فانقضى بميٍّ ولم أملك ضلال فؤاديا

وكان يشبب بخرقاء ايضا ، وهي من عامر بن صعصعة ، ومن قوله فيها وهو مما يتغنى به :

لقد أرسلت خرْقاء نحوي جريها لتجعلني خرقاءُ فيمن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولو عُمِّرتْ تعمير نوحٍ وجلَّت

وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره ، وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء امثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبي

بردة بن أبى موسى الاشعرى ، وكان له ثلاثة اخـــوة كلهم شعراء . وكان مستدير الوجه حسن الشعر جعده أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها ، اذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث يشاء . وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ما بالُ عينك منهــا المــاء ينسكب كأنه من كُلى مفريَّةٍ سَرِبُ (*)

ويمتاز فى شعره أنه احسن شعراء عصره تشبيها ، كما كان امرؤ القيس أحسن شعراء الجاهلية فى ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا ، فكان مع الفرزدق على جرير . وأخباره كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٣٣٣ ، وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ، ومصارع العشاق ٧٨ ، والجمهرة ١٧٧ ، وخـزانة الادب ٥١ ج ١ (**) ، وله ديـوان خطى فى دار الكتب المصرية ومثله فى مكاتب لندن وليدن (***)

٨ – يزيد بن الطثرية

توفى سنة ١٣٦ هـ

اسمه يزيد بن الصمة ، من قشير ، من عامر ويكنى أبا مكشوح ، وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلا آخذا بقلوب النســـــاء . وكان الغزل فى القشيريين نادرا ، ولهم فى ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الاغانى ، لابأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لهـــــا وحشية ، واشتد وجده بها حتى أشرف على الموت ونظم فيها الشعر ، ومن قوله فيها :

بنفسىَ من لو مرَّ برْدُ بَنــــانه على كبدى كانت شفاءً أنامـــلُه
ومن هابنى فى كل أمرٍ وهِبْتُهُ فلا هو يعطينى ولا أنا ســـــائله

وكتب اليها هذين البيتين :

أحبكِ أطـرافَ النهار بشاشـــةً وبالليل يدعونى الهوى فأجيــبُ
لئن أصبحتْ ريحُ المــودة بيننـــا شَمالا لقدْما كنتِ وهْىَ جَنوبُ

فأجابته بقولها :

أحبك حبَّ اليأس ان نفع الحيَـــا وان لم يكن لى من هواك طبيــب

وقد قاسى فى حبها كما قاسى غيره من العشاق والمتيمين ونظم فيهـــــا كثيرا ومن قوله :

(*) الكلى : الرقع فى القربة ، مفــرية : مقطعة ، سرب : سائل

(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والاشتقاق ١١٦ ، واللالىء ٨١ ، والعينى ٤١٢ ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ص ٢٠٩ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو

(***) طبع هذا الديوان فى كمبريدج بعناية المستشرق كارليل هنرى هيس مكارثى

هبينى امرءا اما بريئـــا ظلمتـــه واما مسيئـا تاب منـــه وأعتبـا
وكنـت كـــذى داء تبغّى لدائه طبيبا فلمـا لم يجـده تطبّبـا

ولابن الطثرية أخبار كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ٧ ، وفى ابن خلكان ٢٢٩ ج ٢ ، وفى الشعر والشعراء ٢٥٥ (*)

سائر الشعراء العشاق

ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم ، فنكتفى بالاشارة الى المصادر وهم :

٩ ــ الابيرد الرياحى : من تميم ، كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء . أخباره فى الاغانى ١٠ ج ١٢

١٠ ــ ابن رهيمة : شاعر مشبب أيام عبد الملك . أخبـاره فى الاغانى ١١٨ ج ٤

١١ ــ توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية . أخباره فى الاغانى ٦٧ ج ١٠ ، وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٦٩ ، وسيأتى ذكره مع ليلى الاخيلية

١٢ ــ مرة بن عبد الله النهدى : من قضاعة شاعر بدوى . أخبـاره فى الاغانى ٦١ ج ٢٠

١٣ ــ مزاحم العقيلى : من هوازن شاعر بدوى صاحب قصيدة ورجز ، عاصر الفرزدق ، أحب امرأة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . أخبـــاره فى الاغانى ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣

١٤ ــ مسعدة بن البخترى : من أقرباء المهلب بالعـراق . أخبـاره فى الاغانى ٧٧ ج ١٢

١٥ ــ النميرى : من ثقيف . (١) أخباره فى الاغانى ٢٤ ج ٦

١٦ ــ وضاح اليمن : شبب بامرأة الوليد فقتله . أخبــاره فى الاغانى ٣٢ ج ٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٣ ج١

١٧ ــ عبد الله بن علقمة : من زرارة اخباره فى مصارع العشاق

١٨ ــ حميد بن ثور الهلالى : أخباره فى الاغانى ٩٨ ج ٤ ، والشـــعر والشعراء ٢٣٠ (**)

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الادباء لياقوت طبع مصر الجـزء السابع ، واللآلىء ١٠٣ ، وحيوان الجاحظ الجزء السابع (الفهرس)

(١) له ديوان منه نسخة خطية فى مكتبة أياصوفيا بالاستانة

(**) طبعت دار الكتب المصرية ديوان حميد

قد رأيت الخلاعة والسكر فى بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء ، وانما نعنى بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون ، أشهرهم :

١ ـ الاقيشر الاسدى

هو المغيرة بن عبد الله ، من بنى أسد ، من مضر ، وكان أحمر الوجه أقشر ، فسمى الاقيشر ويكنى أبا معرض . كان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا شرب الخمر ومن شعره :

فان أبا مُعْرِض اذ حَسَا ... من الراح كأسا على المنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو معرض ... فان لِيمَ فى الخمر لم يصبرِ
أحلَّ الحرام أبو معرض ... فصار خليعا على المَكْبَرِ

وكان شديد الهجو قبيحه ، ومن لطائفه أنه شرب مرة فى الحيرة فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغن مطرب .. فطرب الأقيشر فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى فى حوائجهم وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك كل جهده . فقال الأقيشر :

ومُقْعَدِ قوم قد مشى من شرابنا ... وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
شرابا كريح العنبر الوردِ ريحه ... ومسحوقِ هندىٍّ من المسك أذفرا

وترى أخباره فى الاغانى ٨٤ج١٠، وفى الشعر والشعراء ٣١٥٢ (*)

٢ ـ الحزين الكنانى

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة ، وقيل أنه مولى . وهو حجازى مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا ، يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ، ذرب اللسان لم يخدم الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الانف ، على أنه مدح بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رنانة قالها فى عبد العزيز ابن مروان ، منها :

قالوا دمشقُ ينبّيك الخبير بها ... ثم ائت مصر فثَمَّ النائل العَممُ
لما وقفت عليها فى الجموع ضحى ... وقد تعرَّضتِ الحجّاب والخدم

(*) وانظر الاصابة ج ٦ ، والمؤتلف ٥٦ ، والمرزبانى ٣٦٩ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٧٩

حييته بسلامٍ وهو مرتفق" وضجة القوم عند الباب تزدحم
فى كفه خيزرانٌ" ريحها عَبِقٌ" من كف أروع فى عِرْنينه شَمَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته فما يكلَّم الا حين يبتسم

وترى أخباره فى الاغانى ٧٦ ج ١٤ و ٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلعاء جماعة نكتفى بذكر مصادر تراجمهم :

٣ ــ بكر بن خارجة : مولى بنى أسد سكير ماجن سكن الحيرة . أخباره فى الاغانى ٨٧ ج ٢٠

٤ ــ الشمردل بن شريك : من يربوع كان مغرما بالشراب واللهو كثير الهجو . أخباره فى الاغانى ١١٧ ج ١٢ ، والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ ــ الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر . أخباره فى الاغانى ١٠١ ج ٦ و ٩٨ ج ٣ ، والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٣ ، وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١

الشعراء المغنون

لم يكن بين شعراء الجاهلية من المغنين الا الأعشى وعلس ، ولكن اقتراب الامويين من الحضارة ونمو العلاقات بين الحجاز والشام والعراق ولدت الموسيقى ، ونبغ كثيرون من المغنين اكثرهم فى المدينة ، أشهرهم :

١ ــ حنين الحيرى : شاعر نصرانى ، كان يغنى أيام هشام . أخباره فى الاغانى ١٢٠ ج ٢

٢ ــ سعيد الدرامي : (تميم) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن عبد العزيز . أخباره فى الاغانى ١٧٨ ج ٢

٣ ــ عبادل : مولى قريش فى الحجاز لم يفارقها ، كان نبيلا وكان يغنى . أخباره فى الاغانى ١٧٥ ج ٥

٤ ــ محمد بن الأشعث : من قريش كان كاتبا من فتيان أهل الكوفة ظريفا ينظم ويغنى ، أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره فى الاغانى ١٢٧ ج ١٣

٥ ــ نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء . أخباره فى الاغانى ١٢٩ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ ــ ابن عائشة : من موالى آل المطلب السهمى ، كان يغنى للوليد بن يزيد . أخباره فى الاغانى ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم نستطع ادخالهم فى احدى الطبقات المتقدم ذكرها .. فهم ليسوا من شعراء السياسة ، ولا العشق ، ولا السكر ، ولا الغناء . وهم بضعة وعشرون شاعرا ، يطول بنا ذكر تراجمهم

وخصوصا بعد أن طال بنا الكلام فى شعراء هذا العصر .. فنكتفى بترجمة اثنين منهم مع الاشارة الى المصادر التى يرجع اليها من أراد التوسع فى الباقين

١ — القطامى

هو عمير بن شييم من بنى تغلب ، وكان نصرانيا ، عاصر الاخطل ، وله شعر من الطبقة الاولى فى التشبيب والحماسة والفخر . أما فى التشبيب فقوله (*) :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقْنَ لنا حتى تصيَّدْننا من كل مُصْطادِ
يقتلننا بحديثٍ ليس يعلمه من يَتَّقِين ولا مكنونه بادى
فهنَّ يَنْبِذْن من قول يُصِبْن به مواقعَ الماء من ذوى الغُلة الصادى

وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابى وأسماء بن خارجة الفزارى . وكان زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقة ، فقال ، وفيه من كبر النفس ما فيه :

من مبلغٌ زفرَ القيسىَّ مدحته عن القطامىِّ قولا غير افنادِ
انى وان كان قومى ليس بينهمُ وبين قومك الا ضربةُ الهادى
مثنٍ عليك بما أوليت من حسنٍ وقد تعرَّض منى مَقتلٌ بادِ
فان قدرتُ على يومٍ جزيتُ به والله يجعل أقواما بمرصاد

وله هجاء شديد نحا فيه نحوا خاصا يدل على تفننه ، كقوله يريد هجاء قيس بالبخل من قصيدة استهلها بأنه كان مسافرا ونزل ضيفا على امرأة من قيس وانها ارتاعت لما علمت أنه ضيف سينزل عليها..ووصف ما جرى بينهما فى أسلوب جميل . وهو القائل :

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيرا قائلون له ما يشتهى ولأمِّ المخطىء الهَبَلُ
قد يُدرك المتأنى بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّللُ

ومن قوله فى الفخر يصف حربا مع قبيلة كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هاربٍ حذار المنايا أو قتيل مجدَّلِ
وأفلتَنا لما التقينا بعاقدٍ على سابحٍ عند الجراء ابنُ بجْدل
وأقسم لو لاقيته لعلوته بأبيض قطَّاع الضريبة مفصل

(*) الغريب فى هذه الابيات وما يليها من نفس القصيدة : غمامات : سحابات ، أراد بها نساء جميلات ، برقن لنا : أطمعننا ، مصطاد : مصيد ، يتقين : يخفنه ، باد : ظاهر ، ينبذن : يرمين ، الغلة : حرارة العطش ، الصادى : العطشان ، افناد : كذب ، الهادى : النصل ، المرصاد : الطريق ومكان الرصد

وهو من أصحاب المشوبات ، ومطلع مشوبته :

انا محيـــوك فاسلم أيهـا الطلل وان بَليت وان طالت بك الطِّيَلُ(١)

ونجد أخبار القطامى فى الاغانى ١١٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٥٣ ، والجمهرة ١٥١ (*) . وله ديوان طبع فى ليدن سنة ١٩٠٢ ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية وفى مكتبة برلين

٢ ـ ليلى الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلى سنة ٨٠ هـ

هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخيـــل من عامر . وهى من النساء المتقدمات فى الشعر ، وكان توبة بن الحمير يهواها وهو من بنى عقيل من عامر أيضا ، فعشقها وقال فيها الشعر .. فخطبها الى أبيهـــا فأبى أن يزوجه أياها وزوجها فى بنى الادلع . فجاء يوما كمـا كان يجىء لزيارتها فاذا هى ســـافرة ولم ير منها الا بشاشة ، فعلم أن ذلك لامر ما كان . فرجع الى راحلته فركبهـــا ومضى . وبلغ بنى الادلع انه اتاها فتبعوه ففاتهم . فقال توبة فى ذلك :

نأتك بليـــلى دارُها لا تزورهـــا وشَطَّت نواها واستمرَّ مريرها(٢)

وهى طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماجئتُ ليلى تَبرْقعت فقد رابنى منهـا الغداةَ سـفورها

ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمر ببنى عذرة . فراته بثينة ، فجعلت تنظر اليه ، فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الغربيون اليوم فى طلب المبارزة فى مثل هذه الحال ، فتصارعا وبثينة حاضرة فغلبه جميل ، فقال توبة : « انما صرعتنى بريح هذه . انزل بنا الوادى » فنزلا فغـــلبه توبة . ومن لطيف شعره فى ليلى قوله :

ولو أن ليـــلى الأخيليَّة ســلمتْ علىَّ ودونى تُرْبَةٌ وصَـــفائحُ

لسلمتُ تسليم البشاشة أو زقا(**) اليها صَدًى من جانب القبر صائح

ولو أن ليلى فى السماء لأصعدتْ بطرفى الى ليلى العيونُ اللـــوامح

وكان توبة كثير الغارات فقتل فى احدى غاراته ، كما ورد فى حديث طويل ذكره صاحب الاغانى . وكانت ليلى تفد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه. وأراد الحجاج أن يداعبها فقال لها : « ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك

---

(١) الطيل : الدهور (٢) استمر مريرها : قويت عزيمتها

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرزبانى ٢٤٤ ، والاشتقاق ٢٠٤ ، والمؤتلف ١٦٦ ، والخزانة ج ١ ص ٣٩١ ، ج ٧ ص ١٨٨ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو

(**) زقا : صاح

وأمر توبة ، فأقسم عليك الا صدقتنى : هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك ؟ » فقالت : « لا والله أيها الامير الا انه قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت انه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تَبُحْ بها فليس اليها ما حييتَ سبيلُ

لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا » . قال لها الحجاج: « فما كان منه بعد ذلك ؟ » قالت : « وجه صاحبا له الى حاضرنا » ، فقال : « اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا » ، ثم اهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يَسْرى الىَّ خيالُها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقالت له :

وعنه عفا ربى وأحسنَ حِفْظه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالها »

ومن شعرها قولها فى مدح الحجاج :

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحك إنما الـ منايا بكفّ الله حيث تراها

اذا هبطَ الحجاجُ أرضا مريضة تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها غلامٌ اذا هزَّ القناة سقاها

وأخبار ليلى وتوبة فى الاغانى ٦٧ ج ١٠ و ١٣٢ ج ٤ و ١٦١ ج ٧ ، والشعر والشعراء ٢٧١ ، وفوات الوفيات ١٤١ ج ٢ ، والمستطرف ٣٤ ج ١ (*)

٣ — سائر شعراء الدور الثانى

وهاك أسماء من بقى من شعراء الدور الثانى :

٣ — ارطاة بن سهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد . أخباره فى الاغانى ١٣٩ ج ١١ ، والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ — أعشى تغلب :نصرانى يسكن الشام اذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحى الموصل اذا بدا . أخباره فى الاغانى ٩٨ ج ١٠

٥ — الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن الاخطل ، فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك . أخباره فى الاغانى ٥٧ ج ١١

(*) وانظر فى أخبارهما أيضا الاشتقاق ١٨٢ ، والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ واللالىء ١١٩ ، والخزانة ج ٣ ص ٣١ ، والعينى ج ١ ص ٥٦٩ و ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٤ ص ٤٥٣ ، وآمالى القالى ج ١ ص ٨٦ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو

٦ ــ جعفر بن الزبير : شاعر مقل . أخباره فى الاغانى ١٠٤ ج ١٣

٧ ــ حجية بن المضرب : (كندة) شاعر أموى . أخبـــاره فى الاغانى ٩ ج ٢١

٨ ــ سراقة بن مرداس البارقى : أخبـــاره فى الاغانى ٤٤ و ٦٧ ج ٧ و ٣١ ج ٨ (١)

٩ ــ سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . أخباره فى الاغانى ١٢٧ ج ١١

١٠ ــ عبد الله بن أبى معقل : من الخزرج حجازى اخباره فى الاغانى ١١٦ ج ٢٠

١١ ــ عبد الله بن الحشرج الجعدى: سيد من ساداتقيس ولى الولايات ومدحه زياد الاعجم . ترجمته فى الاغانى ١٥١ ج ١٠

١٢ ــ العجاج الراجز : أخبـاره فى الشعر والشعـراء ٣٧٤ ، والاغانى ١٢٤ ج ١٨ (٢)

١٣ ــ عروة بن أذينة : من كنانة . أخباره فى الاغانى ١٠٥ ج ٢١ ، وابن خلكان ٢١٢ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٦٧

١٤ ــ عقيل بن علفة : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والعجرفة والبذخ من بيت شرف فى قومه . أخباره فى الاغانى ٨٥ ج ١١ و ٩٩ ج ٢

١٥ ــ ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج . أخبارها فى الاغانى ٩ ج ١١

١٦ ــ مالك بن أسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة الحجاج . أخباره فى الاغانى ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢

١٧ ــ مالك بن الريب : من مازن نشأ فى بادية البصرة ، وهو من أصحاب المراثى . اخباره فى الاغانى ١٦٣ ج ١٩ ، والشعر والشعراء ٢٠٥

١٨ ــ محمد بن بشير الخارجى : من قيس شاعر حجازى من أهـــل المدينة ، كان منقطعا الى أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم البصرة وخطب امرأة اشترطت عليه الاقامة بها . أخباره فى الاغانى ١٤٨ ج ١٤

١٩ ــ مرة بن محكان السعدى : من تميم عاصر الفرزدق وجريرا واخملا ذكره ، كان شريفا جوادا . أخباره فى الاغانى ٩ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٣١

٢٠ ــ المقنع الكندى : شاعر جميل الخلقة شريف . أخبـــاره فى الاغانى ١٥٧ جزء ١٥

---

(١) له ديوان منه نسخة فى دار الكتب المصرية « طبع هذا الديوان »

(٢) له ديوان مشروح فى دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطى اسمه رجز العجاج ــ (وقد طبع هذا الديوان فى مجموعة اشعار العرب بعناية المستشرق Ahlwardt)

٢١ ــ المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومى : أخباره فى الاغانى ١١ ج ١٥

٢٢ ــ يعلى الاحول : من القحطانية ، لص كان يقطع السابلة . أخباره فى الاغانى ١١١ ج ١٩

٤ ــ الدور الثالث من الشعر

فى العصر الاموى

١٠١ ــ ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم فى أواخر الدولة الاموية، وهو دور انحطاطها وفسادها بعد أن تولاها يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد ، والناس على دين ملوكهم . فأكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف .. أشهرهم يزيد بن الطثرية ، وابن ميادة ، وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهاك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموى :

١ ــ أبو حية النميرى : من عامر مدح الخلفاء فى الدولتين ، وكان ساكنا فى البصرة . أخباره فى الاغانى ٦٤ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٤٨٦

٢ ــ أبو عطاء السندى : عاصر الدولتين . أخباره فى الاغانى ٨١ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٤٨٢

٣ ــ أبو نخيلة الراجز الحمانى : (تميم) نفاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين . أخباره فى الاغانى ١٣٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨١

٤ ــ جعفر بن علبة الحارثى : (كهلان) شاعر غزل وفارس . أخباره فى الاغانى ١٤٦ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤

٥ ــ حريث بن عناب : من طىء ، بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس فى مدح ولا هجاء . أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٣

٦ ــ الحسين بن مطير : مولى بنى أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره فى الاغانى ١١٤ ج ١٤ ، وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢

٧ ــ رؤبة بن العجاج الراجز : أخباره فى الاغانى ٥٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٣٧٦ (١)

٨ ــ سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره فى الاغانى ١٦٤ ج ٧

٩ ــ يزيد بن ضبة : مولى ثقيف كان يقيم فى الطائف ، مدح الوليد بن يزيد . أخباره فى الاغانى ١٤٦ ج ٦

---

(١) له ديوان مطبوع فى ليبسك سنة ١٩٠٣

الخاتمة

أما وقد فرغنا من الكلام فى الشعر والشعراء فى العصر الأموى ، فقد رأينا أن نختم الكتاب ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماما للفائدة

١ ـ كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم ؟

مهما بلغ المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهـــة فانه لا يستغنى احيانا عن شحذ قريحته وذهنه أو استحثاث خاطره وخصوصا فى الشعر ، اذ كثيرا ما تمر على الشعراء فترات لا يجدون فيها قدرة على النظم . قال الفرزدق : « قد تمر على الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون على من نظم بيت من الشعر » . ويرى آخرون أن الشـعر مثل عين الماء أن تركتها اندفنت وان استهتنتها هتنت ، يريدون انه لابد للشـاعر من استحثاث قريحته من وقت الى آخر

وللشعراء طرق شتى فى استحثاث قرائحهم تختلف باختلاف أمزجتهم وعاداتهم وطبائعهم (*) سئل ذو الرمة : « كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر ؟ » فقال : « كيف ينقفل دونى وعندى مفاتيحه ! » قيل له : « وعنها سألناك ما هى ؟ » قال : « الخلوة بذكر الاحبـاب » فهذا لانه عاشـق . وسئل كثير عزة : « كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر ؟ » قال : « أطوف فى الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسـهل على أرصـنه ويسرع الى احسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها . كما فعل الفرزدق ، وقد أفحم عند سماع قصيدة حسان التى يقول فيها :

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى   وأسيافنا يقطـرن من نجـدة دما

وقد أمهله قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها ، وكانت ساعة جمود على قريحته .. فاضطر الى استحثاثها ، قال : « اتيت منزلى فأقبلت أصعد وأصـوب فى كل فن من الشعر فكأنى مفحم او لم أقل شعرا قط ، حتى نادى المنادى بالفجر : فرحلت ناقتى ثم اخذت بزمامها فقـدتها حتى أتيت ريانا ــ وهو جبل بالمدينة ــ ثم ناديت بأعلى صوتى : اخاكم اخاكم أبا لبنى يعنى شيطانه ، فجاش صدرى كما يجيش المرجل .. ثم عقلت ناقتى

(*) لخص المؤلف هذا الفصل من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فلتراجع

وتوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا » على انه كان اذا خانته قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليا منفردا وحده فى شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده ..

وكان الابيرد الرياحى اذا خانته القريحة أخذ عصاه وانحدر فى الوادى ، وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأتيه المعانى . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ ويتمرغ بالرمل أو على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عريانا حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجنة . وسئل نصيب مرة : « أتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك ؟ » فقال : « أى والله ربما فعلت فآمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم اسير فى الشعاب الخالية واقف فى الرباع المقوية فيطربنى ذلك ويفتح لى الشعر »

ويقال نحو ذلك فى أحوال الشعر فى سائر العصور . وكان أبو تمام اذا أعيته القريحة غطس فى صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على أن لاستحثاث القريحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجارى او الاشراف من الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية أو التجول فى الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ، وهم مجمعون فى الاكثر على مباكرة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

٢ ــ شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه المعانى ، حتى لقد يتوهم الشاعر منهم أنه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . ولهم فى ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها فى جمهرة اشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك مبنى على اعتقادهم بوجود الجن على طوائف ، وينسبون اليها اشعارا وأقوالا لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم فى شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى احدهما الهوبر والاخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، (١) وزاد ادعاؤهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفى كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر ، من ذلك أن رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريرا فدفع اليه كتابا وقال له : « انه قد أمرنى أن أوصله اليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر فى يومك ان لقيتك نهارا او ليلتك ان لقيتك ليلا » . وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره أن يجيب عنها . فأخذها ومكث

(١) جمهرة أشعار العرب ٢٤ (٢) رسائل أبى العلاء ١٠٧

ليلته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه (قالوا) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت ، فقال له : « أزعمت انك تقول الشعر ما هو الا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا فهلا قلت :

يا بشرُ حقٌ لوجهك التبشيرُ هلا قضيتَ لنا وأنت أميرُ »

فقال له جرير : « حسبك ، كفيتك » ومازال حتى أتم القصيدة

وذكروا عن كثير عزة انه قال :« ما قلت الشعر حتى قولته » . قيل له . « وكيف ذلك ؟ » قال : « بينما انا يوما نصف النهار أسير على بعير لى بالغميم او بقاع حمدان اذا راكب قد دنا منى حتى صار الى جنبى فتأملته فاذا هو من صفر وهو يجر نفسه فى الارض جرا ، فقال لى : « قل الشعر » والقاه على ، قلت : « من أنت » قال : « انا قرينك من الجن » فقلت الشعر ..

٣ ـ الشعراء والقراءة

وكانت القراءة فى صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس أهمهم حفظة القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما أهل البادية فيظهر أنهم ظلوا يعولون على الذاكرة وخصوصا الشعراء ، فقد كانت طائفة من فحولهم لايقرأون وخصوصا فى الجاهلية فأكثرهم كانوا اميين . أما فى الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لايقرأون وخصوصا أهل البادية ، فلعلهم كانوا يعولون على الرواية او على الحفظ . ومن شعراء العصر الاموى الذين كانوا لايقرأون الفرزدق ، وقد وقفنا حينا عندما تبين لنا انه لا يقرأ لعلمنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . **وقد تبين لنا ذلك** عرضا فى سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم .. وذلك انه قال شعرا أساء مروان بن الحكم وهو والى المدينة ، فدعاه اليه وتوعده وأجله ثلاثا وقال : « أخرج عنى » فأنشد الفرزدق :

دعانا ثم أجّلَنَا ثلاثا كما وُعِدَت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى اجبته ، فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنتَ تاركَ ما أمرتك فاجلسِ

ودع المدينة انها محظورة والحَقْ بمكة أو ببيت المقدس

فعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله مابين مكة والمدينة بمائتى دينار ، فارتاب (الفرزدق) فى كتاب مروان فجاء به اليه وقال :

مروانُ ان مطيتى معقولةٌ ترجو الحباء وربّها لم ييأس

آتيتنى بصحيفة مختومة يُخْشى علىّ بها حِباء النقرس
الق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكدا كمثل صحيفة المتلمس

ورمى بها الى مروان فضحك ، وقال : « ويحك انى أمى لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرأها ، ثم ردها حتى أختمها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها جائزة فردها الى مروان فختمها . وأمر له الحسين بن على بمائتى دينار(١)

فتبين لنا من ذلك أنه لايقرأ ، فاذا صح ذلك عن الفرزدق فكيف بسواه . ويقال ان ذا الرمة أيضا كان لايقرأ

٤ ـ الخطابة والخطباء فى العصر الاموى (*)

ظلت الخطابة محتفظة بمكانتها فى العصر الاموى لحاجة القوم الى استنهاض الهمم فى جمع الاحزاب أو تفريقها والتحريض على النهوض للحرب ونحوها ، فكان أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من أبلغ رجال الخطابة .. فالحجاج بن يوسف كان خطيبا بليغا زادته الخطابة عظمة وسطوة . وكان العراق متمردا على عبد الملك ، فلما أعجزه أمره ولى الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر متلثما متنكبا قوسة واضعا ابهامه على فمه ، واحتقره الناس وكادوا يرمونه بالحصى فوقف وأزاح لثامه عن وجهه وألقى خطبته التى قال فى مطلعها : (**)

أنا ابنُ جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

الى أن قال :

«أما والله أنى لاحمل الشر بثقله واحذوه بنعله وأجزيه بمثله . أما والله أنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشدّ فاشتدى زيَمْ قد لفّها الليل بسوّاقٍ حُطَمْ

« الا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته فعجم عيدانها ، فوجدنى أصلبها عودا فوجهنى اليكم . فانكم أهل بغى وشقاق ، وخلاف ونفاق ، طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى . أما والله لالحونكم لحو

---

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩ .

(*) انظر فى الخطابة الاموية تاريخ الاداب العربية لنالينو ، وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى ، وكتابنا : الفن ومذاهبه فى النثر العربى

(**) الغريب فى هذه الخطبة : أنا ابن جلا : مثال يضرب للظاهر المتكشف أى ان كل الناس يعرفونه . وطلاع الثنايا : ثنايا الجبال ، كناية عن الجلد والقوة . الشد : العدو ، وزيم اسم فرس ، والسواق الحطم : الظالم لابله فى سيرها ، فكأنه يحطمها بالسير تحطيما. الحو : من اللحو أى القشر للعود وتهذيبه ، السلمة : شجر كثير الشوك ، كانوا يجمعونها عيدانا ويضربون بها الشجر لسقوط الورق وتحطيم العيدان . المروة : حجارة بيض تورى النار ، أخلق : أقدر ، فريت : قطعت

العصا ولأعصبنكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أخلق الا فريت ولا أعد الا وفيت .. الخ »

فما فرغ من خطبته حتى هابوه واذعنوا له ، وكان شديدا عليهم وأمره مشهور . ومع ذلك فقد كان اذا رقى المنبر وذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه ، يخيل للسامع أنه صادق وأن أهل العراق ظلموه (١) . ولذلك كان الأمراء والخلفاء يخافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما فى أقوالهم من التأثير فى تلك النفوس الحساسة

وكان أكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون فى البلاغة وقوة العارضة ، على أن تلك القوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس فى أسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ . وتحولت من الحماسة الى المواعظ ثم الى الشكاية . وتداعى فن الخطابة بتداعى دولة العرب فى الشرق. فما قامت دولتهم فى الاندلس بعثوه وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء ، لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم أو اخماد الفتن ، لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح ، على أنهم كانوا اذا أحتفلوا بتنصيب خليفة او بالنصر على عدو او باستقبال قادم كبير ، تقدمت الخطباء للترحيب به وأعظام شأنه ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٢)

وأما الامراء والقواد فكانوا يخطبون فى الجند قبل الاغارة على العدو ، فيحرضونهم على الثبات . وكثيرا ما كانت الخطبة سببا للنصر كخطبة خالد ابن الوليد فى موقعة اليرموك ، وخطبة المغيرة فى موقعة القادسية ، وخطبة طارق بن زياد فى فتح الاندلس ، ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة فى القبائل على اختلاف أصقاعها كما كانت فى الجاهلية . وكانت ترد الوفود الى المدينة أو دمشق او بغداد أو غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة او استنفاره أو استنجاده أو استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقتباس أساليب البلاغة منهم

٥ ـ الانشاء فى العصر الأموى (*)

كان الانشاء فى عصر الراشدين جامعا مانعا ، وفيه بلاغة وايجاز كما تقدم . وقد علمت أن الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول فى جملة ذلك . وكان الخلفاء والامراء ينشطون أهل الأدب ، وأكثر انشائهم فى المراسلات بين الخليفة وعماله يقلدون بها مكاتبات عصر الراشدين . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فى مكانها

على أن أقتراب الدولة الاموية من الحضارة أثر فى الانشاء ونوعه وأطالة ،

---

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفح الطيب ١٧٥ (٣) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢

(*) أنظر فى هذا الموضوع تطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى ، ومن حديث الشعر والنثر لطه حسين ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى

ونشأت طائفة من الكتاب (أى كتاب الرسائل) فى الدولة فأصبحت الكتابة مهنة . وبعد ان كان الكاتب فى زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتابة المراسلات ، أصبحت الكتابة فى الدولة الأموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص .. ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا ، وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومستودع أسراره . فكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب أبلغ المنشئين . وكان للبلاغة تأثير فى سياستهم كما كان للشعر ، لان القوم يومئذ لايزالون فى عهد الفروسية والاريحية ، تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن أشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك ، وقد نقل شيئا من رسائل أرسطو الى الاسكندر . وله رسائل فى مائة ورقة (فهرست ١١٧) وكان للأمراء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من اخبارهم الا القليل . وكان الانشاء فى اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملا بناموس الارتقاء ، فلم تنقض الدولة الأموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو أتمها عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد ، وصار له أسلوب خاص نسب اليه وقلده الكتاب فيه

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى .. مولى من أهل الشام ، أى أهل البلاد الاصليين الذين دخلوا فى الاسلام ، فهو ليس عربيا . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه فى الرسائل ، فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بأنه أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ، فأستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه ، وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع فى ألف ورقة لم يصل الينا منها الا القليل (*)

وفى دار الكتب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

٦ ـ الخلاصة

والخلاصة أن الامويين نشطوا الآداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة ، فارتقت فى أيامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة ، وكثر الشعراء ونظموا فى كل باب ولم يصلنا كل ما نظموه

وفى هذا العصر بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات . وفيه رسخت اللغة العربية فى المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها ، وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

(*) أنظر فى عبد الحميد رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ، وأمراء البيان له أيضا ، وتطور الاساليب النثرية ، ومن حديث الشعر والنثر ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى

واهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية او اللسانية او الادبية أو فى التاريخ والجغرافيا أو فى أى علم من العلوم انما هو من ثمار العصر العباسى الاتى ذكره . أما التفسير الذى ينسبونه الى عبد الله ابن عباس ، فقـــد تقدمت الاشارة اليه ..

حتى الشعر الاموى فانه لم يصلنا الا على أيدى الرواة من أهل العصر العباسى ..

فهرس

الشعراء الخلعاء

الشعراء الادباء

الخـــاتمة